

اليوم التالي بعد القيامة

مشروع الهيمنة الأمريكي في العراق والمنطقة

جمع وترجمة

بثينة الناصري

الكتاب: اليوم التالي .. بعد القيامة (ترجمة)

الكاتب : مجموعة باحثين

المترجمة : بثينة الناصري

الطبعة: ٢٠١٧

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف: ٣٥٨٢٥٢٩٣ – ٣٥٨٦٧٥٧٦ – ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس: ٣٥٨٧٨٣٧٣



<http://www.apatop.com> E-mail: news@apatop.com

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

الناصرى، بثينة

اليوم التالي .. بعد القيامة/ بثينة الناصري- الجيزة

- وكالة الصحافة العربية.

الترقيم الدولي: ٨- ٣٤٠ - ٤٤٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨

أ - العنوان رقم الإيداع: ٨٩٦٢ / ٢٠١٧

اليوم التالي بعد القيامة

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون» 

الكتاب المشاركون

Blackcommentator كرس فلويد - سيمور هرش - بول كريج
روبرتس- توماس ركس - رتشارد درايتون - مايك وتني - كورت نمو-
وليام بلوم - جستين هاجلر - نيل مكاي - يوهان غالتنج - توني جوت
- ارون داي روي - نعومي كلاين - نورمان سولومون - بيبي اسكوبار -
فرانك دبليو- باتريك لانج - إسرائيل شامير - نيكولاس بييري - باتريك
بيوكانان - كاترين يوريكا - ميشيل كولون

ترجمت مقالات هذا الكتاب ما بين ٢٠٠٣ و٢٠٠٦ ماعدا المقالة
الأخيرة "استراتيجية تفكيك العراق" فهي متأخرة زمنيا.

مقدمة

هل نجحت أمريكا في العراق؟

أريد أن أخالف الجميع الذي يتحدث عن فشل المشروع الأمريكي في العراق.

- ماهو المشروع الأمريكي الذي فشل في العراق؟
أمريكا كان لديها أهداف حقيقية خفية وأهداف مزيفة معلنة.

الأهداف الحقيقية الخفية:

١- السيطرة على النفط.

٢- حماية إسرائيل.

٣- الوجود الأمريكي الدائم في المنطقة.

لن أشرح أسباب هذه الأهداف لكثرة ما قيل وكتب فيها وكلها صحيح.

الأهداف المزيضة المعلنة:

- ١ - أسلحة الدمار الشامل.
- ٢ - الخلاص من دكتاتور.
- ٣ - نشر الديمقراطية في المنطقة من خلال العراق النموذج.
- ٤ - القضاء على الإرهاب.
- ٥ - تفادي الحرب الأهلية.

وهي أهداف (نبيلة) مطاطة تتغير مع كل مرحلة، وهي تبرر استمرار بقاء أمريكا في العراق. فحين لم يعثر على أسلحة دمار شامل قيل أن المسألة هي الخلاص من الدكتاتور، ثم قيل أن الهدف هو نشر الديمقراطية (أجريت انتخابات سريعة وكتابة دستور وإقامة حكومات - منتخبة - عميلة.. إلخ)، ثم بعد أن خلصوا من هذه المرحلة قالوا إن القاعدة تنمو وتتكاثر في العراق (قصة الزرقاوي ثم أبو أيوب المصري)، ثم لما انتهى الزرقاوي ولم يظهر للمصري من أثر، أصبح الهدف حماية الشعب العراقي من بعضه البعض.

- الآن دعونا نتأمل هل نجحت أمريكا في أهدافها الحقيقية؟

أقول نجحت نجاحا باهرا. كان المطلوب من أجل تحقيق الأهداف الثلاثة: تفكيك العراق أرضا ووطنا ودولة وشعبا والقضاء على القيادة الحاكمة وحزبها الذي يعتنق مبادئ تدعو إلى (أمة عربية واحدة). أمريكا لا تحب الدول القومية حين تتعارض مع مصالحها، وسبق أن فككت يوغسلافيا

أيضا. الوطن العربي لم يعد له وجود في الخارطة الجديدة التي ترسمها أمريكا للعالم. حل محله الشرق الأوسط الكبير الذي يحوي كل آبار النفط في المنطقة من الجزائر إلى أفغانستان. كل أهدافها الحقيقية تتطلب تفكيك العراق إلى كيانات وكانتونات متناقضة ومتصارعة. وكان هذا مطلباً إسرائيلياً قديماً.

- كيف تم تفكيك العراق؟

هل تتذكرون حديث بوش ورامسفيلد قبل الغزو عن "ضرورة تغيير النظام في العراق" و"إزالة صدام حسين"؟ ربما أعطى هذا انطباعاً عند كثير من المغفلين أن أمريكا تريد أن تقوم بعملية انقلاب. تأتي بجيوشها وتقبض على القيادة العراقية وتضع بدلاً منهم بعض عملائها. ويداع البيان رقم واحد من الإذاعة ربما تحدث بعض المقاومة هنا وهناك ولكن الجيش الأمريكي سوف يسيطر على الوضع. وتبدأ الحكومة الجديدة بإطلاق الحريات واغراق الشعب بالرفاهية مما ينسيه أيام الحصار ويستمر العمل في الوزارات وتزداد الرواتب والأجور ويستأنف الجميع حياتهم بعد ذلك.

وكان يمكن - لو كانت أمريكا تريد أن تفعل ذلك - أن يحدث كل هذا خاصة أن وصول القوات الأمريكية إلى العاصمة لم يستغرق أكثر من ٢٠ يوماً، ولم تجابه بمعارك في بغداد ربما سوى معركة المطار في بغداد.

ولكن أمريكا لم تكن تريد ذلك. كانت تريد محو العراق من الخارطة وابداله بكيانات تقوم على حراسة مناطق الآبار. فمنذ أول يوم لها في بغداد أفسحت المجال وشجعت اللصوص على حرق ونهب وتدمير كل مقومات حياة شعب من ماضي وحاضر ومستقبل.. بهذا الترتيب:

١- ذاكرة العراق - متمثلة بالمتحف والمكتبات والوثائق والمخطوطات، ثم دمرت أرشيف الدولة العراقية وحتى سجلات الناس وكل ما يمكن أن يثبت انتماءهم لهذا الوطن.

٢- إلغاء القانون - بعملية حل الشرطة وكل الأجهزة الأمنية. ولهذا معنى واحد واضح وهو محو سلطة القانون في المجتمع وتحويله إلى غابة.

٣- محو العقل العراقي من خلال قتل قاعدته العلمية أو تشريدتها أو تكميمها.

٤- القضاء على البنى التحتية من تعليم وصناعة وزراعة وصحة.

٣- رفع الحماية عن الوطن القطري والقومي - حل الجيش العراقي وهو المؤسسة القوية ذات التاريخ المشرف وأحد أفضل الجيوش العربية. وعقيدة الجيش العراقي هو الدفاع عن الوطن ضد أعداء معروفين هم الصهاينة بالأساس والمستعمرون من أي شكل أو جنس والدفاع عن الوطن العربي. بعد ذلك ستؤسس أمريكا جيشا بديلا ضعيفا عقيدته هو الدفاع عن مصالح

أمريكا في العراق ضد أبناء الشعب العراقي نفسه أو ما يسمى (عقيدة الدفاع عن الديمقراطية ضد الإرهاب) وليس عن حدود الوطن.

٤- محو الفكر القومي - باجتماع حزب البعث وحظره. ومن أجل محاربته.

إقامة حكم متطرف في مذهبته، أي تسليط الإسلام المتمذهب على الفكر القومي. كما سلطغير العرب من أقليات العراق على العرب فيه من أجل قتل الروح العربية، واحلالها بالدعوة إلى (أمة عراقية) في حين أن ٨٠% من الشعب العراقي من العرب. لم يكن صدفة أن تكون كل الشخصيات الحاكمة من أصول غير عربية (إيرانيون وأفغان وباكستانيون) وأن يكون رئيس الجمهورية ووزير خارجيته من الأكراد. ليس صدفة أن تمحى عروبة العراق في الدستور.

الغرض أنك من السهل على المدى القصير - للأسف - أن تقسم الإسلام وتحدث فتنة قاتلة بين مذاهبه وفرقه ونحله وملله، ولكن كيف يمكن أن تقسم (الحس العروبي) إلا على مراحل طويلة تبدأ في المغالطة في نسبة العرب في العراق وإطلاق صفة سنة عليهم، بحيث تموه حقيقة هويتهم القومية بقناع مذهبي، وتزعم أنهم يعيشون في مدن معينة، ثم تحذف التسمية من الدستور، ثم تخلق فجوات بينهم وبين بقية العرب فيما كان يسمى الوطن العربي. ثم تعاملهم بجفوة وإقصاء حتى يصبح الواحد منهم يتهرب من الاعتراف بعروبه، وبعدها ربما يخجل من هويته هذه. ثم تقضي على الرابطة

الأقوى بين العرب وهي اللغة، بإضعافها واشتراط تعلم الإنجليزية إذا أردت أن تجد عمال جيداً، حتى تصبح لغة المحتل هي لغة صفوة القوم وواجهة اجتماعية راقية. وتنشأ المدارس الخاصة التي تعلم بالإنجليزية ويسارع الآباء إلى وضع أبنائهم بها مضحين من أجل ذلك بكل رخيص وغال.

٥ تقسيم العراق إلى مناطق متناحرة من خلال نظام المحاصصة حسب المذهب والدين والقومية، وهو نظام لا يوجد كما أعتقد في أية دولة تزعم الديمقراطية بل إنه ينسف فكرة الديمقراطية. تشجيع العشائرية والطائفية والاثنية كمرجعيات للانتماء وليس المواطنة.

٦ قتل قادة العراق واحداً بعد الآخر بمحاكمة هزلية تجاوزت في بطلانها كل حدود المنطق.

هل نجحت أمريكا في كل ذلك؟ بعيداً عن الحديث العاطفي الحماسي.. نعم. انتصرت أمريكا في أهدافها الحقيقية، ربما كانت هناك نسب متفاوتة في هذا الجانب أو ذاك ولكنها (أنجزت المهمة)! ولكن ما زال هناك شيء واحد تنتظر أن تحققه ليستتب كل شيء وتبدأ بالانسحاب مع ترك ٢٠ - ٥٠ ألف جندي في قواعد في بغداد و كركوك وبلد والرمادي والناصرية أو البصرة. سأذكر لكم ما تبقى لها من أنجاز ولكن بعد أن نرى أين فشلت أمريكا. .

فشلت أمريكا في تحقيق أهدافها المعلنة المزيفة وقد فشلت فيها لأنها كانت مجرد مبررات لا يعينها فعلا تحقيقها ولأسباب أخرى سنذكرها:

١ - أسلحة الدمار الشامل؟ كانت تعرف قبل أن تذهب إلى العراق ومن خلال جواسيسها في فرق التفتيش أنه ليس هناك أسلحة.

٢ - الخلاص من دكتاتور؟ نعم اعتقلته وحاكمته واغتالته ولكن لأسباب خارجة عن إرادة أمريكا وتعلق بشخصية الرئيس صدام حسين ارتد كل ذلك على عكس ما أرادت أمريكا. حتى نظام المحكمة التي زعمت أنها نموذج للعدالة اتضح في نظرالعالم أجمع أنها محكمة باطلة يديرها الاحتلال.

٣ - نشر الديمقراطية؟ وتقديم نموذج العراق؟ اكتشف الناس سريعا زيف هذا الادعاء بل أصبحت كلمة ديمقراطية مثل عار يهرب منه الجميع. واصبح واضحا أن البلاد بلا سيادة وأن الحاكم الحقيقي هو بوش ومن يمثله في السفارة الأمريكية ببغداد وأن الحكومة العميلة لا تستطيع أن تحرك أصبع لإدارة شؤونها بدون موافقة واشنطن.

٤ - القضاء على الإرهاب.. يعرف العالم أن العراق لم يكن فيه أي إرهاب بالمعنى الذي تقصده أمريكا ولا علاقة للعراق بأحداث ١١ ايلول كما حاولت أن تقنع شعبها. وما يسمى الإرهاب في العراق هو مقاومة شرسة للاحتلال وهذه لا يمكن القضاء عليها.

٥ - تفادي الحرب الأهلية التي ستنشأ حين تغادر أمريكا العراق؟ أنها حرب مفتعلة ولم تحدث فتنة طائفية في العراق إلا بعد الاحتلال.

أضف إلى كل ذلك الفشل الذريع في توفير أبسط مقومات الحياة للإنسان العراقي فقد حرم حتى من أبسط حقوقه في العيش والتعليم والتطب والعمل والأمن والحرية التي كان يتمتع بها حتى في أيام الحصار الحالكة. ولم يعد يجد ماء نظيفا أو كهرباء لعدة ساعات أو وقودا لسيارته أو مدفأته أو مطبخه. وبدلا من أن ينعم بحكم تقدمي يضعه في مصاف الدول التي تأخر عنها أثناء سنوات الحصار، حظي بحكم الملاي الذي أعاده ألفا وأربعمائة سنة إلى الوراء. وبدلا من فصل الدين عن الدولة كما كان سائدا طوال عمر الدولة العراقية، أصبح المذهب الآن هو الحاكم، وبدلا من أن تستمر المرأة العراقية في مشاركتها للرجل وهي تفعل ذلك منذ أوائل القرن الماضي، حجبت بشادور أسود من أول رأسها إلى أخصص قدميها، وصار خروجها منالباب عارا وعورة.

- لماذا فشلت أمريكا في أهدافها المعلنة؟

١ - المقاومة - بالتأكيد حين رسم صانعو الحرب خططهم توقعوا أن يلاقوا مقاومة ولكن ليس بالشكل الذي حدث. ولهذا عمدوا إلى تشويبهها في أعين الشعب العراقي وفي أعين العالمبشتى الطرق وحاولوا اختراقها وتقسيمها وربما فعلوا ذلك إعلاميا أكثر منه على أرض الواقع حيث لم ينجحوا في

وأدها بعد أربع سنوات وبعد تدمير مدن وتفجير منازل وقتل واعتقال الناس وتعذيبهم وانتهاكهم وقتل قياداتهم. المقاومة الإعلامية نجحت في إفشال كل الأهداف المعلنة. والمقاومة المسلحة عرقلت تحقيق الأهداف الخفية التي ذكرناها آنفا وحددت من نجاحات أمريكا في بضعها، ولكنها لم تنجح في العمل على إفشالها تماماً إلا في مجال لنفط حيث لم تستطع أمريكا حتى الآن استغلاله ليصرف على الاحتلال كما كان مؤملاً.

٢ - الجيش الأمريكي لم يكن مهياً لنشر ديمقراطية أو حرية بل استخدم الهراوة الثقيلة منذ أول خطوة له على أرض العراق. كان الجنود باعترافهم فيما بعد يدرّبون قبل الذهاب إلى العراق على أن كل عراقي هو إنسان أقل من مستوى البشر وأن كل عراقي هو عدو. وكان الأمر الوحيد الذي يستقر في وجدان أي منهم هو: اقتل اقتل اقتل. كان جيشاً بلا مبدأ أخلاقي سوى مبدأ واحد: الإخلاص للرفاق في الوحدة العسكرية. ولهذا لم يكن غريباً أن نسمع من بعض الجنود الذين أفاقوا على حقيقة الحرب التي يخضونها قولهم أنهم لا يستطيعون ترك الجيش بسبب ضرورة استمرارهم إلى جانب رفاقهم.

٣ - اعتمدت الإدارة الأمريكية على السيطرة على الإعلام وتوجيهه بوقاً للحديث عن (الإنجازات في مجال الأهداف المعلنة: مظالم صدام حسين - الديمقراطية - الانتخابات - الإرهاب - الحرب الطائفية) ولكنها لم

تحسب حساب مناهض خطير خرج من عقر دارها: الإنترنت الذي وجد فيه المعارضون للسياسات الأمريكية ساحة حرية عرفوا كيف يستغلونها لدحض وتفنيدها (الأهداف المعلنة) وإظهار زيفها.

في هذا الكتاب الذي اخترت له عنوان (اليوم التالي بعد القيامة) مجموعة من المقالات كتبت في فترات سابقة أو لاحقة للغزو الأمريكي للعراق بأقلام كتاب من دول متعددة من مختلف القارات، وكلها تتحدث عن المشروع الإمبراطوري الأمريكي وصعوده ونهايته متمثلاً بغزوها للعراق وما يأتي بعده. وكنت قد نشرت المقالات في مدونتي علماً بالإنترنت، وهي تنشر مجمعة لأول مرة.

بشينة الناصري

القاهرة ٢٣/٣/٢٠١٧

بزوغ القوة الكونية الأمريكية

بعد قرون من استعباد الأفارقة وذبح الهنود الحمر والاستيلاء على أراضي المكسيكيين، لم تعد أمريكا البيضاء قادرة على العيش في مجتمع متحضر، أو قيادة العالم بالتأكيد. لقد ساعدت الانتصارات السهلة والرخيصة على الضعفاء أو الأسرى أو الأعداء في الدول النامية على تعليم أمريكا دروسا خاطئة وخلق قيم اجتماعية أمريكية فاسدة.

كان التفكير بأن الثروات غير المحدودة في جنوب العالم الموجودة هناك من أجل نهبها والاستيلاء عليها والحقول الخصبة التي تنتظر عمالا لاندفع لهم أجورا، والدول الجنوبية الضعيفة التي تغري بالتحرش بها بهدف المتعة أو الغنائم.. كل ذلك كان مثل شعير متخمر يطيح بتوازن سكير عمره أربعمائة سنة.

ويتلبس رجال بوش الأحساس الأمريكي الأبيض بأن لهم الحق في الحصول على كل شريحة لحم يستطيعون انتزاعها من جيب أو جسد من هو غير جدير بها. ومنذ أن وجد شيئاً اسمه الثقافة الشعبية الأمريكية، كان الاهتمام ينصب على النهب والافتراس: رعاة البقر القتلة والجنود القتلة والشرطة القتلة ورجال الأعمال القتلة. وقد لعب جون وين كل هذه الأدوار ولهذا كان أشهر ممثل أمريكي أبيض. فالسهولة التي كان يسيطر بها على خصومه صارت مثل ارث يتم تداوله من جيل إلى جيل من المهاجرين البيض الجدد.

وهناك حقيقة تاريخية تبرز بشكل مبالغ به في الثقافة الشعبية الأمريكية وهي أن الناس حول الأمريكان البيض هم الذين يموتون دائماً، فالأمريكان البيض لهم حق العيش وبرفاهية، أما الآخرون فليس لهم هذا الحق. الآخرون هم دائماً غير البيض في أمة ابتكرت البياض الذي يمزج ويذيب كل أجناس أوروبا في حين يفصل الآخرين باعتبارهم غير جديرين بسبب لونهم.

وحتى تاريخ قريب كان محظورا حظرا شديداً التجاوز على هذا الواقع المفروض وكان الإعدام يطبق بشكل تلقائي على أولئك الذين ينتهكون الامتيازات الطبيعية للأمريكان البيض.

الامتياز والافتراس

كما يحدث في التطور البيولوجي فإن الذاكرة الجمعية الاجتماعية تحتفظ بالسلوك والرأي الذي يفيدها ويحقق مصلحتها. فالاعتداءات على الهنود الحمر سكان أمريكا الأصليين افادت المستوطنين الأوروبيين. منحتهم أراضي شاسعة مجانا، واستعباد الآخرين جعلهم ملوكا وملكات وأمراء وأميرات وأغنياء، والغزو الخارجي للشعوب المستضعفة وذات البشرة الداكنة اكسبتهم احتراماً. لم يأسفوا على حرب إلا على الحرب الأهلية بينهم مع أن القليل من الأمريكان البيض كانوا ضحايا تلك الحرب. إذن.. كان الافتراس والنهب نهجا جيدا أفادهم كثيرا.

ومنذ اليوم الأول الذي وطأت فيه أقدامهم سواحل شمال أمريكا كانوا مسلحين وفي غاية الخطورة واضعين نصب أعينهم الهدف السريع للاستحواذ على كل ما يخطر في خيالهم، ومنذ ذلك الحين تعلم (الأمريكي الأبيض) أن الناجين من مذابحهم يعجبون بهم. لقد عرفوا ذلك من أحدهم الآخر. جيلا بعد جيل.. وأي رأي آخر يهم سوى آراء بني جلدتهم. أدركوا بأنه طالما لم يستطع أحد الوقوف بوجه سلاحهم القاهرة والفتاك فإن ذلك دلالة على تفوقهم. ومن يستطيع أن يناقش ذلك؟

ومن خلال تداول آرائهم الضيقة هذه في حلقة مغلقة، تطورت نظرتهم إلى العالم ونمت في وجدان الأمريكي الأبيض حتى صارت أسلوبا أساسيا في

التفكير قائما على الافتراضات التي تخدم الذات، وهي تعدل بشكل آلي كل المعلومات التي لا تتفق مع هذا النمط من التفكير ورفض كل الحقائق (غير المناسبة). أي حقيقة خارج العقلية الأمريكية لانهم وبالتالي لا تسجل.

وبسبب بعض الظروف الخاصة جدا الناتجة عن الحرب العالمية الثانية، تقدمت الولايات المتحدة إلى وسط المسرح العالمي بكل هذه الأفكار المسبقة معززة بأسلحة نووية واقتصاد قوي بحيث أصبح الدولار هو العملة الكونية. فالنفط الخام يقيم بالدولار ويستخدم كوقود للنمو العالمي الذي أعقب الحرب ومعظم فوائده تذهب مباشرة إلى الولايات المتحدة. وما إن حلت الخمسينات من القرن الماضي حتى أعلن رئيس العالم بأن القرن العشرين هو القرن الأمريكي.

بعد خمسين سنة، ذكر تقرير مكتب طوكيو لشركة بلومبرغ للخدمات المالية في تقريره مايلي: لقد القت شركة بيرتامينا (شركة النفط الإندونيسية الحكومية) قبلة مؤخرا. لقد قررت استبدال الدولار باليورو في تجارة النفط والغاز.

وكان العالم منشغلا حينها في الاستعداد للحرب على العراق وانتشار مرض سارس في آسيا، فلم ينتبه الكثيرون لهذا الخبر الذي قد يكون له تأثير كبير على أكبر اقتصاد في العالم

وكانت مبررات إندونيسيا: أن الدولار قد يكون عملة العالم الاحتياطية ولكنها أصبحت متقلبة بسبب قيام أمريكا بشن الحروب هنا وهناك. ويبدو أن آسيا تحاول بمساعدة قادة أوروبا على تقليل التأثير الأمريكي في المنطقة. ونموذج طوكيو وجاكارتا وكوالالامبور مثل على العزوف العالمي عن الولايات المتحدة.

تبدلات في القشرة الأرضية

هناك أشياء أخرى تحدث تحت السطح ولا تذكرها تصريحات رؤساء الوزارات. أن المشكلة الأمريكية ليست في سوء السلوك ولكن في عدم الجدارة. ولا يمكن لأي مجتمع عاقل أن يضع ثرواته ومستقبله في أيدي أمة تشكلت من شعب لا يرى أي حقيقة خارج ذاته

وقد قرر الكثير من دول العالم أن الدولار أصبح مثل الزائدة التي يجب قطعها، ومما يثير السخرية أن رجال بوش انتهكوا النظام العالمي الذي ميز الولايات المتحدة لعدة أجيال من أجل إجهاض التغيير إلى اليورو الذي قام به بعض منتجي النفط العرب وفنزويلا

ومما هو جدير بالملاحظة أن سياسة أمريكا الراهنة والساعية إلى الهيمنة على العالم قد سارعت بالاتجاه الذي كان يمكن أن يأخذ عقوداً من السنين حتى يتطور وينضج. لقد أصاب الأمم رعباً وصدمة بسبب الخطر

الذي تشكله أمريكا على الاستقرار العالمي فسارعت تنشد الأمان بعيدا عن أمريكا بدلا من أن تطلب حمايتها.

وكما كتبنا في مقالة سابقة:

كل خطة ومشروع يتبناه أفراد أو أمم سوف يأخذ في الحسبان مشاهد أمريكا العنصرية وهي تمطر نارا على شعب اضعف بابتهاج وزهو بهذه الجريمة.

وليس معنى هذا أن الولايات المتحدة كانت في أي وقت حارسا أميننا للرأسمالية قبل أن يستولي القراصنة على السلطة في يناير ٢٠٠٠، لأن الحكومات الأمريكية المتعاقبة ساعدت على إضعاف الثقة الدولية بعملتها (الدولار) من أجل أهداف سياسية واقتصادية قصيرة المدى، مغفلة المصائر المتشابكة مع الدول الأخرى بضمنها الصفوة المتحالفة، وقد وصفت واشنطن رئيس وزراء ماليزيا بأنه (غير متزن) في أن العكس هو الصحيح.

كتب الصحفي وليام بيزيك يقول: إن أحد أسباب تفضيل قادة مثل محاضير محمد في ماليزيا اليورو هو أن هذه العملة ليس لها أجنحة محلية فواشنطن اعتادت على تصعيد وتخفيض الدولار اعتمادا على احتياجاتها الاقتصادية. في بداية التسعينات كانت تفضل دولارا منخفض القيمة لتحفيز التنمية، ثم بعد سنوات فضل البيت الأبيض دولارا مرتفع القيمة لجذب

رؤوس الاموال الاجنبية، وبما أن ١٢ دولة أوروبية تستخدم عملة واحدة فإنها أقل عرضة لاستخدامها في أجنحة سياسية لا يمكن التكهن بها. كما أن البنك المركزي الأوروبي هو الذي يتحكم في العملة وليس السياسيين.

أما في أمريكا فإن رئيس هيئة الاحتياطي الفيدرالي الآن جرنيسبان اعتاد أن يتلاعب بالعملة حسب رغبات الإدارة الأمريكية الموجودة لأن اللعب بعملة العالم يحسن مظهر الساكن في البيت الأبيض في عيون الناخبين الأمريكيين.

وهكذا ساعد سلوك أمريكا على خلخلة نظام التجارة العالمي. ولكن المخططين الاقتصاديين والبنوك المركزية في العالم يسعون نحو الاستقرار قبل كل شيء فلا أحد يحب المشاكل التي يمكن أن يسببها شيء من الابتعاد عن الدولار أو ما يمكن أن يجلبه ذلك من انتقام أمريكي، فالولايات المتحدة معروفة بكونها أمة تقتل من أجل أن تقضي على كل ما لا يناسبها. وقد ادرك العالم الآن أن رجال بوش جادون حقا في موضوع القرن الأمريكي الجديد، وأن عصبة بوش / تشيني / رامسفيلد ليس سوى نموذج آخر من (الفتوات) ورعاة البقر الأغلاظ، وأن الهوس الأمريكي بعد ١١ أيلول/سبتمبر كان أشبه بالهمجية منها صرخة ألم قومية.

لقد أصبح حديث اليورو أكثر انتشارا بعد قول بوش (معنا أو ضدنا) في تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠١ وما أعقبه من إعلان الحرب على محور

الشر. وقد بدأ المصرفيون الدوليون الحذرين يتحدثون عن تجارة النفط بموجب سلة عملات. ولكن الولايات المتحدة كانت مصممة على أن يكون الدولار هو العملة الدولية إلى الأبد، وهكذا قرر القراصنة أن الاستحواذ على حقول النفط في الشرق الأوسط وتدمير العراق سوف يعلم العالم إلا يعشوا مع الدولار مرة أخرى.

الصراخ بالحقيقة

لقد كان القراصنة على خطأ. أن التمرد على الدولار يكاد يصبح حركة رفض عالمي ويترجم بسرعة في ردة فعل دفاعية موحدة ضد المجانين في البيت الابيض. أن أندونيسيا وماليزيا يتحدثان بصراحة أكثر من الدول الأخرى.

ولكن هيهات أن يفهم رجال بوش أن اعتداءاتهم على الاستقرار الدولي ستجلب لهم بلاء سوف يأتي كالصاعقة في صدمته وترويعه.

تقول كوندليزا رايس (عاقبوا فرنسا، تجاهلوا ألمانيا، وسامحوا روسيا) وهكذا تضمن أن تتسارع هذه الدول في خطتها لغزل الولايات المتحدة.

وينبح القرصان المؤسس وليام كريستول (انتهزوا التأثير النفساني في فترة تنفس الصعداء ما بين اعتداء مسلح وآخر) ويصرخ مايكل ليدين (استمروا في الهجوم السياسي) على سوريا وإيران.

ويعتقد رجال بوش أن هذه هي الدبلوماسية وأن العالم يجب أن يكون ممتنا لهم. والمجتمع الدولي الذي لم تعد الولايات المتحدة عضوا حقيقيا فيه وإنما حضورا خطرا عليه يناضل للدوران حول الأمريكيين بخلق هياكل جديدة للتجارة والتعاون.

يعتقد القراصنة أنهم يحملون ورقة الكوتشينة الراححة: نصف جيوش العالم تحت إدارة واحدة فائقة التكنولوجيا، ولكنها أداة مثلومة ذات استعمالات ضيقة، فالقبلة الحقيقية تقبع تحت عتبة أمريكا وسوف يتمزق الدولار عندما يشرع ملايين الأفراد والمؤسسات في الهرولة إلى الاتجاه الآخر.

إن الاستقرار هو الذي جلب رأس مال العالم إلى الولايات المتحدة، والآن لقد حول رجال بوش الولايات المتحدة إلى ماكنة رهيبية من عدم الاستقرار، والقراصنة يصرخون بالتهديدات على كرة الجليد فوق قمة الجبل وسوف يدهشون عندما تسقط الكرة من القمة على رؤوسنا.

المصدر: موقع blackcommentator

ترجمت في ٢٥/٤/٢٠٠٤

إمبراطورية الدولة المارقت

وليام بلوم

إذا كانت المشكلة بين دولة ضعيفة ودولة ضعيفة أخرى فإن الأمم المتحدة تتصرف وتختفي المشكلة. إذا كانت المشكلة بين دولة قوية ودولة ضعيفة فإن الأمم المتحدة تتصرف والدولة الضعيفة تختفي. إذا كانت المشكلة بين دولة قوية ودولة قوية والأمم المتحدة تتصرف، فالأمم المتحدة تختفي.

مقاطع من كتاب لم يكتب بعد:

١ - الولايات المتحدة مصممة على السيطرة على العالم ناهيك عن الفضاء الخارجي. هذه ليست إحدى كليشيهات اليسار، أن الأنوار الأمامية للإمبراطورية تعلن عن رغبة وأساليب ونية واشنطن للهيمنة بينما تطمئن العالم عن نبل مقاصدها خلف هذه الحملة الصليبية. منذ انهيار الاتحاد السوفيتي أدرجت هذه التصريحات بانتظام في الوثائق السياسية التي تصدر

عن البيت الأبيض والبتاغون ومؤسسات الفكر المرتبطة بمؤسسة الأمن القومي. لقد أعلنوها بجلاء أن أي خصم محتمل للقوة العظمى في العالم سوف يسحق وهذه أولى تلك الإنذارات من عام ١٩٩٢ "يجب علينا الحفاظ على (١):

٢ -الهيمنة على العالم تتضمن الهيمنة على الشرق الأوسط والمرء يمكن أن يقول على الأخص الشرق الأوسط وفيه (النفط) و(إسرائيل) .

٣ -في التاريخ الحديث لم تقف بوجه الهيمنة الأمريكية على الشرق الأوسط سوى العراق وسوريا وإيران. والعراق الآن في الجيب. وكان من المؤمل أن تحجم سوريا الجيب لدى أي استفزاز تقدمه إسرائيل يكون له رد فعل سوري معاد في الحرب الإسرائيلية اللبنانية الأخيرة. (سوريا فوتت هذه الفرصة - المترجمة).

كان غرض العدوان الأمريكي الإسرائيلي على لبنان تحجيم حزب الله حتى لا يستطيع أن يكون عوناً لإيران بمهاجمة إسرائيل خلال تحجيم إيران. وهذا الهدف الأخير قد يبدأ بفرض عقوبات من قبل مجلس الأمن. كان هذا أحد أهم الطرق لبدء تدمير العراق. ولا تصدقوا كذبة أن فرنسا تعادي السياسة الخارجية الأمريكية. فقد أثبت التاريخ أن فرنسا سواء داخل وخارج مجلس الأمن لم تبد سوى معارضة هزيلة لهذه أو تلك النقطة من سياسة واشنطن لأنها تحتاج إلى أن تتظاهر بانها مازالت قوة عظمى ولديها دور مهم في الشؤون الدولية ولكنها في النهاية كانت تمهد الطريق للإمبراطورية.

والمانيا ضد الحرب الأمريكية في العراق؟ أبدا. ألمانيا ساعدت جهود الحرب الأمريكية بست طرق مهمة بضمنها المساعدة على الأرض في العراق في حين كان السياسيون الألمان يخطبون في منابر مناهضة الحرب.

يقول كارلوس رومولو الرئيس السابق لجمعية الأمم المتحدة "إذا كانت ثمة مشكلة بين دولة ضعيفة ودولة ضعيفة أخرى فإن الأمم المتحدة تتصرف وتختفي المشكلة. إذا كانت هناك مشكلة بين دولة قوية ودولة ضعيفة فإن الأمم المتحدة تتصرف والدولة الضعيفة تختفي. إذا كانت هناك مشكلة بين دولة قوية ودولة قوية والأمم المتحدة تتصرف، تختفي الأمم المتحدة".

٤ - الهيمنة على العالم تتضمن أيضا آسيا الوسطى واحتياطاتها الهائلة من النفط والغاز. أفغانستان بأنايبيها والقواعد الأمريكية العسكرية فيها ضرورية للقيام بمهمة الهيمنة. من حرب إلى أخرى في السنوات الاخيرة استطاعت الولايات المتحدة إرساء قواعد/مرافق عسكرية في أنحاء المنطقة بضمنها باكستان وكازاخستان وطاجكستان وقيرغستان وجورجيا وهي مهمة لحماية انابيب النفط والغاز الممتدة إلى شرق البحر الأبيض المتوسط. أحد خطوط الأنابيب سوف يمتد إلى إسرائيل وهي مع تركيا يتوقع أن تلعب دورا في حماية المنطقة.

هامش:

(1) (التخطيط الدفاعي للسنة المالية ١٩٩٤-١٩٩٩) كما نشرتها النيويورك تايمز
١٩٩٢/٣/٨.

ترجمت المقالة في ٢٠٠٦/٨/٣٠

-وليام بلوم مؤلف كتاب (قتل الامل: تدخلات الجيش الأمريكي والمخابرات المركزية منذ الحرب
العالمية الثانية)
وكتاب (دولة مارقة: دليل إلى القوة الوحيدة في العالم)
وكتاب (معارض من الكتلة الغربية: ذكريات الحرب الباردة)
وكتاب (تحرير العالم حتى الموت: مقالات حول الإمبراطورية الأمريكية)

إنها حروب إسرائيل وليس أمريكا!

باتريك بوكنان

زمرة المحافظين الجدد تسعى لشن حروب دائمة لصالح
إسرائيل وليس أمريكا!

إذا كان حزب الحرب قد نال غرضه فإنه حصل معه على ما لم يسعى إليه: فضح أعضائه وارتباطاته وأهدافه. في لحظة فريدة من لحظات الصحافة الأمريكية وجه الصحفي تيم روسيرت هذا السؤال مباشرة إلى ريتشارد بيرل: "هل تستطيع أن تؤكد للمشاهدين الأمريكيين أن هذه القضية هي ضد صدام حسين وأن الإطاحة به تخدم المصالح الأمريكية؟ وماهي علاقة ذلك بإسرائيل؟"

فجأة برزت العلاقة الإسرائيلية على السطح، وهذا سبب حرجا لحزب الحرب. وعندما وجدوا أنفسهم على خط النار، لجأ أصدقاؤنا المحافظين الجدد إلى مايفعله تلميذ خائب، اتخذوا وضع الأقلية المضطهدة.

وقد بدأ الحملة رئيس تحرير وول ستريت جرنال السابق ماكس بوت. كتب يقول: "عندما يبدأ هؤلاء المعارضون للمحافظين الجدد يذكرون أسماء مثل ولفوفتز وكوهين يبدو الأمر أحيانا، وكأن المعنى الحقيقي الذي يقصدونه هو (المحافظين اليهود)", ولكنه يقر بأن العلاقة مع إسرائيل هي حسب تعبيره "عقيدة رئيسية للمحافظين الجدد" ويقول أيضا أن استراتيجية الأمن القومي للرئيس بوش "تبدو وكأنها مستمدة مباشرة من صفحات مجلة كومنتري "مجلة كومنتري هي مجلة شهرية تصدر عن اللجنة الأمريكية اليهودية".

ويشتكي ديفد بروكس من صحيفة ويكلي ستاندارد بأن الهجوم المبني على الرابطة مع إسرائيل قد ادخلته في جحيم شخصي: "يأتيني الآن فيضان من الخطب اللاسامية في بريدي الإلكتروني وبريدي الصوتي وصندوق بريدي. أن اللاسامية حية وتزدهر ولكن مركزها الآن ليس على اليمين البوكانيين (نسبة لكاتب هذه المقالة المعروف بربطه بين المحافظين الجدد وبين اليهود) وإنما على يسار حركة السلام".

أما كاتب العمود في واشنطن بوست روبرت كاجان فإنه يقول "في لندن.. يجد المرء أفضل عقول بريطانيا يتحدثون بإنجليزية أوكسفورد البليغة، عن نظريات المؤامرة التي يروجها باتريك بوكانان بخصوص

(المحافظين الجدد)، عليك أن تقرأها: اليهود - الذين اختطفوا السياسة الخارجية الأمريكية"

وبيتهم لورنس كابلان من صحيفة نيو ريبابلك مجلتنا الصغيرة (المحافظ الأمريكي) بأنها "تحولت إلى منبر لأولئك الذين يزعمون أن الرئيس بوش أصبح عميل.. إيريل شارون و(حزب حرب المحافظين الجدد)".

وبيتهم أيضا كتاب مثل بول شرويثق وكريس ماثيوز وروبرت نونفاك وجورجي أن جاير وجيسون فيست وجاري هارت بأنهم يدعون أن "أعضاء من فريق بوش يمثلون لأوامر إسرائيل وبذلك يظهر - ولاءات مزدوجة".

إن المشكلة الحقيقية في هذه المزاعم ليس فقط أنها غير صحيحة، وإنما المشكلة أنها مسسمة للأفكار. أن استدعاء شبخ الولاءات المزدوجة لإخماد أي انتقاد ومناقشة يرقى إلى أكثر من مجرد تلويث للمناقشات العامة. أنها إلغاء للمناقشات العامة، فكيف يمكن للمرء أن يفند اتهامات تستند إلى العرقية؟ أنه من المستحيل دحض هذه الاتهامات وهذا مايراد منها.

ماذا يجري هنا؟ لقد رد ميكي كاوس من صحيفة (سليت) بعنوان "لورنس كابلان يلعب على وتر اللاسامية).

مايفعله كابلان وبروكس وبوت وكاجان هو نفس ما فعله القس جيسي جاكسون عندما وجد متلبسا باستلام مساهمة كبيرة من شركة فورتشن ٥٠٠ التي كان يتهمها بالفرقة العنصرية. لقد لعب على وتر العنصرية. وهكذا أيضا يحاول المحافظون الجدد بتنفيذ المنتقدين باغتيال شخصياتهم وتشويه أهدافهم.

وبالتأكيد فإن الاتهام بالاسامية هو الذي يسمم الافكار لأن هذا الاتهام مخصص لإلغاء المناقشات العامة وترهيب الخصوم وحظر آرائهم وابتزازهم مع ناشريهم. يقول المحافظون الجدد إننا نهاجمهم لأنهم يهود. إننا لانفعل لذلك السبب، بل نهاجمهم لأن تعطشهم للحرب يضع البلاد في خطر بالأخص حين تجد صداها لدى إيريل شارون.

وفي هذه المرة، كان الأولاد قد صرخوا (ذئب) أكثر من اللازم. ولم تعد الصرخة تنفع. وكما يلاحظ كاوس، ففي صحيفة كابلان (نيو ريبابلك) ذاتها يكتب ستانلي هوفمان استاذ جامعة هارفارد مايلي حول أحد أربعة مراكز قوة في هذه العاصمة دفعت لشن الحرب:

"وأخيرا، هناك العلاقة الفضفاضة مع الأصدقاء في إسرائيل، الذين يؤمنون بتطابق المصالح بين الدولة اليهودية والولايات المتحدة. أن هؤلاء المحللين ينظرون إلى السياسة الخارجية من خلال عدسات فكرة واحدة مسيطرة: هل هذا جيد أم سيئ بالنسبة لإسرائيل؟ فمنذ تأسيس تلك الدولة

في ١٩٤٨ لم تكن رائحة هؤلاء المفكرين طيبة في وزارة الخارجية الأمريكية ولكنهم الآن متمركزين في البنتاغون حول استراتيجيين مثل بول ولفوفتزر وريتشارد بيرل ودوجلاس فيث".

ويتساءل كاوس: إذا كان ستانلي هوفمان يستطيع أن يقول ذلك فلماذا لا يقوله كريس ماثيوز؟ ويلاحظ كاوس أيضا أن كابلان غفل عن ذكر أهم قطعة مدمرة تربط المافطين الجدد إلى شارون وحزب الليكود.

في ٩ شباط/فبراير نشرت مقالة في الصفحة الأولى في واشنطن بوست يقتبس كاتبها روبرت كيسر قول مسؤول أمريكي كبير: "أن الليكوديين هم الذين يحكمون الآن" ويسمى كيسر أشخاصا مثل بيرل وولفوفتزر وفيث كأعضاء في شبكة موالية لإسرائيل تعمل داخل الإدارة الأمريكية ويضيف اليهم ديفد ورمسر منوزارة الدفاع واليوت ابرامز من مجلس الأمن القومي (ابرامز هو صهر نورمان بودهورتزر رئيس التحرير الفخري لمجلة كومنتري التي تتهم كل من ينتقد إسرائيل باللاسامية).

ويشير كيسر إلى تفاخر شارون الدائم بعلاقته الوثيقة مع البوشيين فيقول " لأول مرة تتبع إدارة أمريكية سياسات مطابقة تقريبا لسياسات لليكود." والسؤال الذي يطرح نفسه: كيف حدث ذلك وإذا كانت هذه السياسات بالتأكيد في صالح شارون، فهل هي في صالح أمريكا؟

لقد حان الوقت لقول الحقيقة. لأن أمريكا على وشك أن تتخذ قرارا مصيريا: أن تشن سلسلة حروب في الشرق الأوسط يمكن أن تطلق صراع الحضارات الذي حذر منه صامويل هنتنجتون، حرب نعتقد أنها ستون كارثة ووبالا لهذه الجمهورية.

إننا نتهم عصابة من المروجين والموظفين الرسميين يسعون إلى إيقاع البلاد في شرك سلسلة من الحروب ليست في صالح أمريكا. نتهمهم بأنهم يتعاونون مع إسرائيل لإشعال فتيل هذه الحروب ولتدمير اتفاقيات اوسلو. نتهمهم بالتدمير العمدي لعلاقات أمريكا مع كل دولة عربية تقف ضد إسرائيل أو تؤيد الحق الفلسطيني في وطنهم. نتهمهم بأنهم جعلوا من الاصدقاء والحلفاء أعداء في كل ارجاء العالم الإسلامي والغربي بسبب عنجهتهم وتعطشهم للحروب.

لم تكن أمريكا طوال عصرنا الحديث معزولة عن أصدقائها القدامى كما اليوم. وأسوأ من ذلك، أن الرئيس بوش يساق إلى شرك مخصص له من قبل هؤلاء المحافظين الجدد سوف يكلفه منصبه ويسبب لأمريكا خسران سلام كسبانه بتضحيات جيلين من أجيالنا خلال الحرب الباردة.

إنهم يتهموننا بالالاسامية: أي كراهية اليهود بسبب معتقدتهم وتراثهم واصلهم. وهذا كذب. الحقيقة هي أن أولئك الذين يرموننا بالاتهامات يكونون (علاقة عاطفية) لدولة ليست لنا، مما يجعلهم يتصرفون بمصالح بلادهم بافتراض أن ماهو جيد لإسرائيل هو جيد لأمريكا أيضا.

المحافظون الجدد

من هم المحافظون الجدد؟ كان الجيل الأول منهم ليبراليون سابقون واشتراكيون وتروتسكيون. وهم مفكرون أكثر منهم أناس عمليون. وقد قيل عنهم أن المحافظ الجديد يصلح ليكون رئيس تحرير مجلة على أن يكون عامل بناء. اليوم ينطبق عليهم القولان المحافظ الجديد هو باحث مقيم في معهد سياسة عامة مثل معهد انتربايز الأمريكي أو أحد مستنسخاته مثل مركز السياسة الأمنية أو المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي. وبمعنى آخر أن المحافظ الجديد هو شخص ضليع ما هو داخل دبابة الفكر أكثر مما هو داخل دبابة ابرامز. القليل منهم قدم من عالم الأعمال أو الجيش. وهم يعتبرون أن دعمهم لإسرائيل هو إحدى خصائص سلالتهم. تشمل مطبوعاتهم: ويكلي ستاندارد وكومنتري ونيو ريبابلك وناشنال ريفيو وول ستريت جورنال. وهم يشكلون سلطة غير متناسبة مع عددهم القليل من خلال السيطرة على المؤسسات والصحافة المحافظة ومن خلال تقريبهم من الرجال في السلطة.

قرع طبول الحرب

عندما انتهت الحرب الباردة فتش هؤلاء المحافظين الجدد عن حرب صليبية أخرى تعطي معنى لوجودهم. في ١١ أيلول / سبتمبر، جاءت فرصتهم. فقد انتزعوا الكارثة البشعة من أجل قيادة الغضب الأمريكي إلى

حرب شاملة لتدمير اعدائهم: العرب والدول المارقة الإسلامية التي تقاوم الهيمنة الأمريكية وتكره إسرائيل.

وعلى أية حال كانت خطة حزب الحرب معدة قبل ٩/١١ بكثير وعندما كان بوش يبحث عن جبهة جديدة للحرب على الإرهاب بعد أن أطاح بحكم طالبان، وضعوا الطبخة التي أعدوها سلفا فغرق بوش فيها.

قبل تقديم سيناريو حروب المستقبل الأمريكية، تأملوا رد فعل المحافظين الجدد على ما حدث في ذلك اليوم الرهيب.

في ٩/١٢ حين كان الأمريكيون في قمة الصدمة قال بيل نيت لشبكة سيان إن أننا كنا في (صراع بين الشر والخير) وأن على الكونغرس أن يعلن الحرب على (الإسلام المسلح) وأنه يجب استخدام (قوة كاسحة). وذكر لبنان وليبيا وسوريا والعراق وإيران والصين باعتبارها أهداف يجب مهاجمتها. ولم يكن من بين هذه القائمة (أفغانستان) مأوى بين لادن. كيف استطاع بينيت أن يعرف أي دولة يجب ضربها قبل أن تكون لديه أية فكرة عمن هجمنا؟

أما صحيفة وول ستريت جورنال فقد قدمت قائمة فورية للأهداف داعية الولايات المتحدة لتوجيه ضربات جوية على (معسكرات الإرهابيين في سوريا والسودان وليبيا والجزائر وربما بعض أجزاء من مصر" وترون أنه لا

يوجد في قائمة بينيت أو قائمة وول ستريت جورنال أي بلد كان له يد في هجمات ٩/١١.

في ١٥ أيلول / سبتمبر وكما جاء في كتاب بوب وودوارد (بوش في حالة حرب): "قدم بول ولفوفتزر حججا عسكرية لتبرير هجوم أمريكي على العراق بدلا من أفغانستان" لماذا العراق؟ لأنه كما قال وولفوفتزر "بينما الهجوم على أفغانستان غير مؤكد لكن العراق نظام استبدادي وضعيف ويمكن قهره بسهولة".

في ٢٠ / ٩ ارسل ٤٠ محافظ جديد رسالة مفتوحة إلى البيت الأبيض تنصح بوش كيف يمكن إدارة الحرب على الإرهاب. وقد وقع على الرسالة بينيت وبوكهورتزر وكيركاتريك وبييرل وكريستول وتشارلز كروثامر. وكانت الرسالة مثل إنذار: إذا أراد الرئيس الحفاظ على دعم الموقعين عليه استهداف حزب الله وسوريا وإيران إذا رفضا قطع علاقاتهما مع حزب الله والإطاحة بصادام. أي فشل في الهجوم على العراق فإن الموقعين (سوف يكون مثل استسلام مبكر في الحرب على الإرهاب الدولي).

هنا كان عصابة من المفكرين يملون على القائد العام للقوات المسلحة بعد تسعة أيام من الهجمات على أمريكا أنه إذا لم يتبع خطتهم الحربية سوف يتهم بالاستسلام للإرهاب. ومع ذلك فحزب الله لادخل له في

٩/١١ . ماذا كانت جريرة حزب الله؟ لقد أذل حزب الله إسرائيل بإجلاء جيشها من لبنان.

لقد تم تحذير بوش أن عليه أن يستغل أحداث ٩/١١ من أجل شن سلسلة حروب على الانظمة العربية وهي جميعها لا بد لها فيما حدث. ولكنهم جميعا أعداء لإسرائيل. وقد هيمن وجود (ناتياهو) على التلفزيونات الأمريكية داعيا إيانا لسحق (إمبراطورية الإرهاب). واتضح فيما بعد أن (الإمبراطورية) تتكون من حماس وحزب الله وإيران والعراق والسلطة الفلسطينية. ماذا فعلوا كل هؤلاء ضد الولايات المتحدة؟

وقد بدأ حزب الحرب متعطشا للحصول على حرب في الشرق الأوسط قبل أن تغير أمريكا رأيها. وقد دعا توم دونيلي من (مشروع القرن الأمريكي الجديد) أمريكا للقيام بغزو فوري للعراق. كتب يقول (لا حاجة لانتظار الغزو لنشر نصف مليون من القوات. أن أكبر تحد هو احتلال العراق بعد أن تنتهي المعارك.) ومن أقواله (تحتاج الولايات المتحدة أن تشن الحرب على العراق لأنها في حاجة لإعلان الحرب على أحد ما في المنطقة والعراق يبدو هدفا منطقيا).

وقد قام يوحنا جولبرج من ناشنال ريفيو بالمصادقة على (مبدأ ليدين) - المقصود به مسؤول البنتاغون السابق مايكل ليدين واحد المحافظين الجدد - والذي وصفه جولدرج بهذا الشكل: "تحتاج الولايات المتحدة كل

عشر سنوات أو مايقارب ذلك أن تختار دولة صغيرة ضعيفة وتطوح بها على الجدار، من أجل أن نثبت للعالم أننا نقصد ما نقول. (عندما تسأل السفير الفرنسي في لندن في حفلة عشاء لماذا نخاطر بأحداث حرب عالمية ثالثة من أجل "بلد حقير صغير" ويقصد به إسرائيل، امتعضت مجلة جولدبرج).

ولكن على أية حال كان ليدين أقل تهورا. في كتابه (الحرب ضد أساتذة الإرهاب) حدد الأنظمة التي على أمريكا تدميرها:

(أولا وقبل كل شيء، يجب أن نطيح بأنظمة الإرهاب بدءا من الثلاثة الكبار: إيران والعراق وسوريا. ثم نتصرف مع السعودية.. وحالما يسقط الطغاة في إيران والعراق وسوريا والسعودية العربية سوف نظل مشغولين. يجب أن نضمن استكمال الثورة الديمقراطية. أن الاستقرار مهمة غير جدية بأمريكا وهو مفهوم كاذب. إننا لانريد الاستقرار في إيران والعراق وسوريا ولبنان وحتى السعودية. إننا نريد تغيير الأشياء. أن القضية الحقيقية هي ليست: نطيح بالاستقرار أم لا وإنما كيف نسبب عدم الاستقرار؟)

وبعد أن اعتبر الاستقرار مهمة غير جدية بأمريكا مضى لتعريف المهمة التاريخية المطلوبة من أمريكا:

(إن اسمنا هو الدمار الإبداعي، داخل مجتمعنا وخارجه. أننا ندمر كل يوم النظام القديم من عالم الأعمال إلى العلم إلى الأدب إلى الفن إلى العمارة إلى السينما إلى السياسة والقانون. أن أعداءنا يكرهون هذا الطاقة

المتحددة والإبداع الذي يهدد تقاليدهم (أيا كانت) وتخزيهم لفشلهم في اللحاق بنا. يجب أن ندمرهم من أجل المضي في مهمتنا التاريخية.

إن مثل هذه الاقتباسات تبين ميلا نحو نهج ليون تروتسكي أكثر منه إلى مفاهيم المحافظين الحقيقيين.

بالنسبة لصحيفة ويكلي ستاندارد كانت قائمة ليدين محدودة جدا. يجب إلا نعلن الحرب على شبكات الإرهاب والدول التي تؤويها وإنما حسب صحيفة ستاندارد "يجب أن نعلن الحرب على (أي جماعة أو حكومة تميل إلى دعم أو إيواء آخرين يشبهونهم في المستقبل".

لقد أصاب الدوار روبرت كيجان ووليام كريستول من الإثارة وهما يتصوران إمكانية حدوث الهرمجدون (المعركة الفاصلة بين الشر والخير). أن الحرب المقبلة (سوف تنتشر وتمتد إلى عدد من الدول. أنها ستكون أشبه باصطدام الحضارات التي كان الجميع يأمل في تفاديه. من المحتمل أن زوال بعض الأنظمة العربية (المعتدلة) على وشك أن يحدث".

وقد فاق نورمان بودهاورتر في مقالته بمجلة كومنتري ماكتبه كريستول في الستاندارد، داعيا إلى أن نشجع حربا بين الحضارات لأن مهمة جورج بوش هي (شن حرب عالمية رابعة - الحرب ضد الإسلام المسلح) وحسب رأيه فإن الأنظمة التي تستحق الإزالة ليست فقط دول محور الشر (العراق

وإيران وكوريا الشمالية)، وإنما يجب أن يمتد المحور إلى سوريا ولبنان وليبيا وكذلك أصدقاء أمريكا مثل العائلة المالكة السعودية وحسني مبارك في مصر مع السلطة الفلسطينية. يجب على بوش أن يرفض نصائح كولن باول كما يقول بودهورتز و" تكون له المهمة لفرض ثقافة سياسية جديدة على العالم الإسلامي المهزوم كما تطلبت الحرب ضد القاعدة تدمير نظام طالبان. وقد كتب يقول:

قد نجد انفسنا مضطرين إلى الإطاحة بخمسة أو ستة أو أكثر من الطغاة في العالم الإسلامي (بضمنهم راعي الإرهاب في السلطة الفلسطينية ياسر عرفات) وأستطيع أن أتصور أن الاضطراب الذي ستؤدي إليه هذه الحرب سيؤدي إلى نوع جديد من المهمة الامبريالية الأمريكية التي يجب أن يكون هدفها الأشراف على تنصيب حكومات خليفة في المنطقة قابلة للإصلاح والتحديث بدلا من الأنظمة الاستبدادية الموجودة حاليا. كما انصح باقامة نوع من المحميات الأمريكية على حقول النفط في السعودية حيث اننا نتساءل يوما بعد يوم لماذا يسمح لسبعة آلاف أمير أن يتحكموا فينا وفي الآخرين).

وقد كان بودهورتز تعبير (الحرب العالمية الرابعة) من البيوت كوهين الذي شوهدت نسخة من كتابه في يد بوش وهو الكتاب الذي يحتفي بتفوق القادة المدنيين للجيش في أوقات الحرب كما ظهر في قيادة ونستون تشرشل وديفيد بن جوربون.

إذن تشمل قائمة انظمة الشرق الأوسط التي يتفق عليها المحافظون الجدد باعتبارها أهدافا للتدمير تشمل: الجزائر وليبيا ومصر والسودان ولبنان وسوريا والعراق والسعودية وإيران وحزب الله وحماس والسلطة الفلسطينية والإسلام المسلح.

من إذن يستفيد من حروب لا تنتهي في المنطقة ليس فيها ما يهيم أمريكا سوى النفط وهو المادة التي يجب أن يبيعها العرب في كل الأحوال؟ من سوف يستفيد من حرب الحضارات بين الغرب والإسلام؟

الجواب: دولة واحدة وقائد واحد وحزب واحد: إسرائيل وشارون والليكوود.

في شباط/فبراير ٢٠٠٣ قال شارون لوفد من رجال الكونغرس أنه بعد الإطاحة بنظام صدام من (المهم جدا) أن تقوم الولايات المتحدة بنزع سلاح إيران وسوريا وليبيا.

وقال وزير الدفاع شاول موفاز لمؤتمر المنظمات الأمريكية اليهودية: "لدينا اهتمام كبير في تشكيل الشرق الأوسط في اليوم التالي من الحرب على العراق".

واقترح موفاز أنه بعد دخول القوات الأمريكية إلى بغداد، يجب على الولايات المتحدة أن تقوم بضغط سياسي واقتصادي ودبلوماسي على طهران.

هل كان المحافظون الجدد يخشون من أن حربا على العراق قد تسقط الحكومات العربية الصديقة؟ كلا ابدأ. لقد كانوا يرحبون بذلك.

قال ريتشارد بيرل عن رئيس مصر (مبارك ليس مهما. بالتأكيد حالنا أحسن بدونه). وعندما سئل كين ادلمان السفير الأمريكي السابق في الأمم المتحدة في صحيفة واشنطن مونثلي أجاب ما إذا كانت الحرب على العراق (التي توقع سابقا أنها ستكون سهلة مثل المشي على الكعكة - قد تقلقل الحكومات في مصر والسعودية قال (ذلك أفضل لنا إذا سألتني رأيي).

في ١٠ / ٧ / ٢٠٠٢ دعا بيرل مساعدا سابقا لليندون لاروش اسمه لورينت موروفيتش ليلقي خطابا في هيئة السياسة الدفاعية. وفي خطاب ادهش هنري كيسنجر قال موروفيتش عن السعودية بأنها (جوهر الشر والمحرك الرئيسي واطغر عدو) للولايات المتحدة. وقال يجب أن تعطي الولايات المتحدة انذارا للسعودية أما (مطاردة وعزل المتورطين في سلسلة الإرهاب بضمنهم المخابرات السعودية وإنهاء كل الدعايات ضد إسرائيل أو نغزو بلادهم ونستولي على حقول آبارهم ونحتل مكة .

وفي اختتام خطابه القوي اقترح موروفيتش (استراتيجية كبرى للشرق الأوسط) وقال (العراق هو الخطوة التكتيكية والسعودية هي الخطوة الاستراتيجية ومصر هي الجائزة). ولم تشر التقارير التي تسربت من هذه

الجلسة عن أية سؤال من أي من الحاضرين حول رد فعل العالم الإسلامي للقوات الأمريكية وهي تجوس في قبلة المسلمين.

إن ما يسعى إليه هؤلاء المحافظون الجدد هو أن التضحية بالدم الأمريكي ليكون العالم أكثر أمناً لإسرائيل. يريدون فرض السلام على المسلمين بالسيف وأن يموت الجنود الأمريكيان إذا تطلب الأمر.

ويقول رئيس تحرير واشنطن تايمز ارنود دي بورشجريرف عن هذه السياسة أنها (مبدأ بوش-شارون) ويقول (إن الليكوديين في واشنطن كانوا المسؤولين عن سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط منذ تنصيب بوش في الرئاسة).

يسعى المحافظون الجدد إلى إقامة إمبراطورية أمريكية ويسعى الشارونيون إلى الهيمنة على الشرق الأوسط. وقد التقت الأهداف بالضبط. ورغم أن المحافظين الجدد يصرون على أن أحداث ٩/١١ هي التي صنعت قضية الحرب ضد العراق والإسلام المسلح ولكن أصل خطط حروبهم ترجع إلى فترة طويلة قبل ذلك.

تأمين المنطقة

إن الرسام الأصلي للخطة هو ريتشارد بيرل وكان مساعداً للسيناتور سكوب جاكسون وقد سمع في عام ١٩٧٠ في تصنت فيدرالي وهو يناقش

معلومات سرية من مجلس الأمن القومي مع السفارة الإسرائيلية. وفي كتاب (اليهود والسياسة الأمريكية) الذي نشر عام ١٩٧٤ كتب ستيفن ازاكس: "يقود ريتشارد بيرل وموريس اميتاي جيشا صغيرا من (الساميين) في الكونغرس ويوجهون القوة اليهودية لإعلاء المصالح اليهودية". وفي عام ١٩٨٣ نشرت صحيفة نيويورك تايمز أن بيرل كان يستلم دفعات مالية كبيرة من صانع أسلحة إسرائيلي.

وفي عام ١٩٩٦ مع دوجلاس فيث وديفيد ورمسير كتب بيرل (انعطافة جديدة: استراتيجية جديدة لتأمين المنطقة) وهي دراسة قدمت إلى رئيس الوزراء ناتنياهو. وفيها حث بيرل وفيث وورمسير ناتنياهو على نبذ اتفاقيات اوسلو التي وقعها إسحاق رابين وتبني استراتيجية عدوانية:

(يمكن لإسرائيل أن تشكل بيئتها الاستراتيجية بالتعاون مع تركيا والاردن وذلك بإضعاف واحتواء وحتى ضرب سوريا. ويمكن لهذا الجهد أن يركز على إزالة صدام حسين من السلطة في العراق - وهو هدف استراتيجي إسرائيلي مهم - كوسيلة لإفشال طموحات سوريا الإقليمية. وقد تحدث الأردن طموحات سوريا الإقليمية باقتراح إعادة الهاشمية إلى العراق).

في خطة بيرل - فيث - ورمسير، تظل سوريا العدو الأول لإسرائيل ولكن الطريق إلى دمشق يمر عبر بغداد. وكانت خطتهم التي حثوا فيها

إسرائيل على إعادة (مبدأ الحرب الوقائية) تفرض الآن من قبل بيرل وفيث وورمسير وشركاهم على الولايات المتحدة.

وفي بحثه عام ١٩٩٧ المسمى (استراتيجية لإسرائيل) يبحث فيث إسرائيل على إعادة احتلال (المناطق تحت السلطة الفلسطينية رغم أن الثمن بالدماء سيكون غاليا).

أما وورمسير فقد كتب مسودة خطط حرية مشتركة لإسرائيل والولايات المتحدة (لضرب وتدمير مراكز الأصولية في الشرق الأوسط، يجب على إسرائيل والولايات المتحدة أن توسع الصراع لتضرب بشكل مميت، وليس فقط نزع سلاح، مراكز الأصولية في المنطقة - الأنظمة في دمشق وبغداد وطرابلس وطهران وغزة. وهذا سوف يجعلهم يدركون أن محاربة الولايات المتحدة أو إسرائيل سوف تكون عملا انتحاريا).

وقد صحح الدولتين أن تبحشا عن أزمة حيث كتب: "يمكن أن تكون الأزمات فرص" وكان قد نشر خطة الحرب هذه في ١/١/٢٠٠١ قبل تسعة أشهر من ٩/١١.

وقد كتب المؤلف مايكل لند حول عصابة بيرل وفيث وورمسير قائلا:

(إن اليمين الصهيوني المتطرف الذي ينتمي إليه بيرل وفيث قد يكون صغير العدد ولكنه أصبح قوة مهمة في أوساط صناعة السياسة في الحزب

الجمهوري. أنها ظاهرة حديثة بدأت في السبعينات والثمانينات منالقرن العشرين، عندما انضم الكثير من المثقفين اليهود الديمقراطيين سابقا تحالف ريجان العريض.

وبينما يتكلم الكثير من هؤلاء الصقور في العن عن الحملات الكونية من أجل نشر الديمقراطية فإن الاهتمام الرئيسي للمحافظين الجدد هو قوة وسمعة إسرائيل).

واليوم: بيرل يشغل منصب رئيس هيئة السياسة الدفاعية. فيث نائب وزير الدفاع. ورمسير مساعد خاص لنائب وزير الخارجية لشؤون السلاح جون بولتون الذي يؤيد خط بيرل - شارون. وقد كتبت عنه صحيفة هاآرتز الإسرائيلية في أواخر شباط/فبراير:

(قال نائب وزير الخارجية الأمريكي جون بولتون في مقابلة مع المسؤولين الاسرائيليين.. أنه لايشك أن أمريكا سوف تهاجم العراق وسوف يكون من الضروري التعامل مع تهديدات سوريا وإيران وكوريا الشمالية فيما بعد).

في ٢٦/١/١٩٩٨ استلم الرئيس كلنتون رسالة تناشده أن يستخدم خطاب حالة الاتحاد ليجعل من الإطاحة بصدام حسين (هدف السياسة الخارجية الأمريكية) وأن يدعو إلى استخدام العمل العسكري لأن

(الدبلوماسية قد فشلت)، وقد تعهد الموقعون أنه إذا استجاب لهذه المطالب (سوف نقدم كامل دعمنا في هذه الجهد الصعب ولكن الضروري) وكان الموقعون: اليوت ابرامس وبيبل بينيت وجون بولتون وروبرت كيجان ووليام كريستول وريتشارد بيرل وبول ولفوفتزر. بعد أربع سنوات قبل ٩/١١، كانت بغداد في رؤوس المحافظين الجدد.

مبدأ وولفوفتزر

في ١٩٩٢ تسربت من مكتب بول وولفوفتزر في البنتاغون وثيقة تشير الاستغراب. وقد وصفها بارتون جيلمان من صحيفة واشنطن بوست بأنها (تخطيط سري لغرض المساعدة في تقرير اتجاه الأمة في القرن القادم) وقد دعت مذكرة وولفوفتزر إلى وجود عسكري أمريكي في القارات الستة لردع كل (المنافسين المحتملين من مجرد التفكير في دور أكبر إقليميا أو دوليا). على سياسة الاحتواء وهي الاستراتيجية المنتصرة في الحرب الباردة أن تخلي الطريق لاستراتيجية طموحة جديدة مصممة (لإقامة وحماية نظام جديد)

ورغم أن مذكرة وولفوفتزر قد نبذت وأغفلت في عام ١٩٩٢ ولكنها أصبحت السياسة الأمريكية في تقرير استراتيجية الأمن القومي التي أصدرها الرئيس بوش في ٢١/٩/٢٠٠٢. وقد قال عنها مراسل واشنطن بوست تيم رايتش بأنها (تقلب المبادئ الأساسية اتبعها الرؤساء المتتابعون على مدى ٥٠ عاما: الاحتواء والردع).

في مجابهة أعداء أمريكا تعلن الورقة "سوف لن نتردد من التصرف وحدنا إذا تطلب الأمر من أجل ممارسة حقنا في الدفاع عنا لنفس بإجراءات وقائية". وتحذر من أن أي دولة تسعى إلى الحصول على قوة تنافس الولايات المتحدة، فكأنها تعلن حربا على الولايات المتحدة.

ليس لدى الرئيس النية للسماح لأي أمة أن تلحق بالتفوق الأمريكي الهائل الذي بلغته الولايات المتحدة منذ سقوط الاتحاد السوفيتي منذ أكثر من عقد. سوف تكون قواتنا من القوة بحيث تردع أي خصوم من السعي إلى زيادة القوة العسكرية بأمل التفوق على قوة الولايات المتحدة أو مساواتها)

وينصح روبرت كيجان الأمريكيين على توطين أنفسهم في عصر من (بناء الأمم على نطاق واسع بدون استراتيجية خروج)، ولكن هذه الاستراتيجية التي يدعو إليها المحافظون الجدد تنذر بدخولنا عصر يتصف بحرب دائمة من أجل سلام دائم .

المصدر: المحافظ الأمريكي عدد ٢٤/٣/٢٠٠٤

- (باتريك جوزيف "بات" بوكانان (٢ نوفمبر ١٩٣٨) سياسي ومعلق وكاتب ومؤلف أمريكي كان من كبار المستشارين لرؤساء الولايات المتحدة الرؤساء مثل ريتشارد نيكسون، جيرالد فورد و رونالد ريغان سعى بالفوز بترشيح الحزب الجمهوري في عام ١٩٩٢ وعام ١٩٩٦ وخاض الانتخابات عن حزب الإصلاح في انتخابات الرئاسة عام ٢٠٠٠).

لا يمكن تقسيم البلاد بدون حرب طائفية!

ميشيل كولون

لقد وجدوا الحل! تقسيم العراق إلى ثلاث دويلات رئيسية ثم ادفعهم إلى قتال بعضهم البعض. هل يذكرك هذا بشيء؟ نعم. أنها ليست المرة الأولى التي يحدث فيها ذلك.

نشرت النيويورك تايمز مقالة في ٢٥/١١/٢٠٠٣ تحمل توقيع ليزلي جيلب Leslie Gelb وهو رجل مؤثر كان إلى وقت قريب يت رأس مجلس الشؤون الخارجية وهو مجلس لوضع النظريات والاستراتيجيات ويضم مسؤولين من وكالة المخابرات المركزية ووزارة الخارجية والمتنفذين في الشركات الأمريكية متعددة الجنسيات.

خطة جيلب؟ استبدال العراق بثلاث ولايات صغيرة (الأكراد في الشمال، السنة في الوسط والشيعية في الجنوب) الهدف؟ (وضع الأموال والجنود في الأماكن الأكثر فائدة وأمنا. مع الأكراد والشيعية سوف تستطيع

الولايات المتحدة أن تسحب جنودها من المناطق المسماة المثلث السني شمال وغرب بغداد. وسوف يصبر الأميركيان على السنة بعد حصارهم بدون نبط وبدون عوائده حتى يعتدلوا في طوحاتهم أو يعانون من النتائج. باختصار (جوع ولاية الوسط حول بغداد، لأن السنة كانوا دائما رأس الحرية في مقاومة الإمبريالية الأمريكية).

وفي الحقيقة أن تقسيم العراق كان حلما إسرائيليا قديما. في ١٩٨٢ قال عوديد يعنون وهو مسؤول في وزارة الخارجية الإسرائيلية: (أن تفكيك العراق أهم لدينا من تفكيك سوريا، وعلى المدى القريب، فإن قوة العراق هي التي تشكل التهديد الأكبر لإسرائيل، أن الحرب الإيرانية العراقية مزقت العراق وتعجل بسقوطه، وكل أشكال الصراعات العربية الداخلية مفيدة لنا وتعجل بتحقيق هدفنا هو تفتيت العراق إلى قطع صغيرة متناحرة).

هل نشهد تطهيرا عرقيا مرة أخرى؟

جيب إذن يريد تفتيت العراق وفي نفس الوقت تحويل الشمال (أغلبية كردية) والجنوب (أغلبية شيعية) إلى أقاليم تتمتع بالحكم الذاتي وحدود ترسم حسب الخطوط العرقية. ولكن ألم تشر هذه الخطة حين نفذت في يوغسلافيا حربا أهلية ومذابح دموية؟ لأن كل الأقاليم المتصارعة في تلك البلاد كانت تشمل أقليات مهمة وكان التقسيم مستحيلا بدون ترحيل إجباري لبعض قطاعات السكان. وهذا هو السبب في أن برلين ثم واشنطن مولت

بالخفاء وسلحت المتطرفين العنصرين مما سهل قيام الحرب الأهلية إضافة إلى أن صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ساهما في إغراق يوغسلافيا في بحر الإفلاس لإخضاعها لسياسة الليبرالية الجديدة بعد سقوط جدار برلين.

لقد تم إخفاء كل ذلك عن الجماهير، بالضبط كما يفعلون الآن بإخفاء حقيقة أن كل شعوب يوغسلافيا السابقة تعاني الآن من الشقاء والبطالة كما لم تعانيهما من قبل. هذا في الوقت الذي تهتمك في الشركات متعددة الجنسيات في نهب ثروات البلاد.

في العراق أيضا: فإن الطوائف الثلاثة الكبيرة لا تقتصر على الإقامة في (مناطق خاصة بها) وإنما تندمج وتتداخل في كافة أرجاء البلاد، كما أن جيلب يعرف جيدا أن الشروع في مثل هذه الاستراتيجية في العراق مرة أخرى، سيثير، على أكثر احتمال، صراعات (عرقية) خطيرة وربما حتى حربا طائفية. ولهذا فهو يعلن بأن ولاية وسط العراق (ربما تعاقب الأقليات الموجودة في الوسط خاصة الأكراد والشيعية في بغداد ولهذا يجب على هؤلاء أن يمنحوا الوقت الكافي لترتيب اوضاعهم أو الرحيل إلى الشمال أو الجنوب) وهذه الطريقة تعني إجبار ملايين العراقيين على مغادرة المناطق التي ولدوا وعاشوا فيها. ولكن جيلب لا يرى في هذا شيئا خطيرا طالما أنه يتيح للولايات المتحدة ضمان هيمنتها الاستعمارية.

ألم تكن يوغسلافيا سابقة تحذيرية؟ ولكن الحقيقة أن جيلب يرى أن الحرب الأهلية في يوغسلافيا هي نجاح عظيم للولايات المتحدة لأنها هيأت لها أن تفتت البلاد التي كانت تناهض سياسات السوق الحرة.

مرة أخرى: نظرية "الولايات الخالصة عرقيا"

بل أن جيلب يشير بشكل واضح إلى (يوغسلافيا المثال المشرق بالأمل) شيء غريب. أليس كذلك؟

ألم يزعموا أن سبب تدخل الولايات المتحدة هناك هو لمنع "التطهير العرقي"؟

أبدا، فهو يعترف بأن (الولايات الخالصة عرقيا) سياسة لا بأس بها عندما تخدم مصالح واشنطن.

وفي حين أنه يمجد هذه الولايات الخالصة عرقيا (وهي حسب وصفه -ولايات طبيعية) ينتقد جيلب الرئيس السابق تيتو لأنه اعاد توحيد يوغسلافيا وهو يدعي بأن العراق (دولة مصنوعة) لنفس السبب. أن جيلب يعود إلى النظريات القديمة التي تبناها اليمين المتطرف. ونظريته حول الولايات الخالصة عرقيا مشابهة لنظرية هتلر (شعب واحد - إمبراطورية واحدة - فوهرر واحد) وهي نظرية تبناها الصهاينة الذين كانوا يحلمون بإسرائيل (نظيفة من الجنس العربي). وفي يوغسلافيا كانت هذه هي النظرية

التي تمسك بها الموالون لواشنطن: تجمان الكرواتي وعزت بيجوفيتش المسلم البوسني والقائد الصربي اليميني كاراديتش. ومن الغريب أن نجد أن الولايات المتحدة تمجد الآن نظريات ادعت أنها تحاربها.

الحقيقة أن الولايات المتحدة - مثل كل الدول الاستعمارية - مع أوضد الولايات الخالصة عرقيا حسبما تناسب مصالحها الاستراتيجية. الشيء المهم لديها هو كسر شوكة المقاومة والتقسيم من أجل إحكام السيطرة على الشعوب.

ومن قبلهم، نظم البريطانيون بعناية تقسيم أيرلندا والهند وباكستان وأماكن أخرى من العالم.

ويدعو الاستراتيجي برجينسكي إلى تقسيم روسيا إلى ثلاث دول من أجل عزل موسكو عن احتياطات النفط. كما أن وكالة المخابرات المركزية لها (خططها الخاصة) لتقسيم المملكة العربية السعودية. وفي هذا الزمن الذي تتحد وتندمج وحدات اقتصادية وسياسية كبيرة في الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة، انظروا كيف تعمل نفس هذه القوى العظيمة على بلقنة دول أخرى معينة، هي الدول التي تناهض الهيمنة الغربية الاستعمارية.

إن المبدأ الذي يقود السياسة الخارجية الأمريكية هو أنها بلا مبادئ. يمكن للولايات المتحدة أن تدعي في يوم ما أنها ضد التطهير العرقي وفي يوم آخر، هي التي تقوم بتنظيمه، وكل ذلك بأعذار وحبج كاملة.

في الماضي، أجبرت الولايات المتحدة أكراد تركيا على البقاء داخل حدود الدولة التركية التي كان يقودها جنرالات فاشيون، وآلان تمنح الأكراد دولة بحجة مبدأ تقرير المصير (وهي في الواقع دولة عميلة لاتملك زمام امورها). أنهم يدعون نشر الديمقراطية في العالم ولكنهم في هذه الأمثلة يتبنون نظريات فاشية من أجل إقامة دويلات (خالصة عرقيا) طالما أن ذلك يصب في المصلحة الأمريكية.

خطر تصدير النظرية إلى جميع أرجاء العالم

إن خطر هذه النظرية الكاذبة يتجاوز العراق ويوغسلافيا. أن أغلب الدول الموجودة على الكرة الرضية هذا اليوم هي (متعددة الأعراق) والعقلاء من الشعوب يعتبرون أنفسهم أغنياء بهذا التنوع الثقافي والحضاري. ولكن إذا سمحنا بتطبيق نظريات (الأقاليم الخالصة عرقيا) فسوف تلجأ الولايات المتحدة إلى تفتيت أية دولة (متعددة الأعراق) تناهض هيمنتها.

وفي مسعاها هذا، تنتهك الولايات المتحدة مرة بعد أخرى القانون الدولي وسيادة الدولة. وتتهياً الولايات المتحدة لتنفيذ مافعلته في يوغسلافيا وأفغانستان الذي لسوء الحظ، أيده الكثير من اليساريين الغربيين.

انتبهوا أيها السادة! لقد حان الوقت لتقييم وفضح توافق اليسار مع مصالح الولايات المتحدة في قضايا يوغسلافيا وأفغانستان. إذا أراد أي إنسان أن يمنع حربا كونوية، بمعنى إعادة استعمار العالم، يجب أن ينهض

الآن للدفاع عن (سيادة) دول العالم الثالث وهو مبدأ ينص عليه ميثاق الأمم المتحدة الذي شرع في ١٩٤٥ وتعمل الولايات المتحدة الآن على إغاثة.

ساندوا أنفسكم.. بمساندة المقاومة

إن أصل خطة جيلب هي إغراق العراق في حرب طائفية طويلة من أجل إنقاذ الاحتلال الاستعماري واستمرار نهب الثروات. سوف تعمل الولايات المتحدة على تقسيم المقاومة - وهي تضم كل طوائف الشعب - وذلك بمعاينة أولئك الذين مازالوا يعيشون معا وتنظم بشكل انتهازى (تطهيرا عرقيا). أن خطة الولايات المتحدة هي تقسيم العراق بالابتزاز، ولكن إذا استمرت المقاومة العراقية بالنمو والتوحد في جبهة واحدة تضم الشيعة وغيرهم، ستفوت الفرصة على واشنطن لتنفيذ خطتها في تفتيت العراق. أن سابقة يوغسلافيا يجب أن تشكل تحذيرا مهما ! أن توريط الدول الأخرى بنفس السيناريو مرفوض!

وبالنظر إلى سياسات بوش التي تعتبر تهديدا خطيرا للعالم بأجمعه، وبالنظر إلى حقيقة أن بوش يعتمد في سياساته الراهنة وبشكل متصاعد على نظريات فاشية، فإن الرد الوحيد الممكن هو بناء جبهة عالمية متحدة ضد سياسات الولايات المتحدة ودعم المقاومة في كل مكان، واولها واهمها المقاومة العراقية الفذة (التي تطلق عليها وسائل الإعلام الأمريكية الرسمية صفة إرهابية)

إن المقاومة العراقي هي التي تمنع بوش من مهاجمة إيران وسوريا وكوريا الشمالية وكوبا. أن الولايات المتحدة لم تكن يوماً من الأيام (قوة لاتقهر) وقد أصبح بوش أضحوكة العالم والوصف المتداول عنه أنه (نمر من ورق). وهكذا فإن المقاومة العراقية تعدل كفة الإحباط واليأس اللذين سادا في العراق بعد عملية (تحرير بغداد). لكن الحرب لم تنته.. لقد بدأت لتوها! ساندوا المقاومة.. تساندون أنفسكم!

الخلاصة: لايمكن التقسيم بدون حرب طائفية.

سكان العراق: ٢٣ نسمة (لايوجد إحصاء رسمي بعد أن أحرقت الولايات المتحدة كل السجلات المدنية العراقية).

ثلاث طوائف كبيرة:

الشيعة: ٥٥-٦٥% معظمهم في الجنوب.

السنة: ٢٠-٢٥% معظمهم في الوسط (بين بغداد والموصل).

الأكراد: ٢٠% معظمهم في الشمال، أغلبية سنية.

أقليات أخرى: ٥% تركمان / اشوريون - كلدان (مسيحيون) / يزيديون / صابئة / يهود.

(مع حسن نية الكاتب ولكنه اعتمد للأسف على التقسيم الاستعماري الذي تنهجه أمريكا للعراق. فالشيعة والسنة وكثير من المسيحيين والصابئة

هم عرب والعرب يزيدون على ٨٥% من سكان العراق. والأكراد لا يشكلون ٢٠% من الشعب العراقي بل أقل من ذلك. وهم أيضا سنة على الأغلب فلماذا لا يضافون إلى (السنة) الذين في الوسط؟ والتركمان فيهم السنة وفيهم الشيعة، فلماذا لا يضافون إلى التقسيم الديني المذهبي للإسلام؟ لماذا العرب وحدهم الذين قسموا حسب ديانتهم؟ هذه هي سياسة فرق تسد، تفريق العرب ومحو هويتهم - المترجمة). ولكن ليس كل المناطق (خالصة عرقيا):

- مليون كردي على الأقل خارج كردستان (بغداد البصرة)

- أكثر من مليون شيعي في بغداد

- بعض السنة يعيشون في الجنوب

- بعض العرب يعيشون في كردستان

ولهذا فإن تفتيت العراق مستحيل بدون افتعال حرب طائفية وتطهير عرقي، خاصة أن الولايات المتحدة بذلت كل جهودها خلال العشرين سنة الماضية من أجل إثارة النزاعات وتمويل بعض زعماء الاقليات من أجل تأييد التفتيت. هذا هو بالضبط ما حدث في يوغسلافيا.

باختصار.. إذا سمح للولايات المتحدة بتقسيم العراق. ستكون (الاقليات) في المناطق الثلاثة هدفا للتطهير العرقي. ثم سيقول بوش أنه

مضطر لإبقاء جنوده من أجل (حماية) الأقليات. بالضبط كما حدث في كوسوفو، حيث بنت أمريكا قاعدة بعد أن شجعت بكل الطرق على إفاد فتيل الفتنة. والولايات المتحدة باقية هناك لحماية العصابات الإجرامية التي تمارس التطهير العرقي (في حين تستنفد شركاتها العملاقة ثروات البلاد - المترجمة) .

ترجمت المقالة في ٢١/١٢/٢٠٠٣

- ميشيل كولون: كاتب بلجيكي أصدر عدة كتب مهمة منها (احذروا الإعلام) حول التضليل الإعلامي في حرب الخليج الأولى ١٩٩١، وآخرها كتاب (يوغسلافيا وحروب المستقبل) ٢٠٠١. وهو ناشط ضد الهيمنة الأمريكية الصهيونية وقد أنتج أفلاماً تسجيلية إضافة إلى الكتب والمقالات.

شهادة المستشار الأقدم للاحتلال: اعرف عدوك

لاري دياموند

تخيل نفسك جالسا في اجتماع سري للمسؤولين في سلطة الاحتلال وهم يقررون السياسة المطلوب اتباعها، والخطط التي يجب تنفيذها وأين اخطأوا واين اصابوا، كما تستمع إلى رأيهم الصريح في اللاعبين الآخرين على الساحة العراقية. كل هذا تقرأه في الجزء الثاني من شهادة لاري دياموند المستشار الأقدم للاحتلال الأمريكي. أبقينا على أسلوبه وألفاظه التي لانوافق عليها لنعرف كيف يفكر العدو.

- الشهادة

اقترح إذن نقطتين. الأولى: أن فرصة أي نوع من النظام النزيه والمسالمة والدستوري يعتمد على ما يحدث للمليشيات. ما لم يجمدوا بشكل ما ويستبدلوا بالقوات المسلحة لدولة عراقية شرعية جديدة، فسيكون

المستقبل السياسي القريب شديد الصعوبة. ولكن الميليشيات التي يجب شل حركتها كانت قد قويت شوكتها في الواقع إلى حد بعيد بصفقتها مع الولايات المتحدة بسبب لما حدث في الأسابيع الأخيرة. الآن نحتاج إليهم وإلى تعاونهم ومساعدتهم أكثر من أي وقت آخر. إذن إننا في مركز أضعف نطلب منهم تنازلات - ناهيك عن فرض هذه التنازلات بالقوة.

منذ بداية هذا العام، كنا نقوم بالتفاوض مع الميليشيات الرئيسية من أجل خطة (نزع سلاح وتجميد واندماج) مقاتليهم في الشرطة والقوات المسلحة العراقية والاقتصاد المدني. مناجل النجاح أي خطة من هذا النوع يجب أن تعتمد بشكل كبير على حوافر إيجابية (وظائف - تقاعد - مراكز في القوات المسلحة الجديدة) بالنسبة للميليشيات التي توافق على التعاون، أما التي ترفض نهائياً فيجب فرض تجميدها بالقوة. ومن الواضح أن جيش المهدي يقع في الخانة الأخيرة ولهذا فمن المهم أن نقهره الآن، ولكن التساؤل هو ما إذا كانت الميليشيات الأربعة الأخرى سوف تجمد نفسها وتنزع سلاحها بشكل كامل بدلا من تخزين أسلحتها الثقيلة مؤقتا وهي تنظم إلى القوات المسلحة الجديدة. ونسبة إلى الوضع الذي عليه البلاد وفيان التجميد - إذا حدث فعلا - فسيكون سطحيا وسوف تنضم الميليشيات إلى القوات المسلحة بكامل هيئتها وتسلسل قياداتها. في تلك الحالة لن تبرز إلى الوجود الدولة العراقية الجديدة المستقلة حقا. بدلا من ذلك ستكون أسيرة هذه الجماعات المسلحة الموجودة سابقا. ومن المحتمل أن

الرابح الوحيد، على الأقل مبدئياً، سوف يكون إيران التي عبأت الجنوب الشيعي بالأسلحة والذخائر والدعاية والوف (حسب أحد التقدير ١٤٠٠٠) من عملاء استخبارات.

ولست متأكدا هنا من أي سيناريو لمنع حدوث شيء مثل هذا. من أجل الوصول إلى ذلك يتطلب الأمر قوات دولية كبيرة الحجم ولها مصداقية - ومعظمها أمريكية - على الأرض في العراق لفترة طويلة قادمة. وحسب ماتوحي به الأمور الراهنة سوف نجد انفسنا في نوع من السباق لنرى من يطلب رحيل القوات الأمريكية أولاً: الشعب العراقي أم الشعب الأمريكي. حتى لو كان بقدرة القوات الأمريكية البقاء بحجم كبير لسنة أخرى أو سنتين من أجل توفير الأمن، فإني أشك أن تكون لديها السلطة أو الشرعية داخل العراق من أجل مجابهة الميليشيات - حتى مع افتراض القضاء على تمرد الصدر واحتواء تمرد الفلوجة على الأقل.

إننا في وضع هوبزي (نسبة إلى توماس هوبس الفيلسوف الاجتماعي الانجليزي ١٥٨٨-١٦٧٩ وكان يرى أن حكومة قوية خاصة إذا كانت ملكية مطلقة ضرورية للسيطرة على المصالح و الاتجاهات الفردية المتصارعة)، بما أننا دائماً في مثل هذه الأوضاع مابعد الحروب، حيث يشكل فيها توازن القوى كل المتغيرات السياسية الأخرى. إذا لم ننجح في إقامة الشرطة العراقية والقوات المسلحة التي يكون ولاؤها لدولة العراق وليس إلى هذا الحزب أو تلك الميليشيا أو ذاك الزعيم، لن يكون هناك أمل

حتى في شبه نظام سياسي ديمقراطي. ولكن خلق أي نوع من القوات المسلحة العراقية الواضحة سوف يستغرق سنوات (وفي بعض التقديرات اثنين أو خمسة سنوات) ويرتفع التوقع بأن الحكومة العراقية سوف تطالب (ربما بضغط شعبي) انسحاب القوات الأمريكية قبل ذلك بكثير. ثم (بغيا ب أي قوة دولية تتراأى في الأفق) فالقوة الوحيدة التي يمكن للعراق أن يستند إليها للحفاظ على النظام هي ميليشيات الأحزاب الرئيسية والقضية الوحيدة هي ما إذا تستطيع هذه الميليشيات أن تدبر نوعا من التسوية التوافقية التي تعطي لكل واحد منهم احتكار نسبي للسلطة في اقليم معين أو منطقة معينة، وفي نفس الوقت يتشاركون السلطة في الوسط. أن هذا الترتيب هو أفضل من حرب أهلية شاملة ولكن بسبب الافتقار إلى جذور أو قيود قواعد القانون فهي مرشحة للانغماس في حرب أهلية إذا تم تجاوز هذه السفقات. وسيكون من السيئ جدا لمعظم ديمقراطيي العراق الذين سعينا لمساعدتهم في السياسة والمجتمع المدني - وهم أناس شرفاء بافكار ومثل وضعوا ثقتهم في التزامنا المعلن للبقاء في العراق لإكمال بناء الديمقراطية.

- ما العمل؟

إن السبيل الوحيد للخروج من هذه الورطة هو في فعل عسكري صارم ودقيق ومحدد للقضاء على التمرد الخطر المعادي للديمقراطية - الذي يقوده مقتدى الصدر وجيش المهدي - مع استراتيجية سياسية لملء فراغ الشرعية بأسرع وقت ممكن.

لقد اتخذت إدارة بوش خطوتين مهمتين في المجال الأخير. أولاً: سعت إلى تحسين الشرعية الدولية لمهمتنا وقدرتنا لإيجاد حل انتقالي يكون معقولاً ومقبولاً من أكبر عدد ممكن من العراقيين - وذلك بإعطاء الأمم المتحدة وممثليها الخاص الأخضر الإبراهيمي دوراً رئيسياً في العملية. والسفير الإبراهيمي وسيط ذو قدرات فوق العادة وخيال واسع وتفكير نزيه. ولا أتخيل مرشحاً أفضل منه لهذه المهمة الصعبة. وأحد أسباب كونه الشخص المناسب لهذا العمل هو أن لديه العادة في إنجاز شيء أساسي لم تقم به سلطة التحالف دائماً وبكفاءة: وهو الاستماع للعراقيين أنفسهم وعلى أوسع نطاق ممكن.

القرار الثاني الضروري والمصيب للإدارة هو التمسك بموعد ٣٠ حزيران كتاريخ أقصى لنقل السلطة إلى الحكومة العراقية الانتقالية. وأحد الأشياء الإيجابية التي كانت تكبح مشاعر المرارة والغضب العراقية تجاه الاحتلال هو توقع عودة السيادة العراقية في ٣٠ حزيران، والوعد بإجراء انتخابات لحكومة انتقالية خلال سبعة أشهر من ذلك الموعد. ومن الضروري أن نتمسك بموعد ٣٠ حزيران. فليس هناك حل للمشكلة التي نحن فيها ما لم نعد العراقيين لاستلام مسؤوليات القيادة السياسية لمجابهة التحديات الهائلة التي تواجهها قيادة هذه البلاد. أنهم لا يستطيعون القيام بذلك وحدهم، ولكن يجب أن يتسلموا القيادة، ويجب أن يرى العراقيون رأي العين أن عراقيين هم الذين يقودون. ويجب أن نتوقف عن الحديث

عن(سيادة محدودة). لقد عانى العراقيون من الإذلال طويلا. أنهم بحاجة إلى الإحساس بأنهم سوف يكونون قادرين على السيطرة على مستقبلهم بعد ٣٠ حزيران. حتى لو كان ذلك محدودا من الجانب الأمني بوجود ١٥٠ ألف جندي دولي.

إننا نحتاج إلى تبني عدد من الخطوات التي سوف تحقق ثلاثة مبادئ أو أهداف رئيسية: بناء الشرعية للبرنامج الانتقالي - زيادة كفاءة السلطة العراقية الجديدة - تحسين الآلة الأمنية بشكل دائم. وكل هذه الأهداف الثلاثة تتطلب جهدا مكثفا لإعادة بناء الدولة العراقية المجزأة والمفككة حاليا.

فيما يلي توصياتي باختصار:

١ - ضرورة نفي أي آمال عسكرية في العراق. يجب أن نعلن بوضوح أننا لا نسعى لإقامة قواعد عسكرية دائمة في العراق (لن يوافق أي برلمان عراقي على مثل هذه المعاهدات) أن العراقيين يخشون من أن تكون لنا نوايا امبريالية طويلة الأمد في بلادهم. وهذا سوف يساعد في طمأنة مخاوفهم.

٢ - تحديد تاريخا واضحا لإنهاء الاحتلال العسكري. يجب أن نعلن أن السلام حل في العراق وهو قادر على حماية أمنه، وأننا ننوي سحب كل القوات الأمريكية من العراق. يجب أن نضع موعدا للانسحاب الشامل. ربما يكون هذا بعد ثلاث اربع سنوات قادمة ولكن تحديد موعد سوف

يقنع العراقيين بأننا جديون في رغبتنا مغادرة البلاد حالما يستتب الأمن -
وأن الاحتلال بكأشكاله سوف ينتهي.

٣ - الاستجابة لقلق العراقيين فيما يخص المحتجزين. نحتاج إلى تحقيق مستقل حول معاملة المحتجزين العراقيين بمشاركة دولية ويجب أن نطلق سراح أكبر عدد منهم والذين ليس هناك دليل أو شواهد قوية على تورطهم بأنشطة تمرد أو جرائم. لقد كان هذا موضع غضب العراقيين منذ نهاية الحرب وقد كان عاملاً مهماً في تغذية التمرد السني.

٤ - إعادة تنظيم وتسريع توظيف وتدريب الشرطة والقوات المسلحة العراقية. لقد كان تدريب الشرطة على الأخص كارثة تثير العجب. وليس هناك أمل في تجنب تجدد القهر أو الحرب الأهلية في العراق ما لم نهيئ الشرطة والقوات المسلحة العراقية السمتقلة عن ميليشيات الأحزاب والطوائف الدينية ويكون ولاؤها للحكومة العراقية الجديدة المنتخبة ديمقراطياً. يجب ألا يعرقل عملنا مرة أخرى المسؤوليات المقسمة وإنقاذ ماء الوجه البيروقراطي وتقييمات الموارد. يجب أن نجد أفضل وأكفاً الخبراء ونعطيهم كل الموارد التي يحتاجونها لإنجاز العمل.

٥ - العمل بمشاهدة على إنجاز خطتنا في نزع سلاح وتجميد واندماج الميليشيات المسلحة الرئيسية في الشرطة والقوات المسلحة. لن تكون هناك انتخابات حرة وعادلة في العراق - أو حتى سلام دائم - إذا كانت

القوى المتسلطة في البلاد هي تنويعا من الميليشيات الدينية والسياسية المناهضة للديمقراطية والمتصارعة فيما بينها. ويجب عزل ومجابهة وتنصيف الميليشيا الأكثر تطرفا وعداء للديمقراطية وخاصة جيش المهدي التابع لمقتدى الصدر - كما يجب نزع سلاحها بالقوة أو بالتهديد بالقوة. وبالنسبة لميليشيات البشمركة والمجلس الأعلى والدعوة والأحزاب السياسية الأخرى التي ابدت استعدادها للدخول في اللعبة السياسية، نحتاج إلى مفاوضات شاملة بدأت فعلا منذ عدة أشهر. وسوف يكون لدينا اليد الطولى في هذه المفاوضات إذا أجبرنا جيش المهدي على نزع السلاح بدلا من عرض إدماجه مع الشرطة والقوات المسلحة الجديدة. وبعيدا عن كردستان وهي حالة خاصة، يجب دمج مقاتلي الميليشيات في الشرطة والقوات المسلحة الجديدة بصفتهم الفردية وليس كوحدات منظمة بكامل هيئة قيادتهم.

٦ - إغراق حلفائنا بالأموال. وبوجه خاص، يجب أن نرفع رواتب الجيش والشرطة العراقية مقدمين لهم حافزا قويا للمخاطرة بحياتهم من أجل الانخراط والبقاء إلى جانبنا. وقد نرى من الضروري أيضا زيادة رواتب المجالس الإقليمية والمحلية وبشكل خاص يجب أن نضمن أن تدفع رواتب منتظمة لكل العراقيين الذين يشاركون في الدولة العراقية الجديدة.

وهناك خطوات عديدة أخرى يمكننا اتخاذها لمعالجة نقائص شرعيتنا

أمام الشعب العراقي والمجتمع الدولي:

٧ - جعل الحكومة المؤقتة العراقية تعتمد على شيء من القبول الشعبي. من المؤسف أن الوقت لا يسمح للاختيار الجيد للمؤتمر الوطني العراقي والجمعية الاستشارية المزمع انتخابها قبل ٣٠ حزيران، بحيث كان يمكن لأحد هذين الهيئتين التمثيليتين انتخاب المجلس الرئاسي ورئيس الوزراء والوزراء. وعلى أية حال من المهم أن تبدأ خطط الانتخاب غير المباشر لهاتين الهيئتين بعد ٣٠ حزيران. وحالما يتم اختيار الجمعية الاستشارية من قبل مؤتمر وطني عراقي شامل فسوف يكون لها القدرة على تعيين رئيس الوزراء والوزراء وحتى طردهم على الأقل من خلال (الاستفتاء على حجب الثقة) (الذي يطيح بالحكومة في حالة وجود إجماع مواز على حكومة جديدة).

٨ - السعي قدر الإمكان لتثبيت أدوات السيطرة الديمقراطية، حتى في الفترة المؤقتة. ولا أعتقد أن على مجلس الحكم الاستمرار في شكله الراهن. فهو ذاته يفتقر إلى الشرعية من خلال الوعي العراقي الواسع بعدم كفاءة المجلس وفساده. وإذا كان لدى بعض أعضاء المجلس قاعدة شعبية حقيقية فيمكنهم إثبات ذلك من خلال انتابات المؤتمر الوطني للجمعية الاستشارية وممارسة النفوذ من خلال هذا بالوسائل الديمقراطية. وقد ينتهي الامر بواحد أو أكثر من مجلس الحكم لترشيح في مناصب المجلس الرئاسي أو الحكومة الجديدة.

٩ -تهيئة تعيين محكمة عراقية عليا طبقا لقانون الدولة المؤقت حالما يكون هناك جمعية استشارية تستطيع أن تصادق على التعيينات. إذا أردنا لروحية وممارسة المبادئ الدستورية أن تنتشر في العراق فلا بد أن يكون هذا منذ بداية تسلم العراقيين للسلطة. لا ينبغي أن يقرر رئيس الوزراء أو مجلس الرئاسة بأنفسهم ماهو دستوري أو غير دستوري. لابد أن يكون هناك محكم حيادي، وبجبالا يكون هذا المحكم أمريكي أو من الأمم المتحدة. أن قانون الدولة المؤقت ينص على أن يقترح مجلس أعلى قضائي عراقي ثلاثة مرشحين لكل منصب من المناصب التسعة في المحكمة العليا ويقوم المجلس الرئاسي بالترشيح ويصادق عليه البرلمان الانتقالي. وهذه الطريقة الجديدة تتطلب إضافة مادة إلى ملحق قانون الدولة المؤقت.

١٠ -تثبيت شرعية الترتيبات المحلية والدولية للعراق بقرار من مجلس الامن. يجب أن يقر هذا القرار بالحكومة العراقية المؤقتة وحقها في تسمية ممثلها إلى الأمم المتحدة. وفيما بعد ذلك، يجب أن يعترف قرار مجلس الأمن أيضا بما يتم الوصول إليه من (اتفاقية وضع القوات) المؤقتة بين الولايات المتحدة والحكومة الانتقالية على أمل أن توسط أو مشاركة الأمم المتحدة. أن تدخل الأمم المتحدة وإقرار هذه الاتفاقية قد يمكن عددا من الدول الاخرى أن تساهم بقوات تساعد في استتباب السلم والأمن في العراق حتى تستطيع البلاد أن تدبر وأحدها مسائل أمنها.

١١ - يجب أن نفعل شيئاً في هذه الفترة للإقرار بالاعتراضات على قانون الدولة المؤقت. وهو الوثيقة الأكثر ليبرالية وتقدمية في العالم العربي. يمكن أن يفخر العراقيون بالكثير من ملامحه مثل لائحة الحقوق. ولكن على أية حال هناك جدال شديد حول عدد من مواده، بضمنها درجة حقوق الأقلية وتوازن القوى بين المركز والمحافظات والمناطق. وعلى الأقل يجب أن نقر بقوة أن القانون الانتقالي هو وثيقة مؤقتة وأن العراقيين سوف يكونون أحراراً وذوي سيادة لكتابة دستور دائم جديد (ويجب إدماج هذا الإعلان في قرار مجلس الأمن). قد يكون من الممكن على أية حال الذهاب إلى أبعد من هذا وتشجيع الأحزاب الرئيسية للتفاوض سريعاً على إدخال تعديلات بسيطة في ملحق القانون المؤقت لمعالجة بعض الاعتراضات التي أثرت.

أخيراً نحتاج إلى أن نفكر بشكل مبتكر لبناء نظام سياسي ديمقراطي قدر الإمكان.

١٢ - يجب أن نستثمر في دعم الشيعة المعتدلين العلمانيين الذين يعتمدون في تأييدهم على الأحزاب والحركات والاتحادات التي لا تملك ميليشيا مسلحة. على أمل أن تؤدي عملية اختيار المشاركين في مؤتمر وطني إلى وضع الكثير من هذه الوجوه في المقدمة.

١٣ - نحتاج بصورة ملحة إلى أن نساوي بين الأحزاب السياسية في التمويل. أن الأحزاب الكبيرة تجلس على موارد ضخمة أو تحصل على

تمويل هائل من الدول المجاورة خاصة إيران. فيما تتوسل الأحزاب السياسية الأكثر استقلالية وديمقراطية إلينا لدعمها. وحالما تؤسس إدارة منتخبة عراقية مستقلة علينا أن نساعدنا في خلق تمويل شفاف للدعم العادل لكل الأحزاب السياسية التي تكتسب قاعدة شعبية واضحة ويجب أن يكون التمويل كريما (ربما ضخ مبدئي قدره ١٠ - ٢٠ مليون دولار). مالم يتم التغلب على اللاتوازن الرهيب في التمويل لن تكون هناك انتخابات حرة وعادلة.

ياحضرات السادة، علينا في الواقع القيام بأكثر من هذا. كان يجب أن يكون لدينا المزيد من القوات في العراق - ربما ضعف مالدينا الآن. يجب أن نعتذر بوضوح من معاملتنا المشينة للمعتقلين العراقيين، ويجب علينا أن نحاسب كل الأفراد في تسلسل القيادة الذين كانوا في مواقع يمكنهم منها منع وإيقاف هذه الانتهاكات ولم يفعلوا.

لقد حاولت هنا أن أوصي بخطوات يمكن تحقيقها بضمن مواردنا، وجدول أعمالنا واستراتيجيتنا الشاملة. أن هذه الخطوات تشكل استراتيجية سياسية لتحسين شرعية البرنامج الانتقالي في العراق وشرعية وكفاءة الحكومة المؤقتة العراقية الجديدة. ولكن لاشيء من هذه الخطوات سوف يتحقق إذا لم نحرز تقدما في ضمان أمن البلاد.

منذ وقت طويل، صار من الواضح أن التحديات الثلاثة الكبيرة وهي إعادة الأمن وإعادة بناء الاقتصاد وإعادة بناء نظام الحكومة مترابطة فيما بينها. لا يمكننا إحياء الاقتصاد وإعادة بنائه وتوفير وظائف وكهرباء وإقامة حكومة عراقية جديدة فاعلة بدون تحسين الحالة الأمنية على الأرض بشكل كبير. ولكننا لانستطيع توفير الأمان ما لم يكن لدينا إطار عمل لقيادة ذات مصداقية وشرعية. أن مبادرة وفد الأمم المتحدة العامل مع سلطة الائتلاف المؤقتة، يحمل بعض وعد التقدم في المسألة الأخيرة. ولكن مازال أماننا الكثير لنفعله على جبهة الأمن ولن نصل إلى ذلك ما لم نقضي على أسوأ المجرمين والمخربين ابتداءاً من جيش المهدي. على الجبهتين الأمنية والسياسية فإن الاختيارات التي نقوم بها والإجراءات التي نتخذها من الآن حتى ٣٠ حزيران سوف يكون لها آثار مستديمة لمستقبل النظام السياسي في العراق.

"الصدمة والترويع" تتردد على المحافظين الجدد

ريتشارد درايتون

كان من المعتاد أن تفسر الفوضى التي اعقبت القصف والنهب الذي وقع وتدمير البنى التحتية والوزارات والمتاحف والمكتبة الوطنية وأرشيف الوثائق على أنها فشل في تخطيط رامسفيلد. ولكن هذا كان قناعا لتدمير الذاكرة الجماعية والدولة الحديثة لقطر عربي رئيسي وصناعة الفوضى من أجل خلق حاجة لوجود الاحتلال.

إن المفارقة المأساوية للقرن الواحد والعشرين هي أنه في الوقت الذي انهار الإيمان بالتكنولوجيا في أسواق الأوراق المالية الدولية في عام ٢٠٠٠، ارتفع شأنها في البيت الأبيض والبنتاغون. فقد كان طموح (مشروع القرن الأمريكي الجديد) هو الهمينة الكاملة حيث يمكن للبلاد أن تحارب وتتصر في حروب كبيرة متعددة في وقت واحد).. كان مثل وحش ولد وسط التدفق العالي للذروة التكنولوجية في التسعينات من القرن العشرين.

لقد تحدث الهييئون السابقون حول عصر الدلو وقيل لنا أن سقوط جدار برلين وظهور الإنترنت ساعد على تحقيق حلم آدم سميث حول الوفرة العظيمة. وانتشار الحرية والسلام الدائم. وتوقع فوكويأما أن التاريخ انتهى وليس أمامنا سوى الادخار والتبذير. وأن التكنولوجيا مثال جديد للنمو المستمر بدون تضخم أو ركود.

ولكن كانت هناك أحلام قاتمة تخيم على جامعات أمريكا العسكرية. وتوقع المنظرون لـ(ثورة في الشوؤن العسكرية) أن التكنولوجيا سوف تؤدي إلى هيمنة أمريكية يسيرة ودائمة على العالم. وقد نصح اللفتنانت كولونيل رالف بيترز حول "حروب المستقبل" في كلية الحرب العسكرية - متنبأ في عام ١٩٩٧ بقدوم "عصر الصراع المستمر". وساعد توماس بارنيت في كلية الحرب البحرية نائب الأدميرال سيرروسكيفي تطوير "حرب مركزية الشبكة".

والجنرال جون جمبر من القوة الجوية توقع كوكبا يمكن بسهولة السيادة عليه من الجو والفضاء. سوف تنتصر القوات الأمريكية في كل مكان لأنهم يمتلكون ماسمي بدون خجل (عين الله) وهي الأقمار الصناعية و(GPS شبكة المعلومات الكونية). وسوف يتم الترحيب بهذه الهيمنة باعتبارها الحافة المسنونة للتقدم البشري. أو في أسوأ الحالات كما أوضح الخبراء العسكريون:

إن قوة أمريكا سوف ترعب الآخرين فيخضعون لها.

الصدمة والترويع: الوصول إلى هيمنة سريعة - وهي وثيقة استراتيجية مهمة نشرت في ١٩٩٦ بهدف فهم كيفية تحطيم (القدرة على المقاومة قبل وأثناء وبعد المعركة).

وبالنسبة لهارلان اولمان من جامعة الدفاع الوطنية وهو مؤلفها الرئيسي، أن أفضل نموذج هو القنبلة الذرية على هيروشيما. ولكن بمثل هذا السلاح أو بدونه يمكن خلق وهم قوة وقسوة لا نهاية لها. أو يمكن حرمان العدو من القدرة على الاتصال والملاحظة والتفاعل - وهو يشابه الحرمان من الحواس حين إخضاع الأفراد لها - وهذا يخلق (إحساسا بالعقم) ويجب دائما توقيع عقوبات وحشية على من يقاوم.

بديل لذلك هو نموذج (التحلل والإهمال) حيث تنهار إرادة شعب ما على المقاومة من خلال (فرض انهيار اجتماعي).

وقد طبقت كل هذه الطرق على العراق في ٢٠٠٣. ليس فقط في القصف الذي سمي "الصدمة والترويع" في مارس. كان من المعتاد أن تفسر الفوضى التي أعقبت القصف والنهب الذي وقع وتدمير البنى التحتية والوزارات والمتاحف والمكتبة الوطنية وأرشيف الوثائق على أنها فشل في تخطيط رامسفيلد. ولكن هذا كان في جزء منه قناعا لتدمير الذاكرة الجماعية والدولة الحديثة لقطر عربي رئيسي وصناعة الفوضى من أجل خلق حاجة

لاشراف الاحتلال. كما نشرت صحيفة *suddeutschezeitung* في آيار ٢٠٠٣: حطمت القوات الأمريكية أفعال المتاحف والوزارات والجامعات وقالت للناهيين "ادخل يا علي بابا. إنها لك".

كان المخططون الإمبرياليون الأمريكيان يؤمنون بعمق أنه من خلال نشر الرعب يمكنك الهيمنة. والمحافظون الجدد من أمثال بول وولفوفتزر وريتشارد بيرل ولويس سكوتزليبي الذي اتهم مؤخرا، تعلموا من ليو شتراوس أن اقلية قوية وحكيمة من البشر يمكنها أن تحكم الأقلية الضعيفة من خلال الخداع والخوف وليس من خلال الإقناع والتوافق. كانوا قد قرأوا لو بون وفرويد حول علاقة الجماهير بالسلطة. ولكن أكثر ما أعجبوا كانت نظريات هوبز في (اللوثيان). في حين كان هوبز يرى أن السلطة هي اختيار الرجل الحر لحل نواقص الفوضوية، فإن ورثته في القرن العشرين يسعون إلى خلق خوف يؤدي إلى الخضوع. والتكنولوجيا سوف تجعل من ذلك ممكنا وجميلا.

ضمن شعار مكتب وعي المعلومات التابع للبتاغون هذه الجملة (المعرفة قوة). والهدف المعلن لهذا المكتب هو (وعي معلوماتي شامل) عين بصيرة بكل شيء تصب حدقتها أشعة الموت على أوراسيا (أوروبا وآسيا). وقد دفع الضغط الكونغرسى إلى إغلاق هذا المكتب ولكن من الناحية التقنية مازالت النظرية السياسية نصف المهضومة وهوس الإحساس

بالضخامة يسيطر على التفكير الأمريكي. يدعو بارنيت في (خارطة البنتاغون الجديدة وبرنامج العمل) إلى (قوة (مدير الانظمة) لمرافقة الجيش من أجل (معالجة) الدول المهزومة ويقول بارنيت أن الثمانية الكبار وبعض الآخرين هم (نواة كانطية- من الفيلسوف كانط) مهمتهم تصدير اقتصادهم وسياساتهم بالقوة إلى (الفجوة الهوزية) غير المحظوظة. وكان تصور الامبريالية كوسيلة صناعية لإعادة تشكيل المجتمعات والثقافات في حين تمنح التكنولوجيا حصانة للمتدخلين.

حرب أفغانستان عام ٢٠٠١ اعطت الدروس الخاطئة. وقد افترضت أمريكا أن هذا هو نموذج يبين كيفية إدارة حملة صغيرة يتزعمها القوات الخاصة وباستخدام عملاء محليين وباستخدام الضربات الجوية يمكن القضاء على أي معارضة، ولكن كل الذي بينته أفغانستان هو كيفية تدخل قوة خارجية في حرب أهلية متوازنة. وكان هروب ملا عمر ذي العين الواحدة على دراجته النارية تحذيرا على أن (عين الله) يمكن أن تخطئ التفاصيل البشرية.

المشكلة مع الولايات المتحدة اليوم هو أن (اللويثان) قد أطلق حشوته. وقد فضح العراق عنجھية الاستراتيجية الطبيعية الإمبريالية. شعب واحد صغير يمكن أن يقيد قوة متفوقة. والنفوق الجوي والفضائي لا يعطي أوامر على الأرض. والشعب لا يمكن إرهابه من أجل الخضوع لأمريكا. لقد

برهنت الولايات المتحدة على قدرتها الفائقة في التدمير الشامل ولكن ليس الخلق أو حتى السيطرة. أفغانستان والعراق مدمران ولكن المحتلون مع ذلك يختبئون خلف جبال كونكريتية.

وتدور ماكنة نسج الأكاذيب بأقصى طاقتها لإظهار العراق وكأنه نموذج ناجح. ويؤكد بيترز في (المجد الجديد: توسيع تفوق أمريكا): (أن بلادنا قوة لم يسبق لها مثيل تعمل من أجل الخير) وبارنيت في (برنامج عمل) يقول (الجيش الأمريكي قوة لخير الكون لا نظير لها) وكلاهما يقدمان خططا طموحة حول كيفية استعداد أمريكا لإعادة خلق العالم الثالث على شاكلتها. وهنا نلاحظ هستريا عنيفة في هذه الادعاءات. لقد انتهت نرجسية ما قبل عشر سنوات خلت إلى هياج غاضب ضد من يقاوم إرادة أمريكا منذ ٢٠٠١. وكلاهما يتوعدان بوحشية تدمير أية مقاومة. في تشرين الثاني ٢٠٠٤ بيترز قال لشبكة فوكس للإخبار أن في الفلوجة (أفضل نتيجة بصراحة هي أن يقتلوا جميعا) ولكنه يوجه غضبه الحقيقي إلى فرنسا وألمانيا (مثل ساحرة عجوز خدرت أوروبا حواسنا وخدعتنا لتصدق مفاتها ولكن الائداء جافة في ألمانيا وفرنسا. لقد خدعونا باطالة المسألة أكثر من اللازم في حين كان يجب أن نوجه انتباهنا إلى الهند وجنوب أفريقيا والبرازيل).

وفي حين أن معالجا جيدا يستطيع أن يساعد بيترز في أزمة فطامه فإن أمريكا لن تشفى من خليط البارانونيا وهوس الإحساس بالضخامة إلا بنفسها،

وبريطانيا والحلفاء الآخرون يمكنهم المساعدة. تحتاج أمريكا لاكتشاف مثل طفل لا يعرف حدوده أن هناك عالما خارج جسدها ورغباتها وبعيدا حتى عن منال العابها، عالم يعاني أيضا .

ترجمت المقالة في ٣-١-٢٠٠٦

-
- درايتون أستاذ محاضر في التاريخ بجامعة كامبردج.
 - ريتشارد درايتون - (الجاردان ٢٨-١٢-٢٠٠٥)

السيناريو الأمريكي القادم

بيبي اسكويار

لكن السيناريو المتوقع لما بعد كانون الأول/ديسمبر (٢٠٠٦) للعراق هو: عراق يستعبده صندوق النقد الدولي، وشركات النفط الكبيرة توقع اتفاقيات إنتاج مشترك يسهل لها اللعب، وانسحاب "جزئي" للقوات، ومعارك مقاومة لا تنتهي، ومزيد من التفكك الذي يفتح الطريق للتقسيم.

"الاستمرار في الطريق يعني أيضا ألا نترك المهمة قبل إنهاؤها. وهذا.. إننا ماضون في انهاء المهمة في العراق. ومن المهم أن ننهي المهمة في العراق" - جورج بوش، ١١ تشرين أول / أكتوبر ٢٠٠٦.

العراق ليس فقط قضية انتخابية أمريكية. أنها مأساة انسانية بمقاييس تاريخية. ومن هنا ضرورة أن نضع المأساة في هذه المرحلة في مضمونها التاريخي.

في عام ٧٥٠ الميلادي قامت الخلافة العباسية باجتثاث البداوة من الإسلام بعد أن أنهت الخلافة الأموية في دمشق. ولم تعد الثقافة في البلاط العباسي ثقافة عربية فقط وإنما شملت الفرس والأتراك. وأصبح الإسلام دينا عالميا لا تحده الجغرافية. وأصبحت "بلداك" وهي بغداد كما كان المسافرون الأوروبيون يسمونها مركز العالم حتى نهاية القرن الثامن عشر.

من ٧٨٦ إلى ٨٠٩ ميلادية وفي ظل حكم هارون الرشيد الأسطوري الذي أقام علاقات مع سلالة تانج في الصين و"الإمبراطور الأمي" شارلمان - أعطت بغداد العالم الفلك والكيمياء وعلم الهيدروليكا والدبلوماسية والإدارة المالية والخدمات البريدية. وبقيت حتى بداية القرن الثاني عشر، أهم مركز فكري في العالم.

لقد وقعت بغداد تحت حصار الآشوريين ومن ثم الفرس ولكن في عام ١٢٥٨ نهبت بغداد لأول مرة بما يشبه الغزو الأمريكي - فقد أغار المغول بخيولهم السريعة سرعة البرق تحت قيادة هولوكو حفيد جنكيز خان الاسطوري وقيل أنه أقام هرما من ٧٠٠ ألف جمجمة لضحاياه.

في عام ١٤٠١ كان هناك غزو آخر وهذه المرة من المغولي التركي تيمورلنك الذي دمر بغداد مرة أخرى. في ٢٠٠٣ بعد تدمير "الصدمة والرعب" جاءت الجيوش المسيحية للرئيس جورج بوش. ومن أول وهلة كانت المقارنات مع هولوكو وتيمورلنك واضحة في المخيلة الشعبية. فعلى

مر الايام كان البغداديون - سنة وشيعة - يقولون: سوف نملي إبقاعنا ونفرض أنفسنا على المحتلين. وهذا ما يحدث الآن.

إن مستنقع العراق ليس لعبة فيديو في القرن الواحد والعشرين يلعبها العرب في ارماجدون بحركة بطيئة. أن هذه قصة مؤلمة تجري فيها انهار دم حقيقي وتراكم فظيع لجثث حقيقية. والقصة تم تأليفها في واشنطن - ولم تكن الحكمة لتستمر بدون الولايات المتحدة الأمريكية. أن الولايات المتحدة تتحمل كل المسؤولية الأخلاقية والقانونية لدمار عاصمة الخلافة الأسطورية السابقة والجناح الشرقي للأمة العربية.

وفي هذا المضمون يجب وضع الشعار الراهن السائد في الولايات المتحدة الآن.

يعكس شهر رمضان الدموي في العراق الآلية الجهنمية التي أطلقها الغزو والاحتلال - حفلات الموت اليومية المرعبة التي يقيمها إرهاب ترعاه الدولة ويلهبه حقد طائفي أو انهيار كامل للعقد الاجتماعي.

إن منطق تصفية مجتمع وثقافة هو من صلب النهج الجاري منذ مارس ٢٠٠٣. وفي الواقع جرى قضاء منهجي على ٢-٣% من سكان العراق حسب دراسة مجلة لانسيت الأخيرة، ناهيك عن مليون من الناس الذين هجروا من أماكنهم منذ مارس ٢٠٠٣ وأكثر من ٥٠٠ ألف طفل مات

خلال التسعينات وهم ضحايا العقوبات الدولية. لقد تعرض العراق إلى تدمير منهجي متواصل لأكثر من ١٥ سنة بدون توقف.

وهو يزداد سوءاً لأن إدارة بوش تعتبر كل هذا الموت والدمار تفصيلاً هامشية في (الصورة الكبيرة).

وفي تكرار مرعب لما حدث في الغابات الفيتنامية، خسر البنتاغون حرب العصابات التي تشن في الحزام السنّي. لقد تم الاستعداد الكامل للعرب السنة. سبعون بالمائة منهم يساندون الهجمات ضد المحتل بدون أي تحفظ. ولا عجب أن صدام حسين مازال محبوباً. ففي هذا الشهر اجتمع حوالي ٥٠٠ رئيس عشيرة عربية ومسؤولون من حزب البعث في الشرطة والجيش والاستخبارات معا في الهندية التي تبعد ٢٥ كم من كركوك من أجل أن يجددوا البيعة لصدام الذي وصفوه بأنه "القائد الأعلى والرئيس الشرعي".

صحيح أن نظام صدام بدأ بالتفكك من الداخل بعد حرب الخليج في ١٩٩١ - وهي عملية ترافقت مع التأثيرات المدمرة للعقوبات الدولية. وقد سارع كل ذلك التدمير لروح المجتمع المدني في إعادة العراق إلى نظام العشائر. وحتى رغم أن الانتماء للعشيرة هو الطريقة الوحيدة الآن لحل المشاكل في العراق، فإن الأغلبية الصامتة لا يهتمها سوى الأمن: لا أحد من هؤلاء يهتم بما يراه الغرب من انقسامات سنّية شيعية، ومعظم العرب والأكراد والتركمان يتشاركون في الكثير من المصالح الاجتماعية والثقافية

والتجارية. وبعكس الأسطورة التي خلقها الغرب فإن المجتمع المدني العراقي ككل - ماعدا بعض الطوائف - يمقت الحرب الأهلية.

تحالف النهب

يجب على الرأي العام العالمي أن يتحول إلى إشارة الخطر الحمراء. لأن مستقبل العراق الحقيقي وليس الافتراضي سوف يتقرر في كانون الأول. والمسألة هي أن قانونا جديدا للنفط - يمكن تسميته على حقيقته (برنامج الدين مقابل النفط) سوف يفرضه صندوق النقد الدولي. وهذا هو الهدف الحقيقي للغزو الأمريكي - عوائد استثمار مئات البلايين من الدولارات من اموال دافعي الضرائب الأميركيان التي صرفت على غزو واحتلال العراق. أنها ليست حربا تشنها السياسة بطرق أخرى وإنما هي حرب لفتح سوق حر بطرق أخرى - وهي الانخراط الأمريكي الكامل في مركز حروب الطاقة والموقع الجيوستراتيجي المثالي لـ "استثناس" روسيا والصين في المستقبل القريب.

لم يتوسع أي من المراقبين في هذا الموضوع كما أن وسائل الإعلام الأمريكية السائدة التزمت صمتا رهيبا.

لقد هبط وزير الطاقة الأمريكية صامويل بودمان في بغداد في الصيف وأصر على ضرورة قيام العراقيين بـ "تشريع قانون الهيدروكربون والذي بموجبه

تستطيع الشركات الأجنبية أن تستثمر"، وقد وافق وزير النفط العراقي حسين الشهرستاني وقال إن القانون سوف يشرع في نهاية ٢٠٠٦ كما وعدوا من قبل صندوق النفط الأجنبي.

(هذا هو قانون الاستثمار الذي ناقشه برلمانهم قبل فترة وبتسرع غير منطقي - المترجمة).

وبدون عجب: فقد كان من واجب أمراء السفارة الأمريكية في المنطقة الخضراء أن يبسطوا هيمنتهم - من خلال خدمهم العراقيين الذين ينفذون الطلبات بأجور عالية - في وزارة النفط إضافة إلى أصحاب المناصب الإدارية المهمة في الوزارات العراقية المهمة. فإن مسودة قانون استثمار الطاقة راجعه صندوق النقد الدولي وبودمان ورؤساء شركات النفط الكبار. ولكنه لن يسمح للمجتمع العراقي المدني مراجعته أو إبداء الرأي فيه: بل ترك هذا للبرلمان العراقي المؤلف من طوائف يمكن شراؤهم بسهولة بحفنة دنانير.

إدارة بوش تريد شخصا لتوقيع القانون. أن أمة العراق كما تشكلت بالخطة الإمبريالية البريطانية هي كيان اصطناعي لا يمكن "ترويضه" إلا بحاكم قوي مثل صدام حسين. وطبعاً لا بد أن يكون الرجل القوي هو "رجلنا" وإلا يدمر كما فعلنا بصدام حسين. وقد انتشرت مؤخراً شائعات حول انقلاب تدبره الولايات المتحدة لاستبدال رئيس الوزراء الخائب نوري المالكي.

والمسكين المالكي إذا تشبث بأقل حد من الوحدة الوطنية لا يمكنه بطبيعة الحال توقيع قانون النفط. وهنا لابد أن يأتي الرجل القوي الذي تدعمه واشنطن والمنطقة الخضراء: والمرشح المحتمل هو رئيس الوزراء السابق اياد علاوي الذي أمر بتدمير الفلوجة عام ٢٠٠٤.

لايهم ماذا يحدث في انتخابات نصف المدة الأمريكية في الشهر المقبل، ولكن السيناريو المتوقع لما بعد كانون الأول للعراق هو: عراق يستعبده صندوق النقد الدولي، وشركات النفط الكبيرة توقع اتفاقيات إنتاج مشترك يسيل لها اللعاب، وانسحاب "جزئي" للقوات، ومعارك مقاومة لا تنتهي، ومزيد من التفكك الذي يفتح الطريق للتقسيم.

قطاعات كبيرة من الناخبين الأمريكيين قد فهموا الآن أن المغامرة العراقية بنيت على أكاذيب: أكاذيب حول أسباب الحرب وأكاذيب حول منهجية الحرب وأكاذيب حول النتائج الفظيعة للحرب. ولهذا لن يكون هناك معنى للشعارات الجديدة المتعلقة بالعراق التي تسود الإعلام الأمريكي الآن. وهي تشمل "انسحاب مرحلي" "تمكين الحكومة العراقية" "وضع الأمن مقدما على الديمقراطية" "تقسيم العراق". أن سريرية العلاقات الدولية سوف تصل أعلى ذروتها (أو انحدراتها) حين تأمر الولايات المتحدة دولة ذات سيادة أن تفكك نفسها، وبالمقارنة مع ذلك فإن المذابح الحالية في بغداد -التي قسمت فعليا - سوف تعتبر قطرة في بحر لما سيأتي.

وهناك المزيد: اليأس الشكسبييري حول "إعادة الانتشار والاحتواء" أو "الأمن أولاً" وهي الشعارات التي صاغتها مجموعة بحث العراق لجيمس بيكر صديق عائلة بوش التي تضم الكثير من المحافظين الجدد المؤيدين لحرب العراق. ويبدو أن ضحية الشعار الجديد للحرب هو الشعار القديم "الاستمرار في الطريق" وقد استبدله السكرتير الصحفي للبيت الأبيض توني سنو بشعار "دراسة في حركة مستمرة". على أية حال فإن الفائز بعد الانتخابات في تشرين الثاني - سيكون "الاستقرار أولاً" وهو أصلاً تنويع على "الاستمرار في الطريق".

كيف يمكن للأمريكان - والرأي العام العالمي - أن ينهمك في نقاش جاد مثمر عندما تختصر مأساة العراق إلى مجرد لفظ إعلامي؟ هذه الدوامة الغامضة، هذه "الدراسة في حركة مستمرة" هي الصورة الزائفة لمناقشة السياسة العراقية بين الصفوة المثقفة.

قراءة أخرى أكثر تشاؤماً. وهي تنذر بأن إدارة بوش والصفوة الملحقة بها تفقد السيطرة على كل شيء. ولهذا السبب يمكن أن يصبحوا أكثر خطراً. في ١٩ تشرين الأول، كرر نائب الرئيس ديك تشيني بأن الطريق الوحيد للخروج من العراق هو "النصر التام". ويوضح مثال تاريخي حديث كآبة هذا الخيار. حين جابهت الولايات المتحدة الهزيمة في فيتنام، لم تعد

الانتشار والاحتواء" بل على العكس، امتد الموت والدمار إلى لاوس وكمبوديا. أن شعار بيكر "الاستقرار أولاً" قد يتضمن عناوين فرعية أخرى سرية.

إن تعبير "النصر التام" في عالم ديك تشيني يعني أن إدارة بوش لم ولا و لن تهتم بـ"ديمقراطية" العراق أو الشرق الأوسط. فما يهم هو السيطرة على أخف وأروع واثمن نפט خام في كوكب الأرض. فإن ١١٢ بليون برمیل منه احتياطي إضافة إلى ٢٢٠ بليون برمیل يمكن استغلالها الآن بكلفة دولار واحد للبرمیل، ومجموعة من القواعد العسكرية وأكبر سفارة/ قلعة على دجلة في العالم ونظام عمیل لايمكن الاستغناء عنه.

باختصار "تحالف النهب" الذي تؤمنه آلة الحرب الأمريكية طويلة الذراع.

ويتوقف على بغداد التاريخ والمجد أن تخرب لهم الحفلة. لقد عاشت بغداد ودفنت هولاکو وعاشت بغداد ودفنت تيمورلنك وستعيش بغداد وتدفن جورج بوش .

المصدر: آسيا تايمز

ترجمت ٢٨/١٠/٢٠٠٦

- بيبي اسكوبار- محلل جيوسياسي مستقلي كتب لكثير من المواقع عوكان سابق امراسال موقع آسيا تايمز على الانترنت. ولد في البرازيل وعاش في عدة مدن غربية وآسيوية مؤلف لعدة كتب

احذروا غلاديو!

كريس فلويد

"عليك أن تهاجم المدنيين: الناس والنساء والأطفال، الأبرياء..
الناس المجهولين البعيدين عن أية لعبة سياسية. السبب بسيط
جدا: لإجبار الجمهور على اللجوء للحكومة لتوفير أمان
أكبر".

هذا كان أساس عملية غلاديو وهي حملة إرهاب وخذاع سرية تجري
منذ عقود طويلة وتديرها أجهزة الاستخبارات في الغرب.. ضد مواطنيهم.

مئات من الناس الأبرياء قتلوا أو أصيبوا بعاهاات في هجمات إرهابية
- في محطات القطارات والأسواق وفي المقاهي والمكاتب - ثم يتهم بها
(اليساريون) أو أي خصم سياسي آخر. الهدف كان كما قال عميل الغلاديو
فنتشينزو فنتشيجيرا، شيطنة الأعداء المقصودين وتخويف الجمهور لدعم
منح سلطات أكبر لقادة الحكومة وأزلامهم.

كان أول من أفصح عنها هو رئيس الوزراء الإيطالي جيليو اندريوتي في ١٩٩١، وغلاديو (الكلمة اللاتينية للسيف) مازالت محمية من قبل CIA وM16. ومع ذلك فإن التحقيقات البرلمانية في إيطاليا وسويسرا وبلجيكا استطاعت نفذ بعض أجزاء الحقيقة على مدى السنوات الماضية. وقد جمعت هذه في كتاب جديد بعنوان "جيوش الناتو السرية: العملية غلاديو والإرهاب في أوروبا الغربية" من تأليف دانييل غانسير كما تقول ليلى راجيفا في موقع commondreams.org

وفي الأساس كانت هذه الجيوش بشكل شبكة نائمة يمكن إحيائها خلف خطوط العدو في حالة حدوث غزو سوفيتي لأوروبا الغربية، ولكن غلاديو توسعت لتصبح أداة للقمع والاستغلال السياسي ويديرها الناتو وواشنطن. باستخدام الميليشيات اليمينية وأفراد العصابات الإجرامية وأنصار الحكومة والوحدات العسكرية السرية، لم تنفذ عملية غلاديو إرهابا واسعا واطيالات وتزييفا انتخابيا في الدول الديمقراطية مثل إيطاليا وفرنسا وألمانيا الغربية فقط، وإنما ساندت طغاة في إسبانيا والبرتغال وشجعت انقلابا عسكريا في اليونان وساعدت تركيا في قمعها للأكراد.

ومن بين "المسدسات المدخنة" التي كشف عنها غانسير وثيقة صادرة عن البنتاغون، دليل الميدان FM 30-31B التي تصف بالتفصيل طريقة شن

هجمات إرهابية في الدول التي "لا تستجيب بشكل مؤثر فعال" ضد "التخريب الشيوعي".

وللمفارقة فإن الدليل يبين أن أكثر اللحظات خطورة تأتي حين تتخلى جماعة يسارية عن "استخدام القوة" وتحتضن العملية الديمقراطية. عند ذاك " يجب أن يكون للاستخبارات العسكرية الأمريكية الوسائل لشن عمليات خاصة من شأنها أن تقنع حكومات الدول المضيفة والرأي العام فيها بخطر المتمردين. ومن الطبيعي أن هذه العمليات الخاصة كما ينص الدليل يجب أن تظل سرية تماما.

بالتأكيد لن ينفذ ذلك عائلات ٨٥ شخصا تمزقوا إلى أشلاء في ١٩٨٠/٨/٢ بعد قصف محطة قطار بولونيا أن يعرفوا أن أحياءهم قتلوا بواسطة "رجال داخل مؤسسات الدولة الإيطالية. رجال مرتبطون بهياكل المخابرات الأمريكية. " كما جاء في تقرير مجلس النواب الإيطالي بعد التحقيق الذي أجراه في عام ٢٠٠٠.

إن فظائع بولونيا هي نموذج لما يسميه مخططو الغلاديو "استراتيجية التوتّر" وهي تخمير الخوف من أجل الحفاظ على ولاء السكان للقادة الأقوياء الذين سيحسون الأمة من الخطر الإرهابي الحاضر دائما. وكما تلاحظ ريجيفا فإن هذه الاستراتيجية لم تكن مقصورة على أوروبا الغربية وإنما طبقت بآثار رهيبية في أمريكا الوسطى من قبل إدارتي ريغان وبوش. خلال الثمانينات

كانت فرق الموت اليمينية وجيوش العصابات وقوات الأمن الرسمية المسلحة والمدربة والمجهزة من قبل الولايات المتحدة تقوم بقتل مئات الألوف من الناس في المنطقة وعادة تتصرف بوحشية خاصة في تلك الأوقات التي توشك الحلول السلمية للصراعات على النجاح.

في الشهر الماضي أشيع على نطاق واسع أن البنتاغون يخطط لبرنامج مماثل في العراق. ولكن ما لم يذع على أية حال - إلا في صحف عراقية - هو أنه هناك على الأقل فرقة موت تابعة للاحتلال دخلت الساحة العراقية. وبعد أيام من كشف خطط البنتاغون، بدأت فرقة مقاتلة جديدة باسم (سرايا عراقيا) تقدم كميات ضخمة من النقد الأمريكي مقابل رؤوس المقاومين - حتى ٥٠ ألف دولار كما قالت صحيفة الاتحاد العراقية. وقد أعلنت الجماعة أن "نشاطنا لن يكون انتقائيا"، مما يعني أن أي شخص يعتبرونه عدوا للدولة سيكون طريدة لهم.

ومن الغريب أنه ما أن أقرّ البنتاغون عمليات على طراز غلاديو في العراق، سادت موجة فجائية من الهجمات الإرهابية على أهداف مدنية تثير الغضب مثل المستشفيات والمدارس كما تقول الجارديان. وفي أعقاب انتخابات محلية حيث أيد فيها اغلبية القوائم الانتخابية التي تعد بإخراج المحتلين من العراق، لكن تصاعد مذابح المدنيين أكدت الحاجة القصوى للقوات الأمريكية لتظل في العراق إلى ما لا نهاية من أجل توفير الأمن ضد هجمات "الإرهابيين". في نفس الوقت يستمر البوشيون في بناء قواعدهم

المستديمة في العراق وهي قلاع من أجل حماية النفط الذي وعد حكام العراق القادمون ببيعه إلى الشركات الأمريكية وتوفير المرافق لهيمنة جيوبوليتيكية.

ربما يكون مصادفة ولكن تاريخ الصفوة الأمريكية في توجيهه وتدبير هجمات إرهابية ضد سكان ابرياء، هو من الاتساع والقبول حتى أن المرء يتساءل عن أصل كل فعل إرهابي في العالم. مع كل فظاعة جديدة نحن مجبرون على التفكير: هل هذا فعل إرهابي "حقيقي" أم "عملية سوداء" تقوم بها أجهزة الاستخبارات أو كلاهما معا؟

ويظل السؤال اللاتيني القديم هو أفضل دليل لاختراق الأعمال الدموية للإرهاب العصري: من يستفيد؟ أي قوى وأي سياسات يسهم هذا الفعل على تصعيدها؟ لأن "ستراتيجية التوتر" تعني بلا جدال القوة والريح لأولئك الذين يزعمون امتلاك مفتاح الأمن. ومن قاعات الكرملين إلى ضفاف نهر بوتوماك، فإن هذه الاستراتيجية القاتمة هي الأيديولوجية الحاكمة في عصرنا هذا .

المصدر: موسكو تايمز ٢٠٠٥/٢/١٨

أمريكا سوف تهزم في العراق

فرانك ديوليو

ربما تكون هذه المقولة جريئة باعتبار النصر العسكري الساحق الذي استغرق أقل من شهر.

ولكن على أية حال، يجب على المرء أن يتذكر أن الحروب في النهاية هي أداة للسياسة، طريقة لإجبار غريمك على الأخذ بوجهة نظرك (رغم أنها طريقة قذرة يجب أن يتم اللجوء إليها كملاذ أخير).

وإذا اقتنعنا بذلك، فإن الحروب التي اعتبرت (نصرا) يجب أن تعتبر (هزيمة) لفشلها في تحقيق أهدافها السياسية.

مثال على ذلك هو فيتنام. إذا تأملت أعداد الإصابات للحرب الأمريكية تلك سترى أنه مقابل كل أمريكي مات، هناك على الأقل ٢٠ ضعفا

من الفيتناميين الشماليين قد قضاوا نحبهم. ونظريا، إذا كانت الحرب قد استمرت لعدد (س) من السنين لكانت أمريكا كسبت الحرب بإنهاك الخصم.

ولكن هذا هو السبب بالضبط الذي جعل من الحرب هزيمة. فهي لم تحقق أيا من أهدافها السياسية مثل التهدئة أو التوحيد وماشابه.

وهكذا استمرت المقاومة واستمرت واستمرت حتى كانت في النهاية ارادة الفيت كونج أقوى من إرادة الشعب الأمريكي فكان الانسحاب.

وسيحدث نفس الشيء في العراق وستكون الحرب هزيمة للأمريكان. إن مراجعة لأهداف ما قبل الحرب سوف تؤكد هذا الرأي.

أول هدف للحرب كان لمنع نظام ديكتاتوري من الاحتفاظ بأسلحة دمار شامل. وحسب الأدلة الراهنة، كان هذا الهدف مستحيلا لأن النظام المعني لم يكن في الواقع يمتلك أسلحة دمار شامل. إضافة إلى ذلك، أن مصداقية أمريكا قد دمرت أمام العالم كله (وأمام ملايين المناهضين للحرب وهانز بليكس وسكوت ريتز والآخرين الذين أكدوا أنه لا توجد أسلحة دمار شامل في العراق).

هدف آخر معلن للحرب هو منع العراق من التعاون مع منظمات إرهابية مثل القاعدة. وباعتبار كمية الهجمات التي تشن على قوات الاحتلال، ندرك أن الحرب قد زادت من أعمال العنف.

هدف معلن آخر هو ديمقراطية العراق وجعله نموذجا للعالم العربي، وهي حبكة طموحة كان الروائي د. هـ. لورنس سيتمنى لو فكر بها. وإذا تجاهلنا افتقار أمريكا للخبرة في هذا المجال، فإن الخطة الآن قد تحولت إلى منع انتخابات مباشرة وإجبار العراقيين على القبول بانتخابات جزئية (ونحن نعرف كيف نجح مثل هذا النظام في انتخابات عام ٢٠٠٠). وملاحظة أخرى لا بد من إدراجها وهي أن العراق على شفا حرب أهلية وهي عارض معاكس محتمل آخر.

الهدف (الرسمي) الأخير للحرب هو تحرير شعب العراق من صدام وأعوانه. وفي هذا المجال، ركزت إدارة بوش على القصور بالمقارنة مع حجات التعذيب والقبور الجماعية لإظهار الجانب الشرير في النظام. وإذا كان البعض قد تحرر فعلا من القهر فإن الجميع الآن يتعرضون بدلا من ذلك للقصف والاختطاف والبطالة إلخ. وإذا كانت الحكومة السابقة تقتل أو تجوع معارضيهما فإن ذلك أصبح الآن ساريا على الجميع بشكل عشوائي ويصدر من كل الأطراف.

الآن نأتي إلى بعض الدوافع (غير الرسمية) للحرب وفي هذا الميدان ستشعر أمريكا بالأذى حقا إذا اضطرت إلى مغادرة العراق دون تحقيقها (كما أن عدم تحقق الأهداف الرسمية يضر بالشعب العراقي وحده).

الهدف الأكثر وضوحا للحرب هو النفط كما أشار مناهضو الحرب إلى ذلك بطرق شتى. وحيثان النظام الديني في المملكة العربية السعودية غير مستقر، فإن الاستيلاء على العراق سيكون دعما جيدا للمستهلك رقم واحد للنفط في العالم. وعلى أية حال، إذا اضطرت أمريكا إلى الخروج من العراق بدون أن تضع حكومة عميلة ترعى مصالحها (ويبدو أن الشعب العراقي لن يرضى بحكومة عميلة) إذن سيظل هذا الهدف الخفي للحرب بدون تحقيق.

وسبب آخر غير مععلن للحرب هو إعادة تشكيل الشرق الأوسط بالاحتذاء بنموذج العراق. الأكراد يريدون دولة خاصة بهم أو فيدرالية مع حكم ذاتي على أسوأ الفروض. والشيعية يريدون انتخابات مباشرة تؤكد أحقيتهم بالحكم، والسنة يريدون العودة إلى الأيام الخوالي حيث كانوا يحكمون. وهكذا فإن الأوضاع مرشحة لحرب أهلية أو تفتيت البلاد. إذا كانت هذه هي الخطة للشرق الأوسط، إذن ستبدأ المشاكل التي ستؤدي حقا المصالح الغربية في هذه المنطقة.

سبب خفي آخر للحرب هو رغبة القوة الأمريكية العظمى في استعراض عضلاتها، والعراق الذي أضعفته العقوبات المفروضة عليه لأكثر من عقد من السنين، كان أفضل مكان لاستعراض القوة بدون خسائر تذكر. ولكن المفاجأة أن المقاومة كانت أقوى مما كان الظن السائد، وقد أثبتت هذه المقاومة أنها قادرة على قتال الأمريكيين في حرب عصابات. وإذا

غادرت أمريكا العراق دون أن تحقق أهدافها الخفية والمعلنة، ستقوى شوكة الإسلام الاصولي والحركة القومية العربية لاشتراكهما في إعادة الإمبراطورية مجروحة إلى ديارها.

وقد يرى البعض أن من الأسباب الأخرى غير المعلنة للحرب هي عقود الشركات إلخ.

ربما تتغير الأمور، ويتحقق كل ماتوقعه المحافظون الجدد: أسلحة الدمار الشامل والروابط بالقاعدة والزهور والحلويات والترحيب الحار بقوات الاحتلال، والديمقراطية والحرية، وربما تكسب الحرب آلة الحرب الصناعية والإرادة الأمريكية، ولكن إذا حكمنا على الوضع من خلال ما حدث طوال ١٠ شهور مضت، يزداد اليقين أن الإمبراطورية تتدحرج بسرعة .

المصدر yellowtimes.org - ترجمت في ٢٠٠٤/٢/١٩

- فرانك ديليو: محام أمريكي من أصل روماني

نبوءة: لماذا وكيف ومتى وأين وعلى يد من: تسقط الإمبراطورية الأمريكية؟

يوهان غالتونج

١ - تعاريف و فرضيات: نظرة عامة:

تعريف: الإمبراطوية هي نظام عابر للحدود له مركز وأطراف في مكان وزمان واسعين وتسمح شريعة ثقافته بشكل من التبادل غير المتكافئ بين المركز والأطراف:

اقتصاديا: بين المستغلين (بكسر الغين) والمستغلين (بفتح الغين) وهذه هي اللامساواة.

عسكريا: بين القتلة والضحايا، وهذا هو الإكراه.

سياسيا: بين القاهرين والمقهورين، وهذا هو القمع.

ثقافيا: بين الطاردين والمطرودين، وهذا هو التداعي.

إن الإمبراطوريات لها أشكال مختلفة. والإمبراطورية الأمريكية لها هيكل يشرحه أحد مخططي البنتاغون:

(إن دور القوات المسلحة للولايات المتحدة هو المحافظة على استقرار العالم من أجل اقتصادنا والانفتاح على غرونا الثقافي. ومن أجل هذين الهدفين سنقوم بمقدار لا بأس به من القتل).

بكلمات أخرى، عنف مباشر من أجل حماية العنف الهيكلية المتأصل في ثقافة عنف. إن المركز هو الولايات المتحدة والأطراف هي أجزاء كبيرة من العالم. ومثل كل نظام فإن للإمبراطورية دورة حياة عضوية: تلقيح وحمل وميلاد وطفولة ومراهقة وبلوغ وشيخوخة وموت. فبعد أن لقتها الإمبراطورية البريطانية، نضجت المستعمرة الأمريكية ومارست ماتعلمته من مهارات إمبريالية على المواطنين الأصليين ثم خرجت إلى العالم بتدخلات عسكرية وهي تحدد مناطق منافعها واستولت على الإمبراطورية الإسبانية وتوسعت في إرجاء العالم وحتى هيمنت على الفضاء كهدف وهي الآن في طور الشيخوخة وتنوء بمهام الحفاظ على الهيمنة مما تعجز عن المزيد من التوسع.

إن الانحدار والسقوط متوقعان كما يحدث لكل شيء بشري ولكن السؤال هو: ماذا ولماذا وكيف ومتى وأين وبيد من وضد من؟

الإجابة:

ماذا: هي أنماط التبادل الأربعة غير المتساوية التي لا يمكن الإبقاء عليها، المذكورة أعلاه.

لماذا: لأنها تسبب معاناة ومرارة لا يمكن احتمالهما.

كيف: من خلال تعاون وتزامن نضوج المتناقضات الأربعة عشرة التي يعقبها فساد وانحلال.

صفوة النظام.

متى: في حدود إطار زمني، مثلاً ٢٠ سنة باحتساب عام ٢٠٠٠.

أين: اعتماداً على مستوى نضج المتناقضات.

بيد من: المستغلين (بفتح الغين) والمحرومين والمقهورين والمطرودين، والمتضامنين معهم، وأولئك الذين يقفون بوجه الإمبراطورية الأمريكية من أجل أن يقيموا إمبراطوريتهم .

ضد من: المستغلين (بكسر الغين) والقتلة والقاهرين والطاردين وأولئك الذين يدعمون الإمبراطورية الأمريكية طمعا في المكاسب.

إن الفرضية لا تقصد أن سقوط وانهيار الإمبراطورية الأمريكية هو سقوط وانهيار الجمهورية الأمريكية. بالعكس، إن التخلص من عبء إقامة وإدامة الإمبراطورية عندما يكون أكثر من المكاسب المتحصلة من التبادل غير المتكافئ وعندما يضاعف التوسع عجز الميزانية بدلا من إنقاصه، يمكن أن يؤدي إلى ازدهار الجمهورية الأمريكية. ويعترف هذا الكاتب بأنه منحاز ضد الإمبراطورية بسبب معاناة الأطراف الهائلة خارج وداخل الجمهورية. وهو

منحاز إلى جانب الجمهورية الأمريكية. ولكن تبني شعار (مناهضة أمريكا) لا يميز بين جمهورية الولايات المتحدة وإمبراطورية الولايات المتحدة.

ومن المتوقع حدوث كارثة اقتصادية للجمهورية الأمريكية في أعقاب انهيار وسقوط النظام الساعي (إلى الحفاظ على استقرار العالم من أجل اقتصادنا وافتاحه لغزونا الثقافي)، ولكن هذا مكون واحد فقط في أعراض إمبريالية كاملة لها مكونات تجتذب وتنفرد في محيط مختلف من المجتمعات والأفراد. والاقتصاديون غير الموضوعيين يتكرونها نظريات تشريع اللامساواة، و(الواقعيون) غير الواقعيين يفرضون (النظام)، والليبراليون يقودون ويسيطرون على اختيارات الآخرين السياسية، والمبشرون بالدين أو العلمانية يحاولون تحويل معتقدات الجميع. وكل ذلك تجفيف واسع للموارد.

إن حالة إنجلترا تشير إلى أن الإمبراطورية يمكن أن تكون عبئا. وقد بدأ انهيار الإمبراطورية منذ فترة طويلة ولكن سقوط جوهرة التاج: الهند بسبب خليط من النضال السلمي (غاندي) والنضال المسلح عجل بذلك. وقد تفككت الإمبراطورية بسرعة كبيرة خلال ١٥ سنة من عام ١٩٤٧.

وإنجلترا؟ هي اليوم أغنى من أي وقت في التاريخ.

٢- الإمبراطورية: نظرة شاملة.

فور حدوث جريمة ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١، وزع زلتان جروسمان قائمة لتاريخ التدخلات العسكرية الأمريكية تستند إلى سجلات الكونغرس

ومكتبة الكونغرس - خدمة الأبحاث، وتحتوي على ١٣٣ تدخلا عسكريا خلال ١١١ عاما من عام ١٨٩٠ لغاية ٢٠٠١ من إبادة الهنود الحمر السكان الأصليين في داكوتا إلى غزو افغانستان. شن الديمقراطيون خمسة من ستة من هذه التدخلات وهي: الحربان العالميتان الأولى والثانية وحرب كوريا وفيتنام والخليج وبوغسلافيا (بوش الأب والابن هما الاستثناء بين الجمهوريين المنعزلين الذين يركزون عادة على استغلال مواطنيهم فقط). ومعدل التدخلات العسكرية في السنة هو ١٠١٥ قبل الحرب العالمية الثانية و١٢٩ بعدها. مما يعني الزيادة. وبعد الحرب الباردة ومنذ أواخر ١٩٨٩ ازدادت التدخلات إلى ٢ في السنة، وهو يطابق الافتراض بأن الحروب تزداد كلما توسعت الإمبراطوريات، لأن لديها الآن منافع أكثر تتطلب حمايتها وقلقل أكثر تتطلب اخمادها وانتفاضات أكثر تستوجب سحقها.

وقد جمع وليام بلوم ٣٠٠ صفحة من الوثائق الصحيحة في كتابه دولة مارقة **Rogue State**: دليل إلى القوة الوحيدة في العالم الذي صدر عام ٢٠٠٠. (و يتضح من قراءة الوثائق أن المعاناة كانت هائلة: الضحايا والمحرومون والبيئة والهيكل والثقافة المدمرة. ومعظم ذلك يصب في قالب واحد: بناء إمبراطورية أمريكية قائمة على الاستغلال الاقتصادي للدول الأخرى والشعوب باستخدام العنف المباشر وغير المباشر، الصريح (البنتاغون) والمبطن) مؤامرات (CIA)، إضافة إلى تعاون صريح وخفي من

حلفاء أمريكا. النتيجة بناء طبقي دولي تتسع فيه الفجوة بين الدول الفقيرة والدول الغنية، بين الفقراء والأغنياء.

ليس هناك من يقولان التدخلات بسبب تصادم حضارات، ولا الرغبة في احتلال أراضي الغير، ولكن هناك حماسة تبشيرية هائلة وخطاب ديني أخلاقي. ويتغير الخطاب: احتواء توسع الاتحاد السوفيتي، الحرب ضد الشيوعية، ضد المخدرات، التدخل من أجل الديمقراطية وحقوق الإنسان، ضد الإرهاب. وتغطي قائمة بلوم للتدخلات العسكرية حتى عام ٢٠٠٠ (٦٧) حالة منذ ١٩٤٥ (سجل جروسمان ٥٦ حالة ولكن المعيار مختلف هنا لدى الكاتبين).

الصين ٤٥-٥١ / فرنسا ٤٧ / جزر مارشال ٤٦-٥٨ / إيطاليا ٤٧-
٧٠ / اليونان ٤٧-٤٩ / الفلبين ٤٥-٥٣ / كوريا ٤٥-٥٣ / ألبانيا ٤٩-٥٣ /
أوروبا الشرقية ٤٨-٥٦ / ألمانيا: الخمسينات / إيران ٥٣ /
جواتيمالا ٥٣-٩٠ / كوستاريكا ٥٠ و ٧٠-٧١ / الشرق الأوسط ٥٦-
٥٨ / إندونيسيا ٥٧-٥٨ / هايتي ٥٩ / أوروبا الغربية: الخمسينات
والستينات / غيانا البريطانية ٥٣-٦٤ / العراق ٥٦-٦٣ / الاتحاد السوفيتي:
الأربعينيات والستينيات / فيتنام ٤٥-٧٣ / كمبوديا ٥٥-٧٣ / لوس ٥٧-
٧٣ / تايلاند ٦٥-٧٣ / الإكوادور ٦٠-٦٣ / الكونغو زائير ٧٧-٧٨ /
فرنسا- الجزائر: الستينات / البرازيل ٦١-٦٣ / بيرو ٦٥ / جمهورية
الدومنيكان ٦٣-٦٥ / كوبا ٥٩- / إندونيسيا ٦٥ / غانا ٦٦ / أوجواي

٦٩-٧٢ / شيلي ٦٤-٧٣ / اليونان ٦٧-٧٤ / جنوب أفريقيا: الستينيات
والثمانينات / بوليفيا ٦٤-٧٥ / أستراليا ٧٢-٧٥ / العراق ٧٢-٧٥ /
البرتغال ٧٤-٧٦ / تيمور الشرقية ٧٥-٩٩ / أنجولا ٧٥-الثمانينات /
جامايكا ٧٦ / هندوراس: الثمانينات / نيكاراغوا ٧٨-التسعينات / الفلبين:
السبعينات / سيشيل ٧٩-٨١ / اليمن الجنوبية ٧٩-٨٤ / كوريا الجنوبية
٨٠ / تشاد ٨١-٨٢ / جرينادا ٧٩-٨٣ / سورينام ٨٢-٨٤ / ليبيا ٨١-
٨٩ / فيجي ٨٧ / بنأما ٨٩ / أفغانستان ٧٩-٩٢ / السلفادور ٨٠-
٩٢ / هايتي ٨٧-٩٤ / بلغاريا ٩٠-٩١ / البانيا ٩٠-٩١ / الصومال ٩٣ /
العراق: التسعينات / بيرو: التسعينات / المكسيك: التسعينات / كولومبيا:
التسعينات / يوغسلافيا ٩٥-٩٩ .

(الكتاب الذي نشر في ٢٠٠٠ لم يذكر بطبيعة الحال: أفغانستان
٢٠٠١ (ومازال) والعراق ٢٠٠٣ (ومازال) - المترجمة)

كان هناك قصف في ٢٥ حالة.

كانت هناك محاولات لاغتيال قادة الدول في ٣٥ دولة ومساعدة في
التعذيب في ١١ دولة هي: اليونان وإيران وألمانيا وفيتنام وبوليفيا وأورجواي
والبرازيل وجواتيمالا والسلفادور وهندوراس وبناما.

في ٢٣ دولة تدخلت الولايات المتحدة لتغيير الانتخابات أو منعها
(حسب مصلحة أمريكا). وهذه الدول هي:

إيطاليا ٤٨-السبعينيات/ لبنان: الخمسينيات/ إندونيسيا ٥٥/
جواتيمالا ٥٣-٦٤/ اليابان ٥٨-السبعينيات/ النيبال ٥٩/ لاوس ٦٠/
البرازيل ٦٢/ جمهورية الدومنيكان ٦٢/ جواتيمالا ٦٣/ بوليفيا ٦٦/ شيلي
٦٤-٧٠/ البرتغال ٧٤-٧٥/ أستراليا ٧٤-٧٥/ جامايكا ٧٦/ بنأما ٨٤ و
٨٩/ نيكاراغوا ٨٤ و ٩٠/ هايتي ٨٧-٨٨/ بلغاريا ٩١-٩٢/ روسيا ٩٦/
مونغوليا ٩٦/ البوسنة ٩٨.

٣٥ محاولة اغتيال + تدريب ١١ دولة على التعذيب + ٢٥ قصفا
+ ٦٧ تدخلا + ٢٣ تلاعبا في انتخابات دول أخرى، المجموع ١٦١
شكلا من أشكال العنف السياسي منذ الحرب العالمية الثانية. وهذا رقم
قياسي عالمي!!

وإذا حللنا هذه التدخلات، نجد أنها تزداد بمرور الوقت ومعها
تتغير الحضارة المستهدفة:

المرحلة الأولى: شرق آسيا: الحضارة الكونفوشية - البوذية.

المرحلة الثانية: أوروبا الشرقية: المسيحية الأورثوذكسية.

المرحلة الثالثة: أمريكا اللاتينية: المسيحية الكاثوليكية.

المرحلة الرابعة: غرب آسيا: الإسلام.

وأحيانا تتداخل المراحل ولكن هذه هي الصورة العامة.

في المرحلة الأولى: كان التركيز على الشعب في كوريا الشمالية والجنوبية الراغبين في توحيد أمتهم. وعلى الفلاحين الفقراء في فيتنام الراغبين في الاستقلال. في المرحلة الثانية كانت الحرب الباردة، وليست الساخنة، لاحتواء الشيوعية. في المرحلة الثالثة كان الهدف جماعات سكان أصليون فقراء يساندتهم طلاب (ماويون). في المرحلة الرابعة التي تسيطر على الصورة الآن أصبح التركيز على الدول والحركات الإسلامية، والفلسطينيون مثال مهم على ذلك.

وطوال الوقت نرى الولايات المتحدة تدعم أولئك الذين يفضلون عالم الأعمال والتنمية في أمريكا، وتعمل ضد أولئك الذين تكون أولوياتهم لاحتياجات الفقراء الذين يموت منهم ١٠٠ ألف كل يوم، الذين لا يجدون طعاماً كافياً ولا ملابس ولا ملاجئ ولا عناية ولا مدارس ولا وظائف. أولئك الذين فقدوا الأمل والمستقبل.

عالم قاس مبني على تجارة عالمية تفوقها الولايات المتحدة، تساندها العسكرية الأمريكية والحكومات المتحالفة وأحياناً الشعوب التي تنتفع من الموارد الرخيصة ومنتجات الغذاء، في الدول المقهورة.

الجديد في المرحلة الرابعة هو شيء له علاقة بالدين. فإن الإسلام - مثل المسيحية - معني بالخطيئة والذنوب والجزاء والقصاص. ولكن الإسلام لا يضع (بلاد الرب) أمريكا فوق الله وبيته الحرام في السعودية.

إن مجلس الأمن بدول المسيحية الأربعة ودولة كونفوشية واحدة لا يتمتع بسلطة في الدول الإسلامية كما يتمتع بها في الدول المسيحية في أوروبا الشرقية وأمريكا اللاتينية أو الدول البوذية، فالبوذيون قد لا يكونون مهتمين بإصدار فتاوي تدين أمريكا.

بتعبير آخر: إن المقاومة الحقيقية لا بد أن تأتي مع المرحلة الرابعة بحدوث بيرل هاربور جديدة التي يراها الكثيرون كمقدمة لحرب عالمية ثالثة طويلة المدى.

وهذا مما لا يمكن التأكد منه تماما، ولكن هنا شيء واحد واضح: أن كل من يتعجب من أحداث ١١ ايلول/ سبتمبر هو جاهل وغر أو كلاهما. هنا إرهاب الولايات المتحدة اللامحدود واللامتناهي اصطدم برد فعل متوقع: إرهاب ضد الولايات المتحدة. فمع ١٢-١٦ مليون من البشر الذين قتلتهم الولايات المتحدة، أضف إليهم معدل ١٠ أشخاص حزاني لفقد كل واحد منهم، والمعاناة والألم والرغبة في الانتقام، فلا بد من توقع ما حدث. ولكن الجذور الأعمق لا تمتد إلى الحلقة المفرغة من العنف والعنف المضاد، وإنما تمتد إلى الصراعات العديدة التي تشكل داخل بنية الإمبراطورية الأمريكية ولا تجد لها حلولا .

إن قول مخطط البنتاغون (للوصول إلى هذين الهدفين سنقوم بمقدار لا بأس من القتل) يعكس حقيقة إمبرالية. لقد أوضحنا متى وأين وضد من، ولكن ماذا بعد؟

٣ - حول انهيار وسقوط الإمبراطوريات: الإمبراطورية السوفيتية مثالا

في دراسة مقارنة لانهيار (١٠) إمبراطوريات وسقوط (٩) (رقم ١٠) هو الإمبراطورية الأمريكية) في ١٩٩٥، مع التركيز على الجانب الاقتصادي، كان الاستنتاج أن السبب بشكل عام لا يعود إلى عامل منفرد وإنما مجموعة عوامل فيالعارض syndrome:

- تقسيم العمل حيث تستولي دول أجنبية و/ أو أجنب داخلى إحدى الدول على الوظائف المهمة حسب المرحلة التاريخية.
- عجز في الإبداع بسبب عجز التكنولوجيا والإدارة الجيدة بجانب ذلك الرؤية المستقبلية والتطوير.
- تأخر أو إهمال قطاع أو أكثر من قطاعات الاقتصاد.
- وفي نفس الوقت، التوسع كايديولوجية، واستغلال دول أجنبية و/أو شعب الدولة نفسه مما يولد ردود آفعال سلبية ومدمرة.

وقد انبثقت فكرة العارض **syndrome** من دراسة سابقة لانهيار وسقوط الإمبراطورية الرومانية، حيث توصل عدة مؤلفين إلى نظريات العامل الواحد. وقد طبقت الفكرة على الإمبراطورية السوفيتية في ١٩٨٠، بالتركيز على ٥ عوامل اطلق عليها اسم (تناقضات أو توترات) مثل النقاط الأربعة:

في المجتمع:

- مجتمع صفوة فوقية مركزية لايؤمن بالمشاركة يقوده الشعب الروسي الذي يتحكم في الشعوب السوفيتية الأخرى.

- المدينة تسيطر على الريف.

- البرجوازية الاشتراكية تتحكم في البروليتارية الاشتراكية.

- البرجوازيون الاشتراكيون لايشتركون شيئا لأن مستوى الصناعة كان رديئا.

وفي العالم:

كانت سياسة الاتحاد السوفيتي الخارجية صادمة وتتحكم وتتدخل في الدول التي تدور في فلكها.

وقد كانت نبوءة هذا الكاتب في ١٩٨٠ أن الإمبراطورية السوفيتية لن تنهار بسبب عامل منفرد وإنما بسبب (تزامن نضوج التناقضات وبتبعها فساد وانحلال الصفوة في المركز والأطراف) مع انهيار جدار برلين في مرحلة مبكرة خلال ١٠ سنوات.

آلية الانهيار والسقوط لم تكن بسبب دوي حرب وإنما بسبب فساد الصفوة الذين بعد أن حكموا بالحديد والنار، انغمسوا بالرشاوي والكحول والتخمة وعبادة الذات.

٤ - حول تناقضات الإمبراطورية الأمريكية.

إن توقع انهيار وسقوط الإمبراطورية السوفيتية بني على تكاتف خمسة تناقضات، وكان الوقت المتوقع لنضوج هذه التناقضات هو ١٠ سنوات في ١٩٨٠.

أما توقع انهيار وسقوط الإمبراطورية الأمريكية فهو مبني على تكاتف ١٤ تناقضا، والوقت المتوقع لنضوج هذه التناقضات هو ٢٥ سنة اعتبارا من عام ٢٠٠٠. وهنا التناقضات أكثر لأن الإمبراطورية الأمريكية أكثر تعقيدا. والفترة أطول أيضا بسبب هذا التعقيد. بعد الأشهر الأولى لتولي الرئيس جورج بوش، نقص الوقت إلى ٢٠ سنة بسبب أسلوبه الذي كشف كثيرا من هذه التناقضات وبسبب تطرفه الذاتي الذي اعتمد على رؤية التناقضات السلبية والمعقدة. وهو يستمر في هذا الأسلوب.

فيما يلي التناقضات الأربعة عشر التي شخصناها في عام ٢٠٠٠

أولا: التناقضات الاقتصادية (نظام تقوده الولايات المتحدة البنك الدولي / صندوق النقد الدولي / منظمة التجارة العالمية - بورصة نيويورك - البنتاغون).

١ - بين النمو والتوزيع: زيادة في الإنتاج نسبة إلى الطلب: ١،٤ بليون شخص: أقل من دولار واحد في اليوم، و ١٠٠ ألف شخص يموتربعهم من الجوع يوميا.

٢ - بين الاقتصاد الإنتاجي والاقتصاد المالي (العملة، الأسهم، الأوراق المالية) تضخم القيمة، ومن هنا انهيارها، البطالة والعمل بالعقود.

٣ - بين الإنتاج/التوزيع/ الاستهلاك/ والطبيعة: كوارث البيئة، التلوث، زيادة حرارة الكون.

ثانيا: التناقضات العسكرية (نظام تقوده الولايات المتحدة: الناتو/ مشروع تطوير البنى التحتية اللاسلكية/ الولايات المتحدة - اليابان)

٤ - بين إرهاب الدولة الذي تمارسه الولايات المتحدة والإرهاب: رد فعل مضاد.

٥ - بين الولايات المتحدة وحلفائها (ماعدا بريطانيا والدنمارك واليابان) الذين يقولون: كفى!

٦ - بين هيمنة الولايات المتحدة في أوراسيا وروسيا - الهند - الصين (مثلث فيه ٤٠% من سكان الأرض).

٧ - بين الناتو الذي تقوده الولايات المتحدة وجيش الاتحاد الأوروبي.

ثالثا: التناقضات السياسية (عقيدة الولايات المتحدة بلاد الرب المختارة).

٨ - بين الولايات المتحدة والأمم المتحدة: الأمم المتحدة ترد الضربة.

٩ - بين الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي: يتنافسان للحصول على دعم الأورثوذكس/المسلمين.

رابعا: التناقضات الحضارية (الحضارة الأمريكية المبتدلة والمنتصرة).

١٠ - بين اليهودية- المسيحية الأمريكية والإسلام (٢٥% من البشرية يدينون بالإسلام، مجلس الأمن فيه أربع دول مسيحية وليس هناك دولة من ٥٦ دولة مسلمة).

١١ - بين الولايات المتحدة والحضارات الأقدم "الصينية والهندية وما بين النهرين والأزتک والأنكا والمايا".

١٢ - بين الثقافة الأمريكية والأوروبية الراقية: فرنسا، ألمانيا.. إلخ

خامسا: التناقضات الاجتماعية (صفوة العالم التي تقودها أمريكا في مواجهة البقية: منتدى الاقتصاد العالمي، دافوس ضد المنتدى الاجتماعي العالمي، بورتو اليجر).

١٣ - بين صفوة شركات الحكومة والطبقات العاملة المكونة من العاطلين وعمال العقود. (وماذا عن الطبقات المتوسطة؟)

١٤ - بين الأجيال القديمة وأجيال الشباب: سياتل، واشنطن، براغ، جنيف، والأجيال الأصغر(وماذا عن) والجيل الوسط؟

١٥ - إلى هذه القائمة يمكن إضافة: بين الخرافة والحقيقة.

إن هذه القائمة هي نقاط رئيسية لحالة الإمبراطورية الأمريكية. ويمكن إجراء مناقشات أعمق ولكن مع الاحتفاظ بالأفكار الرئيسية وهي: الأعراض والتناقضات والفساد والانحلال.

٥ - نضج المتناقضات: تحديث بعد ٣ سنوات

من الواضح أن الإمبراطورية الأمريكية حقيقة حيوية فاعلة وليست بناء جامدا ميتا، وهي نظام معقد جدا بهذه المتناقضات الأربعة عشر الكامنة فيها. في مثل هذا النظام لاتجد خطوطا مستقيمة، والسلاسل السببية تنقطع وتتحد، أما المنحنيات فموجودة طوال الوقت. وستكرر القفزات الكمية عندما يجتمع عنصران أحدها يتغير والآخر يبقى ثابتا. ولكن يظل الانهيار متوقعا خلال عشرين عاماً للأنواع الأربعة من التبادل غير المتكافئ.

أولا- المتناقضات الاقتصادية

١ - بين النمو والتوزيع - النمو عادة متباطئ ماعدا في الصين والتوزيع أسوأ بين الأقطار وفي داخل كل منها. وعلى أية حال فإن مايشغل البال هو الأوضاع المعيشية لطبقات قاع المجتمع، والوفيات من الجوع والأمراض القابلة للشفاء. وتحليل هذه الأعراض يعود إلى زيادة الإنتاج التي تؤدي إلى

البطالة التي تؤدي إلى قلة الطلب التي تؤدي إلى زيادة العرض التي تؤدي إلى بطالة أكثر وإلخ. وفي نفس الوقت فإن تحويل الأرض والبذور والماء والسماذ إلى قيمة نقدية يعوق تحويل العمل إلى إنتاج الغذاء بأن يزرع المرء أرضه. أن الإمبراطورية الأمريكية تسعى إلى النمو ولكنها تهمل وتمنع التوزيع ومن هنا هي تقاطع نفسها طالما أن الجانب المهم من النمو هو زيادة الطلب مما يزياد الاستهلاك.

٢ - بين الاقتصاد الإنتاجي والمالي. أن ارتفاع رقم مبيعات السوق المحلي والدولي حتى في حالة تباطؤ النمو في الاقتصاد الإنتاجي في كثير من الدول، وانخفاض التوزيع سيؤديان إلى تراكم كبير لسيولة تبحث عن منفذ. وبما أن الاستهلاك الرفاهي والاستثمار الإنتاجي محدودان فإن المنفذ الواضح هو عمليات شراء وبيع في الاقتصاد المالي وهو ما يعرف باسم المضاربات المالية. ويأتي رد فعل الاقتصاد الإنتاجي بإقامة مشاريع مزيفة مثل اينرون وورلدكوم بحيث يزداد النمو في الاقتصاد المالي مع زيادة الاقتصاد الإنتاجي. وهكذا فإن زيادة حدة هذا التناقض في عام ٢٠٠١ تمثل في انهيار بعض الأسهم وانخفاض قيمة الدولار مما يشير إلى مرض مزمن. واحد الأدوية الشافية لهذا المرض هو التوزيع الذي يعيقه في الإمبراطورية الأمريكية استخدام نظام البنك لدولي/صندوق النقد الدولي/ منظمة التجارة العالمية/ البورصة - البنتاغون، ولعدم وجود هذا العلاج حاليا سوف يتفاقم المرض مع حدوث انهيارات جديدة.

كان انسحاب إدارة بوش معاهدة كيوتو عاملا مهما في زيادة حدة هذا التناقض إلى حد كبير، وكان أحد الشعارات المهمة في قمة ٢٠٠٢ في جنوب أفريقيا. وبفضل السيد بوش أصبح العالم يكره أمريكا. وكان التوضيح الذي أعلن هو أن المعاهدة تعوق النمو الاقتصادي الأمريكي (بمعنى آخر لا يناسب الشركات العملاقة). وهذه الحركة تعرض كوكب الارض للخطر وهي تعبير عن احتقار النظام الكوني الذي يعتمد على معاهدات قابلة للتفاوض والتصديق. وكان يمكن للولايات المتحدة أن تطالب بإعادة التفاوض، ولكن الإمبراطورية الأمريكية لديها أولويات أخرى وقد دفعت بذلك ملايين البشر في حركة مناهضة للولايات المتحدة.

ثانيا: المتناقضات العسكرية

٤ - بين إرهاب الدولة الأمريكية والارهاب: لقد حدثت قفزة كمية في ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١، رغم أن عدد الذين قتلوا كان أقل من عدد الذين قتلوا في ١١ أيلول/ سبتمبر آخر في ١٩٧٣ وهو تاريخ مؤامرة الانقلاب التي دعمتها الولايات المتحدة ضد حكومة سلفادور اليندي الاشتراكية (احد ٦٨ تدخلا في الشؤون الداخلية للدول بعد الحرب العالمية الثانية بضمناها العراق). وكان هذا شيئا متوقعا كما اننا نتوقع تكراره ما لم تسارع الإمبراطورية الأمريكية الآن في الخروج من حلقة العنف مدركة أن العدو قد

يكون (نحن الولايات المتحدة). ولكن الإمبراطورية الآن تتحدث عن تدخلات أخرى في أكثر من ٦٠ دولة. وهذا يستغرق العمر كله. وهو ثمن باهظ للفشل في محاولة حل الصراعات / التناقضات.

وهنا لا بد من هذه الملاحظة: أن محاولة تفسير ١١ ايلول/سبتمبر باعتباره مثلاً (رد فعل على الإمبراطورية الأمريكية بضرب رمزين مهمين للعمليات الاقتصادية والعسكرية) أو باختصار أنه (انتقام) أو (صراع لم يحل) لا تبرر هذه الجريمة الشنيعة كما أن تدخل أمريكا في أفغانستان والعراق غير مبررين. ولكن يمكن تفسيرهما جزئياً مثل كوسوفو بجهود تبذلها الإمبراطورية الأمريكية من أجل الهيمنة والتوسع لإحكام المزيد من السيطرة على سوق النفط العالمي و(للحفاظ على استقرار العالم من أجل اقتصادنا) بإقامة قواعد عسكرية.

إن ضرب الإمبراطورية في أقوى جوانبها فعل خاطئ وغير فعال ويعود بالضرر مثله مثل العنف الأمريكي. وحل المشاكل يكمن بالتعرف على سلسلة الأسباب ثم محو الأسباب مثل حلقات العنف والصراعات القائمة. ولكن الإمبراطورية الأمريكية تسد الطريق.

٥ بين الولايات المتحدة والحلفاء: لا تريد الإمبراطورية الأمريكية أن تبدو كإمبراطورية وإنما تريد أن ينظر إليها بأنها شيء مدعوم من قبل (المجتمعات

المتقدمة والمتمدنة) ضد المجتمعات (الشريرة والفوضوية والإرهابية). أن واشنطن تبني تحالفاتها مع انظمة الناتو واليابان وآخرين.

إن هذا التناقض (وتناقضات أخرى) لم يطفو على السطح بأوضح صورة كما حدث مع الحرب على العراق. ولكن كان هناك توتر أيضا فيما يتعلق بعمليات يوغسلافيا وأفغانستان. أن الرأي العام ليس متغيرا مهما هنا. فواشنطن تتعامل مع حكومات ولهذا السبب كانت مهمة بنوعية الأعضاء. وأفضل طريقة لممارسة السلطة والإقناع والصفقات والتهديد هو أن يكون خلف أبواب مغلقة لئلا يسمع الجمهور شيئا مثل ملاحظة وزير الخارجية الألماني الذي قال لوزير الدفاع الأمريكي في شباط/فبراير ٢٠٠٣ (في الدولة الديمقراطية يجب أن تعرض حججا لمواقفك وحججك غير مقنعة) إذا كان الجمهور يعرف مايجرى خلف الأبواب المغلقة مثل دعم حرب العراق مقابل إدراج منظمة على قائمة الإرهاب لازادت مناهضة الحرب.

في عام ٢٠٠٠ كان ينظر إلى بريطانيا وألمانيا واليابان كحلفاء موثوق بهم. ولكنهم فشلوا في توقع موقف ألمانيا والمرتبط بالحزب الديمقراطي الاشتراكي الذي كان يعاني من ضغوطات بسبب قناعاته الداخلية فيما يخص يوغسلافيا وأفغانستان. أما أستراليا فقد كان موقفها متوقعا كبلاد انجلو سكسونية واليابان تصرفت كما كان متوقعا منها. وتختلف مصالح الدول ولكن الموقف المألوف هو ضد الدعم غير المشروط للإمبراطورية الأمريكية.

وهو تناقض حساس جدا يمكن أن يزداد حدة إذا مارست الشعوب ضغطا أكبر على الحكومات.

٦ - بين هيمنة الولايات المتحدة في آسيا الأوروبية وروسيا - الهند - الصين: وهذه دول كبيرة لا يمكن للولايات المتحدة غزوها ولهذا فقد اقتربت منها من خلال مخاوفهم من السكان المسلمين، في الشيشان وكشمير وزيانج على التوالي. بعد توسع الناتو نحو الشرق وتحالف الولايات المتحدة واليابان (وتايوان وكوريا الجنوبية كعضوين قائمين) والتوسع نحو الغرب ابتداء من ١٩٩٥، حلت الدول الثلاث معظم مشاكلها وتقاربت (ولكن ليس في حلف رسمي). ولكن هذه الخطوات أوقفتها أمريكا بشكل مؤقت موحدة اياها ضد (الإرهاب الإسلامي) بمعنى المسلمين الذين يناضلون في سبيل تقرير المصير أو الحكم الذاتي في المناطق الثلاثة التي ذكرناها. ولكن الحرب على العراق زادت من حدة التناقض مرة أخرى لرفض هذه الدول المشاركة في الاحتلال (معرفة منهم بالمقاومة الإسلامية). ولكن أمريكا مازال لديها أسواق مفتوحة واستثمارات اقتصادية مع الحكومات الثلاثة .

٧ - بين الناتو الذي تقوده الولايات المتحدة وجيش الاتحاد الأوروبي: وهذا لا يشبه النقطتين السابقتين واللتين تتعلقان بالإحجام عن التعاون وتحالف دول تشعر بالكماشة العسكرية الأمريكية، هنا لدينا جيش جديد متعدد

الجنسيات تكمن فيه قوة كونية جديدة. السؤال (لماذا يحتاجون إلى جيش طالما لديهم الناتو؟) والجواب الذي يخطر على الإمبراطورية الأمريكية (هذا يبين أنهم ليسوا كليا معنا، ولهذا فهم ضدنا).

وسيكون هناك الكثير من المناورات خلف الأبواب المغلقة فيما يتعلق بهذا التناقض. ولكن الحركة العامة ستكون باتجاه جيش أوروبي لبعض الدول مبنيا على القوات الأوروبية الحالية وسلسلة قيادات لانتتهي في واشنطن ولاتمر خلال واشنطن عدا في حالات تبادل المعلومات. هذا الجيش: لأغراض الدفاع أم لإمبراطورية أوروبية قادمة؟ للاستيلاء على المغامر؟

ثالثا: التناقضات السياسية:

٨ - بين الولايات المتحدة والأمم المتحدة: تستخدم أكبر قوة في العالم الفيتو في مجلس الأمن أكثر من غيرها ولديها ما يشبه فيتو اقتصادي بحجب أو سحب دعم البرامج التي تتعارض مع مصالحها. إضافة أن لها سلطة على كثير من الدول الأعضاء في الأمم المتحدة مثلا تغيير شروط قروضها للتأثير على التصويت إلى جانبها. وهناك رفض لهذا التصرف وقد ظهر علينا عندما فشل التحالف الأمريكي البريطاني في استصدار قرار ثان من مجلس الأمن فيما يخص العراق.

٩ - بين الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي: وهذا يتجاوز الجيش الأوروبي مقابل الناتو. للاتحاد الأوروبي اليوم ١٥ عضوا ويحلون آيار / مايو

٢٠٠٤ سيكون هناك ٢٥ عضوا وأكثر من ذلك فيما بعد. إذا قرر الاتحاد الأوروبي، وهو في صالحه، أن يسد الخطوط الفاصلة في البناء الأوروبي بين الأرثوذكسية والكاثوليكية / والمسيحية البروتستانتية وبين الإسلام والمسيحية، وذلك بفتح أبواب الاتحاد الأوروبي لعضوية روسيا وتركيا، ستتخلف الولايات المتحدة كثيرا، لأن سكان الاتحاد الأوروبي عندئذ سيتجاوزن ٧٥٠ مليون نسمة. وقد تكون هناك مشاكل في العلاقة مع شرق آسيا ولكن الاتحاد الأوروبي يعمل على سد هذه الفجوة أيضا ويمكن لاتحاد أوروبي عملاق أن يجني ثمار تجنب محاكاة الإمبراطورية الأمريكية ويدعم منظمة الأمم المتحدة.

رابعاً: التناقضات الحضارية (الثقافية)

١٠ - بين اليهودية المسيحية الأمريكية من جهة والإسلام من جهة أخرى: هذه هي ديانات إبراهيمية، وتعبير اليهودية المسيحية الذي شاع استخدامه في الولايات المتحدة يرسم خطأ بينها. ومع ظهور التحالف الأصولي المعتمد على فكرة اقتراب الهرماجدون (المعركة الكبرى الفاصلة بين قوى الخير والشر) وأن المخلص المنتظر والمسيح قد يكون شخصا واحداً، أصبح هذا التناقض حاداً جداً، ولكن الإسلام ينتشر بسرعة كبيرة، بعكس المسيحية أما اليهود فهم أقلية صغيرة. ومن شأن هذا الصدد أن يرسم حدوداً واضحة ضد تغلغل الإمبراطورية الأمريكية. ومنفذو ١١ أيلول / سبتمبر من الشباب الوهايين قد أنجزوا شيئاً لم يحلموا به بالنيابة عن ١٣٣

مليار مسلم وليس ٣٠٠ مليون عربي فقط. وهذه العلاقة التصارعية سوف تحد كثيرا من توسع الإمبراطورية الأمريكية.

١١ - بين الولايات المتحدة والحضارات الأقدم: عندما يتحدث الناس عن الأصولية فهم يقصدون غالبا الارتباط الديني بالحضارات القديمة. ولكن الحضارات لها أبعاد عديدة بضمنها اللغة وأشكال التعبير الأخرى والتواريخ والأماكن المقدسة والأثرية وأشياء أخرى. هناك وعي يتنامى في كل أنحاء العالم ينظر إلى الحضارات القديمة غير الغربية بنظرة تختلف عن النظرة إلى مواضيع أثرية جميلة موجودة للفرجة وليس للمعايشة. أن تدمير آثار سومر وبابل في العراق كان محاولة للسيطرة على العراقيين بتدمير هويتهم الأصلية. وهو مثال نمطي للتناقض في مرحلته الأولية (الطفولة) ولكنه حافل بإمكانية النضوج السريع.

١٢ - بين الولايات المتحدة وثقافة الصفوة الأوروبية: يعتقد الغرب أن العالم يتكون من أربعة مراكز جيو ثقافية: الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وألمانيا. وليس امام الآخرين سوى أن يقلدوا أو ينتجوا ثقافات دخيلة. وتستمر فرنسا وألمانيا المعركة للهيمنة الثقافية مقابل الولايات المتحدة في حين أن بريطانيا في مرحلة وسطية.

خامسا: التناقضات الاجتماعية

١٣ - بين صفوة الشركات الحكومية وطبقة العمال العاطلين وعمال العقود: صوت اتحاد التجارة الأمريكي لأول مرة ضد الحرب على العراق.

ولكن تتم السيطرة على الطبقة العاملة اليوم بالتهديد بالبطالة أو التعاقد بشروط جائرة لاتتضمن الضمان والاستقرار. أما صفوة الشركات الحكومية فهم أكثر تنظيماً وقد جعلوا من وجودهم ضرورة. ففي أيديهم قرارات الفصل والتعيين مع التهديد بخطر التحول إلى الميكنة الكلية.

إن اقتصاد ما بعد الحداثة يمكن أن يستمر بدون عمال ولكن ليس بدون مستهلكين. ولكن طرد العمال يعني طرد المستهلكين بتقليل قدرتهم الشرائية. أن عمال العالم يستطيعون الاتحاد بمقاطعة المنتجات الأمريكية مثل النفط من العراق أو طائرات بوينج (وهو أحد مصانع الموت الرئيسية في العالم). عموماً مقاطعة البضائع الاستهلاكية والرأسمالية والمالية مثل الدولار والأسهم والسندات الأمريكية.

١٤ - بين الجيل القديم والشباب: ولا يقصد بالشباب طلبة الجامعات الذين وقف نظراًؤهم ضد حرب فيتنام فقط وإنما طلاب الثانوية الذين يمكن تحريكهم بالإنترنت. ربما يكون أحد عناصر تحريكهم هو الحقيقة مقابل الكذب. لأنهم شعروا دعايات كاذبة بعيدة كل البعد عن الحقيقة. والشيء نفسه ينطبق على النساء. ولكن هنا لعبت واشنطن ورقة رابحة (الدفاع عن أمن الوطن والعائلة) ولكن الشعوب الأخرى في الولايات المتحدة مثل الهنود الحمر واللاتين والصينيين والأفارقة والهاوايين يمكن توجيههم ضد الإدارة الأنجلو سكسونية التي تدين بالمعمدانية الجنوبية

والعسكريتاريا القادمة من أعماق الجنوب. ونأمل فقط إلا يخلقوا حالة طوارئ يلغون معها الانتخابات التي لن يفوزوا بها.

سادساً- والانهيار والسقوط؟

انظر إلى التناقضات الأربعة عشر ثم انظر إلى تعريف الإمبراطورية. أن طريقة حل هذه التناقضات التي تقضم قلب النظام بسيطة جدا:

للتناقضات الاقتصادية الثلاثة: قتل أو حتى أوقف الاستغلال!

للتناقضات العسكرية الأربعة: قتل أو حتى أوقف القتل!

للتناقضين السياسيين: قتل أو حتى أوقف الهيمنة!

للتناقضات الثقافية الثلاثة: قتل أو حتى أوقف الطرد!

للتناقضين الاجتماعيين: قتل أو حتى أوقف المذكور أعلاه!

مع كل تقليل، وحسب التعريف، تنهار الإمبراطورية الأمريكية. وعند كل توقف تتساقط الإمبراطورية الأمريكية. أوقف كل الأربعة، وتختفي الإمبراطورية الأمريكية، ورغم أن بعضها يظل يعيش ولكن كفضالة مثل الإمبراطورية الروسية في الشيشان والإمبراطورية البريطانية في العراق. وأكثر الأمثلة الحديثة دراماتيكية هو انحلال الإمبراطورية الفرنسية: كان ديغول من العظمة بحيث ينهي هو بنفسه الإمبراطورية (ماعدا وجودها في الباسيفيكي وأماكن

أخرى) ومثلما حدث مع الإمبراطوريتين الروسية والبريطانية، ولد عدد من الدول المستقلة. ومن رحم الإمبراطوريات الغربية ولد عالم جديد في الستينيات ومن الإمبراطورية الروسية في التسعينيات.

ليس سوى الإغرار هم الذين يعتقدون أن العالم الجديد سيكون الجنة على الأرض. أن أنظمة جديدة تظهر ولكنها تحمل تناقضاتها. وقد استنتج حكام الإمبراطوريات البريطانية والفرنسية والسوفيتية أن التكاليف أكثر من الغنائم. والبعض قد يستنتج أن تكاليف السقوط بضمنها الأطراف تتجاوز المكاسب. وهذا طبعاً يعتمد على النظام الذي يعقبها، البديل. أن هذا الكاتب يفضل القيادة العالمية للأمم المتحدة وليس إمبراطورية الاتحاد الأوروبي، ولكن هذه قصة أخرى.

اعتمدت الإمبراطوريتان البريطانية والفرنسية على مستعمرات (ماوراء البحار) أما الإمبراطورية السوفيتية فقد اعتمدت على اتحاد قبصري/ بولشفي متجاور والإمبراطورية الأمريكية تعتمد على مقاله مخطط البنتاغون، وأطراف الإمبراطورية غير الأمريكية هم الدول (المستقلة). وهذا يربك الذين يرتبط مفهوم الإمبراطورية لديهم بـ(المستعمرات) وليس الدول المستقلة. وآخرين ممن يرتبط المفهوم لديهم بمناطق (ماوراء البحار) وليس المجاورة. وآخرون قد يصابون بالحيرة لأن ثلاثة من هذه المراكز هي دول ديمقراطية غربية فوق شبهة ارتكاب أخطاء كبيرة. أن التعريف الذي افترضنا به هذه المقالة يعتمد

على علاقة تبادل غير متكافئ بين المركز والأطراف، وليس على جغرافية أوقطبية المركز.

إن التبادل غير المتكافئ المقسم إلى أربعة مكونات، هو التناقض الجذري للإمبراطورية كنظام. ومن التناقضات العميقة الأربعة تنبثق التناقضات السطحية الأربعة عشر، وهي الواضحة للجميع وعادة ماتكون موضوعا للصحافة. بعكس التناقضات العميقة. إذن النموذج الأساسي الذي ناقشناه حتى الآن هو:

سابعاً: تناقضات عميقة توجي ب ١٤ تناقضا سطحيا.

وأثناء نضوج هذه التناقضات الأربعة عشر وتزامنها وتكاتفها، قد يرخي المركز قبضته على الأطراف في حركة واعية متنورة كما فعل ديغول أو نشاهد انحلال الإمبراطورية ببطء كما حدث مع بريطانيا أو بسرعة كما في الاتحاد السوفيتي. إذن ايتها الولايات المتحدة الأمريكية: اختاري مايناسبك!

ولكن الولايات المتحدة الأمريكية تتصرف الآن مثل فيل مجروح تضرب في كل الاتجاهات. هذه هي مرحلة غليان التحلل حيث العواطف تعيق التفكير العقلاني حول الواقع ومايجب فعله، وسوف يعقب هذه المرحلة، مرحلة التجمد و(التخلي) كما فعل الاتحاد السوفيتي أو كلينتون. ومن خصائص التحلل أنه يتأرجح قبل أن يتوقف .

يمكن الآن أن نتوسع في النموذج أعلاه:

(4) تعني (١٤) تعني انحلال تعني - (٤) تعني - (١٤). التناقضات الأربعة العميقة تؤدي إلى التناقضات الأربعة عشر السطحية والانحلال وهذا يؤدي إلى التخلي عن الإمبراطورية وتفكك التناقضات الأربعة عشر. على أية حال: التناقضات الأربعة قد تكون لها جذور أعمق. إذن من أين يأتي الظلم؟ من رأسمالية محررة بلغت من الظلم أنها تحتاج إلى بعض الحماية العسكرية. ولكن من أين تأتي الرأسمالية؟ وكل ذلك العنف؟ من عقدة التفوق الثقافي وحق وواجب التبشير وبدون الإحساس بواجب تفهم الثقافات الأخرى وقد يتعلق هذا بإحساس (شعب الله المختار) و(بلاد الله المختارة). ولكن من أين أتت هذه الفكرة؟ وهكذا إلى مالا نهاية. أن التناقضات الأربعة التي تعرف الإمبراطورية الأمريكية لم تأت من فراغ. يمكن أن يحدث هذا من خلال تلاشي الإيمان بصلاحيات الإمبراطورية كنظام أو بتعبير آخر: انحلال.

ويمكن أن يكون للتناقضات الأربعة عشر جذور أخرى. أن التناقضات الاقتصادية تأتي من الرأسمالية، كانت الولايات المتحدة عنيفة قبل الإمبراطورية، قد يكره بعض أعضاء الاتحاد الأوروبي الولايات المتحدة لأنها تقف عشرة في طريق طموحاتهم، ونفس الشيء ينطبق على الثقافات المتنافسة مثل الإسلام الذي يريد توسيع (دار الإسلام)، بعد الانتصار في المعركة (دار الحرب). ولكن البعض يقولان العالم تحت الولايات المتحدة أفضل من أن يكون تحت الاتحاد الأوروبي أو الإسلام.

وربما يكون في هذا شيء من الحقيقة ولكن المشكلة ليس في حصة الولايات المتحدة من كعكة العالم الرأسمالية ولكن ماتخلفه من قتل وهيمنة وطرد. وهذا ما يجب أن ينهار ويسقط ويختفي.

وإذا اختفت الإمبراطورية الأمريكية، سيظل هناك صراعات الطبقات والأجيال والجنس والأمم ولكن اليوم تلك هي المشكلة الرئيسية.

قد تقوى التناقضات الأربعة عشر العزم على الحفاظ على الأربعة. في البداية واحدة بعد أخرى. نعم. قد تضاف مساحيق التجميل، وتجرى تسويات ويتم إسكات الناس الذين يشيرون إلى التناقضات أو الهزء بهم أو مطاردتهم وقتلهم. ومن خصائص التناقضات بين الأمم المقهورة والأمم القاهرة أنها تبرز مرة أخرى وتجد منافذ جديدة. أن المقهورين يواجهون قوة وحشية ولكن مايزيد عزمهم هو حلمهم بوطن يمكن تحقيقه وهو حلم لم يختبر ولم تغشاه التناقضات بعد بعكس الإمبراطورية التي اختبرت ووجدت أنها غير قابلة للتطبيق والاستمرار. أن الانحلال قد لايلغي التناقضات الأربعة. ومانتحدث عنه هنا هو تلاشي الإيمان بقابلية تطبيق نموذج الإمبراطورية الذي يبدأ بمظاهر الغضب الشديد أولاً ثم بالتخلي عنها طواعياً أو لا إرادياً. أما أن يرخي المركز قبضته بإرادته، أو تنزلق الأطراف من القبضة التي يعترئها الوهن. وفي كلا الحالتين يحدث الانهيار والسقوط.

على أية حال، بعد مرحلة من الانحلال، تقرر طبقة سياسية جديدة أن تتشبث بدلا من إرخاء القبضة كما تفعل الولايات المتحدة حاليا. ولكن كما هو معروف من أن دوام الحال من المحال، فهذا من شأنه تأجيل المحتوم فقط.

إن الأبطال الأربعة لا يعني بالضرورة إبطال الأربعة عشر. وكما أسلفنا، هناك جذور كثيرة لكثير من التناقضات. وربما تجد تناقضا يخفي آخر. وقد يزهو الأخير حين يذوي السابق. ولكن هذه المعرفة لن تمنع التناقضات من النضوج. أما فيما يتعلق الأمر بالإمبراطورية فهناك ضوء في نهاية نفق طويل وملتبس. ولكن بعد ذلك النفق هناك إنفاق جديدة.

ثامناً: عن التناقضات عموماً:

المفهوم بحد ذاته يحوي تناقضات بمعنى الإجهاد بين المعاني. والعنصر المشترك هو نظام بعنصرين فاعلين والإجهاد يكون بين القوى. ولا نفترض قوتين فقط وليس بالضرورة قوتين متضادتين أو بنفس الحجم. والقانون الثالث لنيوتن مكتوب بهذه الطريقة: التعبير عن تناقض. ولكن هذه حالة خاصة.

قبل أن ناقش وجود قوتين أو أكثر، دعونا نفحص حالتني (٠) أو (١)

حتى معغموض مفهوم (القوة) فمن المنطق أن نضفي صفة (ميت) على نظام بلا قوة أو حركة أو ميول. والاعتراض هو أنه هناك الكثير مما يحدث

للجثة المدفونة: نعم (للجثة) وليس (في الجثة). أن القوى هي من خارج النظام وليس من داخله كما يحدث في الكائن الحي.

دعنا نرَ مثال الجري. الجسم يبذل طاقة والقوى المضادة تسرع بالإعلان عن نفسها بشكل تعب في محاولة لتغيير الحركة إلى لا حركة نطلق عليها اسم (راحة). والنظير الميكانيكي يأتي بفكرة (R) وهو محصلة قوة متغيرة تعكس حجم واتجاه كل القوى. وسوف يتحرك النظام أو يتوقف (راحة) مع محصلة القوة ($R > 0$). تعني تحرك، و ($R = 0$) تعني توازن و ($R < 0$) تعني عجز الراحة.

هل القوة تصاحبها دائما قوة مضادة؟ هل لابد من رد فعل على الفعل؟ وفي الأنظمة صاحبة الرؤى المستقبلية هل يمكن أن يكون هناك فعل وقائي لكل فعل متوقع؟ وفعل متوقع للمتوقع؟ لقد وجدت هذه البديهية مفيدة جدا في تحليل الأنظمة الاجتماعية والفردية. ولكني لا أرى سببا لافتراض أن رد الفعل والفعل الوقائي هما بالضرورة متضادان. فمن الممكن أن يكونا على خط واحد مع الفعل، على الأقل، دعم الفعل.

إن فكرة توائم (القوة - القوة المضادة) قد تؤدي بنا إلى عدد متساو من القوى لأنها تأتي أزواجا وليست فرادى ولانقول أن الواحدة تؤدي إلى أو تولد الأخرى، لأن ذلك قد ينتج أعدادا لامتناهية. وإنما نفترض أنها متزامنة:

أي (تنشأ معا) كما قد تسميها نظرية المعرفة البوذية بدلا من قوة تولد التالية وهذه تولد التي بعدها وهكذا إلى ما لانهاية. ويمكن أن نشبهها بحزمة قوية تسبب بشكل ما الإجهاد داخل النظام.

ولكن دعونا ننتقل من الحديث العام عن (الأنظمة) و(القوى) إلى أنظمة اجتماعية وفردية معينة. وقريب منها فكرة(الصراع) كإجهاد في الأنظمة الساعية للأهداف بسبب انعدام الانسجام بين الأهداف. ويمكن بعدئذ ربط الأهداف بالحياة حتى لو عزيت مجازيا لأشياء غير حية مثل القول " الجبال تتنافس في الشموخ". إذا كانت الأهداف غير المنسجمة في نفس النظام فلدينا معضلة هنا. وإذا في أنظمة مختلفة فلدينا صراع هنا. إذا كان حامل الهدف واعيا بالهدف فهو فاعل أما إذا لم يكن واعيا فهو طرف. وهذا يأتي بنا إلى الفرق الرئيسي بين التناقضات الذاتية (subjective) والموضوعية(objective) .

يمر التناقض الذاتي وينعكس من خلال العقل البشري، مثل الفكرة/الوعي، والكلام/ البلاغة، والحدث/التحريك. ولكن ليس بالضرورة بهذا التتابع. وهذا مايفعله الفيلسوف الذي يتأمل ثم يكتب ثم - قد لايفعل شيئا. ومن الأفضل أن نفترض التتابع المعكوس: اللاعب يتحرك للفعل حسب ما اعتاد عليه ثم يقول مايشعر أنه يفكر به ثم يفكر مايشعر به. أوأي تتابع آخر، ولكن عاجلا أو آجلا سيكون ثمةوعي.

بوجود هدفين يكون لدينا قوتان تسعيان للأهداف هما (A و B)
وثلاثة احتمالات لمحصلة القوى A) (R=A) يكسب أو B) (R=B) يكسب
أو (R=0)، توازن وسط بين هذا وذاك وهو مانسميه "تسوية /توافق".

عند هذه النقطة ينهار التناظر، ولا تنهي الحالات الثلاثة الاحتمالات.
ولا تقضي على التناقض، وفوز (A) و (B) لا يعني أن الخاسر لم يعد لديه
نفس الهدف او هدف آخر غير منسجم مع هدف الربح. ما يزال التناقض
موجودا تحت غطاء مرجل الهزيمة. وقد تؤدي التسوية إلى عدم رضا الاثنين
تماما. فإذا كنا نصف التناقض بأنه (حاد) فإن أفضل وصف للتسوية هو أنها
(مثلومة). ولكن كيف نتجاوز التناقض؟

طالما أن الاحتمالات الثلاثة تؤدي إلى إجهاد منطق القوى المضادة
داخل نظام ما، فالجواب هو (بتغيير النظام). هذا هو ماواجهه غورباتشوف في
حالة التناقض بين الإمبراطورية السوفيتية والقوى الاجتماعية الرامية إلى
التغيير الجذري في ألمانيا الشرقية، وهكذا تخلى عن ألمانيا الشرقية. ثم
التناقض بين الشعب وصفوة الحزب في ألمانيا الشرقية، والذين سلموا
لألمانيا الغربية فاحتوتهم. ونتيجة لذلك انهارت وسقطت الإمبراطورية
السوفيتية. ورغم أن ألمانيا الغربية قد احتوت ألمانيا الشرقية ولكن التناقض
ما زال قائما وأن كان يجد له متنفسا بأشكال أخرى.

هذا ما لم يستطع خلفاء غورباتشوف أن يفعلوه مع الشيثان. كل الذي فعلوه هو منعهم من الانتصار وليس تجاوز التناقض. ومن أجل تجاوز التناقض عليهم أن يتخلوا عن الشيثان وهو ما سيحدث آجلا أو عاجلا .

من أجل تجاوز التناقض، والتنفيس عن الضغط، يجب تغيير النظام، وكلما كان التناقض أعمق كان الاحتياج أشد لتغيير النظام. أن الإمبراطورية لا تتغير باضطهاد أو الانتصار على طرف أو حتى لاعب، هذا يجعل الإمبراطورية أكثر إمبريالية. أن تغير الإمبراطورية يحدث عندما تقلل من امبرياليته. وهذا بالتالي يؤدي أيضا إلى انهيار وسقوط الإمبراطورية.

ويمكن تخليص مراحل دورة حياة التناقضات:

(٠) تناقض موضوعي لا يعتمد على الوعي.

(١) تشكيل الوعي من خلال الفكر (داخل الذات).

(٢) النطق من خلال الكلام (داخل الذات).

(٣) التحريك من خلال الفعل (خاص و/أو عام).

(٤) الصراع بين اللاعبين المحركين.

-عنيف أو سلمى.

-سريع أو بطيء.

-بدون أو مع وساطة أطراف خارجية.

-بمركزية أقل أو أكثر.

(٥)نتائج الصراع.

(أ) غلبة أو تسوية - رجوعا إلى المراحل من (٠) إلى (٤).

(ب) تجاوز = واقع جديد.

-تجاوز سلبي تحت لاعب جديد.

- تجاوز إيجابي كازدواج جديد.

خلال تتابع (١) - (٢) - (٣) يصبح طرف ما لاعب يسعى نحو

هدف بأساليب مناسبة لحد ما، منتقاة من (٤).

و (٥) لاينهي دورة حياة تناقض ما، وإنما يحكم غطاء فوقه كما

أوضحنا في أعلاه.

أما (٥) التجاوز فهو نهاية دورة حياة التناقض. وهذا لايعني أنه نهاية

/ موت النظام لأنه ربما مايزال يحوي متناقضات أخرى في مراحل دورة حياة

مختلفة.

إن التجاوز هو خلق واقع جديد:

-التجاوز السلبي (لا هذا ولاذاك) والأهداف غير محققة.

-التجاوز الإيجابي (كل من هذا وذاك) الأهداف محققة، مع انعطاف.

خذ مثالا صراع الإكوادور وبيرو حول مكان رسم الحدود في منطقة متنازع عليها في جبال الإنديز تبلغ مساحتها ٥٠٠ كم مربع. وقد جرت بينهما ثلاثة حروب من أجل تسوية القضية. أن انتصار أحد الطرفين والحق المنطقة بالأراضي الوطنية له هو (غلبة)، أما رسم الحدود مثلا عند خط وقف إطلاق النار هو (تسوية). أما التجاوز السلبي فهو وضع المنطقة تحت إشراف الأمم المتحدة وبذلك خلق واقع اجتماعي جديد. ويمكن أن يكون التجاوز الإيجابي منطقة مشتركة للشعبين بدون احتكار دولة لهذه المنطقة. هذا واقع جديد. وكلا الواقعين والنظامين الجديدين يمكن بدورهما أن ينتجا تناقضاتهما الخاصة .

لقد حان الوقت لاستكشاف العلاقات الإجهادية بين التناقضات الذاتية والموضوعية.

إن النظام الاجتماعي يضم اختلافات بين الأصناف - مثل الجنس والأجيال والأعراق والطبقات والقوميات والأراضي. وتصبح هذه العلاقات فيما بعد علاقات في نظام داخلي الفعل. التي تصبح فيما بعد خطوط

الصدع، وذلك لأن الفعل الداخلي يعتمد عادة على شروط غير متساوية، مما يمكن أن يؤدي إلى القطبية وهيكل قائم على التمييز العنصري تصاحبه ثقافة تحيز. وكل المجتمعات المعروفة تحتوي على شيء من هذه اللامساواة والظلم.

وتستخدم الإمبراطورية مثل هذه الهياكل والثقافات كحجارة بناء ويمكن أن تصبح نظاماً ذا طبقتين أو أكثر يربط معا خطوط الصدع الداخلية والعالمية. هناك مركز وأطراف في النظام العالمي للدول. داخل المركز وداخل الأطراف هناك أيضا مراكز وأطراف، وكل الانظمة الثلاثة يمكن أن تعتمد على منطق الظلم الرباعي .

إن مسمار دولاب النظام هو التناغم بين المركز (الصغير) في (المركز الكبير) والمركز (الصغير) في الأطراف. والولايات المتحدة حاليا (صيف ٢٠٠٣) تحاول إعادة بناء مركز (صغير) عراقي متناغم مع مركز مصالح الدولة/ الشركات. وينبغي على المركز العراقي أن يؤدي المهام الأربعة محليا ويسلم ثمار تبادل غير متكافئ مثل القيمة الاقتصادية، والإرهابيين المطلوبين والانصياع والتكيف مع المركز الكبير (أمريكا وبريطانيا) مع الاحتفاظ بعمولة سمسرة. ويكافأ العراقيون بمستوى معيشة مادي يشابه الموجود في الولايات المتحدة.

ما وصفناه آنفا هو إمبراطورية بسيطة تربط ثلاثة أنظمة ذات تبادل غير متكافئ اثنان منها محلي وواحد عالمي. ولكن الإمبراطورية الأمريكية معقدة، وبكونها مهيمنة على العالم فليس هناك نظام محلي منفصل عن تلك الإمبراطورية. الإمبراطورية الأوروبية تربط ١٥ (ستصبح ٢٥ دولة - مركز) مع ١٠٠ دولة أطراف ولكن بشكل ناعم.

هناك تقسيمات أخرى غير خطوط الصدع في المجتمع المحلي والدولي مثل ما بين الأحزاب السياسية في المجتمعات الديمقراطية نوعا ما، ومجموعات الدول في نظام عالمي غير ديمقراطي. أن الحركات الاجتماعية والتناقضات الذاتية الواعية إلى حد ما يعبر عنها وتحرك عبر بعض خطوط تقسيم جديدة، تكون جاهزة لصراع (٤). ولكن من أجل ماذا؟

ونظريا، إذا كان في التناقض الموضوعي نقطة خلاف (issue) لم تحل في المركز، فإنها تتحول بعدئذ إلى قضية الحركة (cause) وهذا يسبب مشكلة أساسية لعدم كفاءة الازدواج بين التناقضات الذاتية والموضوعية وبين القضايا ونقاط الخلاف. وكلاهما جزء من الواقع الاجتماعي، ولكن إذا كانت الحركات تفتقر إلى الوعي مما يجعلها تتناول نقاط الخلاف بشكل خاطئ فإن نقاط الخلاف هذه يمكن أن تصبح مثل يتيم ينتظر أن تلتقطه حركة واعية. وقد يكون هناك تناقض بين تناقض الحركة وتناقض نقطة الخلاف وتكون النتيجة سياسة فاسدة وخارجة عن المسار.

وهكذا فإن التناقض الذاتي في ماينمار/بورما بين الحكومة العسكرية
الاولتقراطية وحركة ديمقراطية ترأسها امرأة تمثل شعبا في مجتمع متعدد
القوميات، وهي امرأة من طبقة متوسطة عالية في مجتمع فقير جدا، متزوجة
من رجل غربي في بلد يحاول أن تكون له هويته الخاصة، وقد يكون هذا
التناقض غير كاف أمام التناقضات الموضوعية للبلاد. ومن وجهة نظر غربية
فإن التناقضات الأساسية هي الاولتقراطية مقابل الديمقراطية (الغربية)
والانغلاق مقابل انفتاح دولة أمام التغلغل الاقتصادي والثقافي. أن التناقض
الذاتي مناسب لنقاط الخلاف. ولكن ينبغي أن يكون الموضوعي والذاتي
مرآة لبعضهما البعض.

وهكذا كان على غاندي أن يجرد - حرفيا - نفسه من غريته ومن
ممتلكات طبقته العالية المميزة لدى مجتمع الهندوس، ويشارك الظروف
المعيشية للطبقات الدنيا وطبقة المنبوذين قبل أن يستطيع قيادة شعب الهند
نحو الحرية والديمقراطية، ولكن زعيم الهند الحرة جواهر لال نهرو كان غربيا
جدا ومن طبقة اجتماعية عالية جدا وعلماني جدا، وقد قاد الهند في ذلك
الاتجاه. كان غاندي ينشد بلادا مؤسسة على (دوائر المحيط) متمثلة بقرى
تحكم وتعتمد على نفسها، أما نهرو فقد كان يريد بلادا حديثة وعلمانية
وصناعية واشتراكية. أن التناقض الذاتي مهم.

يميل الليبراليون إلى دراسة الحركات الذاتية بينما يفضل الماركسيون دراسة الحركات الموضوعية. والتفضيل هنا هو لـ (كل من هذا وذاك) وخاصة التناقض بين متناقضين.

هذا مثال من النرويج: كان التناقض الموضوعي قبل قرن بين "المرفهين" و"العامة" الغالبة. في عناصر المعيشة والتناقض الموضوعي في نظام الحزب. كان العامة يعيشون من الزراعة وصيد السمك والطرائد الأخرى والوظائف، أما المرفهون فقد كانوا يعيشون من الثروة كأصحاب عمل أو يملكون مشاريعهم الخاصة. وكانت هناك مناطق رمادية. وقد خلق حزب العمل من خلال عبقرية سياسية تحالفا للمزارعين والصيادين وعمال الصناعة في مقابل المرفهين. وقد فاز التحالف بالانتخابات وحكموا لمدة عقدين من السنوات وخلقوا واقعا اجتماعيا جديدا. هو دولة الرفاهية.

وكان هذا المجتمع يملك تناقضاته الموضوعية الخاصة به حيث كانت هناك أقلية من النساء المتقدمات في السن والعمال الأجانب الضعفاء والمعوقين في مقابل الآخرين. وبما أن التناقض الموضوعي لم تقابله تناقضات ذاتية كافية فقد تعمق هذا التناقض في وسط الوفرة. لم يكن لدى حزب العمل الكفاءة اللازمة. وبقيت المسألة معلقة لم تحل .

الحركات ضد الإمبراطورية الأمريكية: الواقع الاجتماعي معقد، لكن
عندما تتطابق القضية (cause) مع نقاط الخلاف (issue) تكون الحركة
عندها وافية بالمراد .

المصدر 16/9/2003 www.transcend.org

- يوهان غلتونج **johan galtung** نرويجي ولد في اوسلو عام ١٩٣٠، أستاذ دراسات السلام،
مدير شبكة **Transcend** للسلام والتنمية، مؤسس معهد أبحاث السلام الدولية في ١٩٥٩،
مؤلف عدة كتب ونظريات، حاصل على عدة جوائز عالمية و ١٠ شهادات دكتوراه فخرية من جامعات
في أنحاء العالم.

بسبب المقاومة: أمريكا تغير خططها كل يوم

جستين هجلر وروبرت كورنويل

لقد كان بوش يفخر دوماً بأن تصميمه لا يلين. وفي حقيقة الأمر أنه منذ هبط على حاملة الطائرات إبراهيم لنكولن في ٢٠٠٣/٥/١ ليلتقط أكثر الصور زيفاً في التاريخ الحديث، والأحداث تجبره على أن يغير خطته للعراق خطة بعد أخرى.

رئيس الوزراء

ينظر إلى تعيين إياد علاوي كرئيس الوزراء الانتقالي هذا الأسبوع كمؤامرة أمريكية أخرجت الاخضر الابراهيمي موفد الأمم المتحدة المفترض أن يختار هو ممثلاً عن الهيئة الدولية الحكومة الانتقالية التي ستتسلم (السيادة) بعد ٣٠ حزيران.

وكلما تأملنا الصعود المفاجئ للسيد علاوي وهو عميل CIA وM16 كلما ظهر واضحاً للعيان أن السياسيين الطموحين في مجلس

الحكم اختطفوا مناصب الحكومة الجديدة - في حين أن الحكومة الجديدة -
كما يفترض - هي بديلة عن مجلس الحكم. والسؤال الوحيد هو مع من
كان مجلس الحكم يتآمر وهو يستحوذ على المناصب لأعضائه؟

ولكن مهما يكن الجواب فإن تعيين العلاوي هو ذروة سلسلة من
التراجعات المشهودة التي منحت الرئيس جورج بوش وإدارته مظهر المفزوع
الذي يقفز من خطأ سياسي في العراق إلى خطأ آخر. ومنذ تشرين ثاني /
نوفمبر الماضي وكل قرار يبدو وكأنه اتخذ بعين مفتوحة على حدث سياسي
واحد فقط وهو إعادة انتخابات بوش في تشرين الثاني القادم.

في الأول كان أحمد الجبلي الذي بدا وكأن الأمريكيان - وخصوصا
وزارة الدفاع التي يرأسها دونالد رامسفيلد - يجملونه من أجل أن يكون
رجلهم المطوع في بغداد. ولكن في الأسابيع القليلة الماضية، فقد الجبلي
هذه الرعاية والآن يتهمونه بالخداع العمدي للولايات المتحدة وبريطانيا لشن
حرب بمعلومات كاذبة حول أسلحة دمار عراقية لوجود لها. والبعض يتهمه
بأنه فعل ذلك بتحريض من المخابرات الإيرانية.

وفي بادئ الامر كانت الولايات المتحدة تريد أن تسلم السيادة إلى
مجلس حكم موسع يتكون معظمه من قادة المعارضة العراقية السابقة الذين
عادوا من المنفى على ظهور الدبابات الأمريكية. ولكن المرجع الديني
لأغلبية العراق الشيعة أية الله العظمى السيستاني طالب بالانتخابات قبل أي

تسليم سلطة. واستدعى الأمريكان الأخضر الإبراهيمي الذي ساهم في إقامة حكومة انتقالية في أفغانستان ليرى إذا كان في الإمكان إجراء انتخابات - بعبارة أخرى - أن يقنع السيستاني بأن ذلك غير ممكن.

وهذا ما فعله الإبراهيمي الذي طلب منه الأمريكان فيما بعد أن يبقى وأن يساعد في إقامة حكومة يرضى عنها السيستاني والعراقيون بصورة عامة. وقد أعلن على الملأ أنه سوف يتخطى مجلس الحكم ويختار حكومة من التكنوقراط. ولكن الآن يعلن مجلس الحكم أنه اختار أحد أعضائه رئيساً للوزراء وليس أي عضو وإنما واحداً يشبه أحمد الجلبي.

فمثل الجلبي، يرأس علاوي جماعته المعارضة وكان قد أقام علاقات مع وكالات المخابرات الأجنبية - أولاً المخابرات البريطانية MI6 ثم الأمريكية CIA وكان ينقل المعلومات الاستخباراتية إلى الولايات المتحدة وبريطانيا قبل الحرب بوقت طويل وقيل إنه صاحب الكذبة الكبيرة من أن العراق يستطيع أن يستخدم أسلحة الدمار الشامل خلال ٤٥ دقيقة.

وقد بدا على المتحدثين الرسميين الأمريكان الحيرة والذهول مثل كل شخص عندما قام مجلس الحكم بهذه الحركة وقالوا أولاً أن السيد علاوي كان ترشيحاً وليس اختياراً نهائياً وهو ما سيقوم به الإبراهيمي. ومن الواضح أن بول بريمر اجتمع مع مجلس الحكم لمدة ساعة قبل أن يستدعى الإبراهيمي لإبلاغه بالقرار. وقد صرح الإبراهيمي فيما بعد بأنه يرحب بتعيين

علاوي، وكان هذا التصريح بمثابة مصادقة على القرار. ولكن في تخطي الأمم المتحدة ضحى بريمر وأسياده السياسيون بمصادقية الحكومة الانتقالية التي صارت منذ الآن موضع ريبة في العراق وخارجه .

وكم يبدو هذا مختلفا عما حدث من قبل. لقد كان بوش يفخر بأن تصميمه لايلين. وفي حقيقة الأمر أنه منذ هبط على حاملة الطائرات إبراهيم لنكولن في ٢٠٠٣/٥/١ ليلتقط أكثر الصور زيفا في التاريخ الحديث، والأحداث تجبره على أن يغير خطته للعراق خطة بعد أخرى.

قبل أكثر من عام بقليل، كان المحافظون الجدد الذين يهيمنون على السياسة الخارجية الأمريكية ينطلقون باندفاع يسوّقون رؤاهم عن السلام الأمريكي في الشرق الأوسط الذي يمر طريقه إلى القدس والتسوية الإسرائيلية - الفلسطينية الدائمة عبر بغداد جديدة ديمقراطية. واليوم نجد ديك تشيني وبول وولفوفتز وريتشارد بيرل والبقية صامتين. حالما أزيحت لافطة (انتهاء المهمة) التي كانت تزين حاملة الطائرات إبراهيم لنكولن حتى بدأ التخطيط السياسي الذي كان آخره تعيين علاوي.

الحاكم المدني

كان الجنرال المتقاعد جي جارنر هو المسمى الرسمي أصلا ليرأس جهود إعادة الأعمار. ولكن عندما ازداد الانفلات الأمني اعتبر غير فاعل في

استتباب الأمن. وبعد شهر من تعيينه استبدل بالدبلوماسي السابق بول بريمر في ١١/٥/٢٠٠٣ ليكون مسؤولاً عن سلطة التحالف المؤقتة. وبدأ بشكل واضح أن الولايات المتحدة كانت قد استهانت بالمصاعب.

إعادة إعمار العراق:

كان الثمن الأصلي هو ٥٠ بليون دور وقد توقع السيد وولفوفتز نائب وزير الدفاع بأن عملية إعادة البناء سوف تمول ذاتياً من عائدات النفط العراقي، ولكن بعد انقضاء سنة وباستمرار أعمال العنف وتخريب مرافق النفط، لم يصل إنتاج النفط إلى مستويات فترة صدام حسين. وفي هذه الفترة ذهب السيد بوش إلى الكونغرس ثلاث مرات للمطالبة بمبلغ كلي لتمويل إعادة اعمار العراق يصل إلى ١٨٧ بليون دولار. أن الاحتلال وحده يكلف ٤ بلايين دولار شهرياً. وقد حذر البيت الأبيض في الأسبوع الماضي أنه إذا أعيد انتخاب السيد بوش فإنه يتعين حينئذ قطع المصاريف الفدرالية.

عدد القوات

لقد أجبرت الإدارة على أن تبلع كلماتها. كانت خطط الإدارة أن تخفض القوات إلى أقل من ١٠٠ ألف. ويوم الاثنين الماضي أعلن السيد بوش أن القوات ستظل عند إجمالي ١٣٨ ألف في المستقبل القريب. وقد حذر القادة الكبار أن الاحتلال يحتاج إلى قوة تبلغ ٢٥٠ أو ٣٠٠ ألف.

وقد حذر الجنرال ايريك شينيسكي رئيس هيئة الأركان ضد "استراتيجية تتطلب ١٢ فرقة مع جيش يتكون من ١٠ فرق فقط" ولكن صراحته هذه افقدته عمله في البنتاغون. والآن يدفع البنتاغون ثمن تجاهل الاستماع إليه.

الدستور

حدث التصحيح الكبير في مسيرة الاحتلال في منتصف تشرين الثاني ٢٠٠٣. فمع تعثر خطط الدستور الجديد وازدياد الكراهية للقوات الأمريكية في الشارع العراقي، هرع السيد بريمر إلى واشنطن للتشاور. وبدلاً من الانتظار لكتابة دستور جديد قد يستغرق سنوات، قلصت الولايات المتحدة خطتها ذات السبع مراحل التي تستغرق عدة سنوات وقررت أن تنقل السلطة إلى الحكومة الانتقالية التي ستتسلم السلطة في ٣٢ يوماً. وهذه الحكومة سوف تشرف على انتخابات مجلس وطني والذي من المنتظر أن يكتب الدستور الدائم الذي بموجبه سوف تجرى انتخابات لحكومة دائمة. وكل ذلك بنهاية عام ٢٠٠٥.

ولكن السيد بوش مازال لا يجراً على تعيين موعد حاسم لانسحاب القوات الأمريكية. ولهذا يتهمه النقاد بعدم وجود خطة خروج من العراق. ويقول الرئيس أن سيادة (كاملة) سوف تنقل إلى العراقيين في ٣٠ حزيران. ولكن ماذا تعني كلمة (كاملة)؟

حل الجيش

كان من المفترض أن تدرب الولايات المتحدة قوات أمن عراقية جديدة ولكن عمليا لم يكن هذا كافيا. وفي الشهرين الماضيين عكست سلطة التحالف المؤقتة مسارها مرتين. أهملت قرار (اجتثاث البعث) حيث سمحت بتكليف قائد عسكري عراقي كبير من أيام صدام باستلام مسؤولية حفظ الأمن في الفلوجة. والشيء نفسه يوشك أن يحدث في الجنوب الشيعي، حيث تعقد الولايات المتحدة معاهدة مع رجل الدين الثائر مقتدى الصدر في النجف التي يتولى مهام حفظ الأمن فيها أنصار الصدر. وهذا سيكون إقرارا من الولايات المتحدة بأنها لا تملك القوات للقيام بهذه المهمة بنفسها.

المقاتلون الأجانب

عندما راجعت الولايات المتحدة خططها في تشرين الثاني الماضي قالت إنها سوف تستخدم أسلحة ثقيلة بضمنها طائرات ثابتة الجناح من أجل تدمير مايسميه السيد رامسفيلد (مقاتلين أجانب وفلول). وقد تم إغفال هذا الأسلوب باعتباره آخر مايمكن أن يكسب قلوب وعقول العراقيين العاديين.

إشراك الأمم المتحدة

بعد قضاء سنتين من الاستهانة بالأمم المتحدة لم يعد ثمة خيار لواشنطن سوى أن تضع مصير العراق بين يدي الإبراهيمي وهو سني جزائري

تعتبر آراؤه حول إسرائيل من المحرمات في نظر الكثير داخل الإدارة الأمريكية. ولكن المناورات التي احقت بمهمته قد تتسبب في خلق المزيد من الجفوة بين الولايات المتحدة والهيئة الدولية مرة أخرى وتعدّد إصدار قرار أممي حول العراق والذي تحتاجه الولايات المتحدة، وكذلك توني بليز - بشدة من أجل رأب الصدع في العلاقات الدولية.

القواعد الأمريكية

بالنسبة لصقور البنتاغون كان أحد الأهداف الجيو استراتيجية الرئيسية لغزو العراق هو ضمان صحراء جديدة لإقامة قواعد عسكرية في الخليج حالما تنسحب القوات الأمريكية من السعودية. وكان يدور الحديث حول انسحاب القوات الأمريكية من المناطق الآهلة بالسكان إلى الصحراء التي ستمنحها لهم حكومة عراقية امتنانا لهم. والآن أصبحت أمريكا مكروهة في العراق إلى درجة الامتناع حاليا عن التصريحات العلنية بشأن هذه القواعد.

ديمقراطية الشرق الأوسط

منذ تفجر الانتفاضة ضد القوات المحتلة قل الحديث فيما بين المحافظين الجدد في واشنطن حول (عراق ديمقراطي) يكون نموذجا للمنطقة. ويتحدثون الآن عن مجرد عراق آمن ومستقر. وكان من المتوقع أن

تطلق قمة الثمانية في الأسبوع القادم التي يسيطر عليها موضوع العراق -
بادرة (الشرق الأوسط الكبير) التي ستجلب الإصلاح إلى العالم الإسلامي .
وبسبب انتفاضة العراق وفضيحة أبو غريب فإن هذا المشروع مات في
مهده. وفي الأسبوع الماضي نشرت جريدة يو اس أي توداي USA
Today مسودة وثيقة قمة الثمانية التي تقول (إن التغيير يستحيل فرضه من
الخارج) .

<http://www.independent.co.uk/news/world/middle-east/the-handover-that-became-a-shambles-ten-u-turns-on-the-road-to-peace-62789.html> - مصدر المقالة

ترجمت في ٢٠٠٤/٦/١

- جستين هجلر - وروبرت كورنويل: مراسلان في الإندبندانت.

تحويل المسار

سيمور هيرش

في الأشهر القليلة الماضية، ومع تدهور الوضع في العراق، اتخذت إدارة بوش، في دبلوماسيتها المعلنة وعملياتها السرية، مسارا جديدا مهما في استراتيجية سياستها في الشرق الأوسط. و"تحويل المسار" هذا وهي التسمية التي أطلقها أحد مسؤولي البيت الأبيض على الاستراتيجية الجديدة، قد دفع بالولايات المتحدة إلى حافة مواجهة مكشوفة مع إيران، وفي أجزاء من المنطقة، تسبب في صراع طائفي آخذ في الاتساع بين المسلمين الشيعة والسنة.

ومن أجل إضعاف إيران، وفيها أغلبية شيعية، قررت إدارة بوش أن تعيد رسم أولوياتها في الشرق الأوسط. في لبنان، تعاون الإدارة مع حكومة السعودية وهي سنية في عمليات سرية تهدف إلى إضعاف حزب الله،

المنظمة الشيعية التي تدعمها إيران. كما شاركت الولايات المتحدة في عمليات سرية أخرى ضد إيران وحليفها سوريا. والمنتج الثانوي لهذه الأنشطة، كان تدعيم الجماعات السنية المتطرفة التي تؤمن برؤية جهادية للإسلام وهي معادية لأمريكا ومتعاطفة مع القاعدة.

جانب التناقض في الاستراتيجية الجديدة: يلاحظ أنه في العراق، معظم عنف (المتطرفين) (يستخدم الكاتب قاموس الاحتلال - المترجمة) الموجه إلى الجيش الأمريكي يأتي من القوى السنية وليس الشيعية. ولكن من منظور الإدارة، كان أهم نتيجة استراتيجية مهمة - وغير مقصودة - للاحتلال، هي تمكين إيران. وقد تفوه رئيسها محمود أحمددي نجاد بكلمات عنيفة حول تدمير إسرائيل وحول حق بلاده في متابعة برنامجها النووي وفي الأسبوع الماضي قال قائدها الديني الأعلى أية الله علي خامنئي في التلفزيون الحكومي بان "حقائق المنطقة تبين أن الجبهة المتعجرفة التي تقودها الولايات المتحدة وحلفاؤها سوف تكون الخاسر الرئيسي في المنطقة.

بعد أن جاءت ثورة ١٩٧٩ بحكومة دينية إلى السلطة، قاطعت الولايات المتحدة إيران وأقامت علاقات أقوى مع قادة الدول العربية السنية مثل الأردن ومصر والسعودية. وقد أصبحت تلك الحسابات أكثر تعقيدا بعد هجمات ١١ سبتمبر خاصة فيما يتعلق بالسعودية. القاعدة سنية وكثير من قياداتها جاءوا من الدوائر الدينية المتطرفة في السعودية. قبل غزو العراق في

٢٠٠٣، افترض مسؤولو الإدارة تحت تأثير ايدولوجية المحافظين الجدد بأن حكومة شيعية في العراق يمكن أن تقدم توازنا ماليا للأمريكان أمام المتطرفين السنة وطالما أن الأغلبية الشيعية في العراق كانت مقهورة أيام حكم صدام حسين. وقد أهملوا تحذيرات دوائر المخابرات حول علاقات الزعماء الشيعة العراقيين وإيران حيث عاش بعضهم سنوات النفي هناك. والآن، لخيبة البيت الأبيض، وطدت إيران علاقات وثيقة مع حكومة رئيس الوزراء نوري المالكي الشيعية.

السياسة الأمريكية الجديدة، بخطوطها العريضة، تمت مناقشتها علنيا. وفي شهادتها أمام لجنة العلاقات الخارجية لمجلس الشيوخ قالت وزيرة الخارجية كوندوليزا رايس بأنه هناك (استراتيجية جديدة في الشرق الأوسط) لفصل "المعتدلين" عن "المتطرفين"، وأشارت إلى الدول السنية باعتبارها مراكز الاعتدال، وقاتلتان إيران وسوريا وحزب الله "على الجهة الأخرى من هذه القسمة" (الأغلبية السنية في سوريا تحكّمها الطائفة العلوية) وقاتلتان إيران وسوريا" اتخذتا خيارهما وهو إثارة القلاقل".

بعض التكتيكات الجوهرية لتغيير المسار، سرية على أية حال. وقد أبقى على العمليات السرية في الخفاء، في بعض الحالات، بإلقاء عبء التنفيذ أو التمويل على السعوديين، أو بإيجاد سبل أخرى للالتفاف حول عملية تخصيص الكونغرس، كما قال مسؤولون مقربون من الإدارة حاليون وسابقون.

وقد أبلغني عضو بارز في لجنة التخصيص في مجلس النواب بأنه سمع عن هذه الاستراتيجية الجديدة ولكنه شعر بأنه هو وزملاؤه لم يتم اطلاعهم بشكل كاف. "ليس لدينا أي علم عن هذا. حين نسأل عما يجري يقولون لا شيء هناك، وحين نسأل أسئلة محددة يقولون "سوف نبليغكم" أنه "أمر محبط".

اللاعبون الأساسيون في عملية تغيير المسار هم: نائب الرئيس ديك تشيني، ونائب مستشار الأمن القومي اليون ابرامز، والسفير في العراق المرشح لمندوبية الأمم المتحدة زلماي خليل زاد والأمير بندر بن سلطان مستشار الأمن القومي السعودي. وفي حين أن راييس كانت مشاركة بعمق في تشكيل السياسة العلنية، فإن مسئولين سابقين وحاليين يقولون بأن الجانب الخفي يديره تشيني. (رفض مكتب تشيني والبيت الأبيض التعليق على هذا الخبر. ولم يرد البنتاغون على اسئلة محددة ولكن قال "الولايات المتحدة لا تخطط لشن الحرب على إيران".

لقد دفع التغيير السياسي للإدارة الأمريكية بالسعودية واسرائيل إلى علاقة استراتيجية جديدة حميمة بينهما، ويرجع السبب الرئيسي في هذا إلى أن الدولتين تريان في إيران خطرا مصيريا. وقد شاركا في محادثات مباشرة والسعوديون الذين يؤمنون بأن استقرارا أكبر في إسرائيل وفلسطين سوف يحرم إيران من نفوذها في المنطقة، قد شاركوا في المزيد من المفاوضات العربية - الإسرائيلية .

الاستراتيجية الجديدة "تغير مهم في السياسة الأمريكية. تغير هائل" كما قال مستشار حكومي أمريكي له صلات وثيقة مع إسرائيل وأضاف "الدول السنية شعرت بالخطر من اكتساح شيوعي وكان هناك غضب متصاعد من رهاننا على الشيعة المعتدلين في العراق. لا يمكننا أن نعكس المكاسب الشيعة في العراق ولكن نستطيع أن نحتويها".

يقول والي نصر وهو زميل بارز في مجلس العلاقات الخارجية الذي كتب كثيرا عن الشيعة في إيران والعراق "يبدو أن هناك جدلا داخل الحكومة حول أيهما أخطر: إيران أم الأصوليون السنة؟ وكان السعوديون والبعض في الإدارة يجادلون بأن إيران هي الأخطر وأن الأصوليين السنة أقل عداء. وهذا نصر للخط السعودي".

مارتن اندايك المسئول الكبير في وزارة الخارجية بادارة كلنتون والذي عمل في منصب سفير إسرائيل يرى أن "الشرق الأوسط يتجه نحو حرب باردة سنية شيعية خطيرة" ويضيف اندايك وهو الآن مدير مركز سابان لسياسة الشرق الأوسط في مؤسسة بروكنجز **BrookingsInstitution** أنه في رأيه لم يكن واضحا ما إذا كان البيت الأبيض مدركا تماما للفحوى الاستراتيجية لسياسته الجديدة. "إن البيت الأبيض لا يضاعف رهانه في العراق فقط وإنما في كل المنطقة وهذا من شأنه أن يعقد الأمور. كل شيء مقلوب رأسا على عقب".

تبدو سياسة الإدارة الجديدة لاحتواء إيران وكأنها ستعقد استراتيجية كسب الحرب في العراق. ويجادل باتريك كلوسون وهو خبير في الشؤون الإيرانية ونائب مدير الأبحاث في معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، بأن العلاقات الأوثق بين الولايات المتحدة والسنة المعتدلين وحتى المتطرفين قد تخيف حكومة المالكي "وتجعله يشعر بالقلق من أن السنة يمكن أن ينتصروا فعليا في الحرب الأهلية هناك. يقول كلوسون بأن هذا قد يعطي المالكي حافزا للتعاون مع الولايات المتحدة في قمع الميليشيات الشيعية الأصولية مثل جيش المهدي التابع لمقتدى الصدر.

ومع ذلك ففي هذا الوقت تظل الولايات المتحدة معتمدة على تعاون القادة الشيعة العراقيين. قد يعلن جيش المهدي عداؤه للمصالح الأمريكية ولكن الميليشيات الشيعية الأخرى حليفة للأمريكيين، وكلا من مقتدى الصدر والبيت الأبيض يدعمان المالكي. وقد جاء في مذكرة كتبها في أواخر العام الماضي ستيفن هادلي، مستشار الأمن القومي أن الإدارة تحاول فصل المالكي من حلفائه الشيعة الأكثر رادكالية ببناء قاعدة له بين السنة المعتدلين والاكرد، ولكن حتى الآن فإن الأمور تتجه اتجاهها معاكسا. وبينما يستمر الجيش العراقي الجديد في التخبط في مواجهاته مع (التمردين)، تتصاعد حثيثا قوة الميليشيات الشيعية.

قال لي فلاينت ليفريت وهو مسئول سابق في مجلس الأمن القومي في إدارة بوش: "لا تجد صدفة او مفارقة في الاستراتيجية الجديدة فيما يتعلق بالعراق. الإدارة تحاول أن تبني قضية تبين أن إيران أخطر وأكثر استفزازا للمصالح الأمريكية في العراق من (المتمردين) السنة. في حين أنك لما ترى أرقام الإصابات الحقيقية - تجد أن العقاب الذي يوقعه السنة بالأمريكيين أعظم حجما. وهذا كله جزء من حملة استفزازات من أجل تصعيد الضغط على إيران. والفكرة أنه في لحظة ما سوف يرد الإيرانيون مما يضع بين أيدي الإدارة مبرر لضربهم".

وقد أعلن الرئيس جورج بوش في خطاب في ١٠ يناير جزءا من هذه المقاربة حين قال "هذان النظامان: إيران وسوريا يسمحان للإرهابيين والتمتردين باستخدام أراضيهمما للتحرك من وإلى العراق. إيران تقدم الدعم المادي للهجمات على القوات الأمريكية. سوف نعرق الهجمات على قواتنا. سوف نوقف تدفق الدعم من إيران وسوريا. سوف نطارد وندمر الشبكات التي تقدم السلاح المتطور والتدريب لأعدائنا في العراق".

وفي الأسابيع التي تلت كان هناك موجة من الاتهامات من الإدارة حول تورط إيراني في حرب العراق. في ١١ فبراير، عرض على الصحفيين معدات تفجير مطورة وقد وقعت في أيدي القوات الأمريكية في العراق، وقالت الإدارة أنها جاءت من إيران. كان رسالة الإدارة في جوهرها، أن الوضع

الكئيب في العراق لم يكن بسبب فشلها في التخطيط والتنفيذ وإنما بسبب تدخل إيران.

اعتقل الجيش الأمريكي واستجوب مئات من الإيرانيين في العراق. ويقول مسئول مخبرات بارز سابق "صدر أمر في أغسطس الماضي للجيش أن يعتقل أكثر ما يمكن من الإيرانيين في العراق. وفي مرحلة من المراحل كان في المعتقل حوالي خمسمائة إيراني. وقد حصلنا منهم بالتعذيب علممعلومات. وهدف البيت الأبيض بناء قضية بأن الإيرانيين يدعمون التمرد وأنهم يقومون بذلك منذ البداية وأن إيران في الواقع تدعم قتل الأميركيان"، وأكد مستشار البنتاغون بأن القوات الأمريكية اعتقلت مئات الإيرانيين في الأشهر الأخيرة ولكنه قال لي بأن الرقم يشمل الكثير من عمال الإغاثة الإيرانيين الذين اعتقلوا ثم أطلق سراحهم بعد استجوابهم.

في ٢ فبراير أعلن روبرت جيتس وزير الدفاع الجديد "إننا لا نخطط لشن حرب على إيران"، ومع ذلك فإن أجواء المواجهة تصاعدت. وطبقا لمسئولي استخبارات وجيش حاليين وسابقين فإن عمليات سرية تجري في لبنان وإيران في وقت متزامن. وقد سعدت فرق العمليات الخاصة والجيش الأمريكي من عملياتهم في إيران لجمع معلومات استخباراتية طبقا لمستشار في البنتاغون لشؤون الإرهاب ومسئول الاستخبارات البارز السابق، وقد عبرت الحدود أيضا في مطاردة الجواسيس الإيرانيين في العراق.

لدى ظهور راييس في مجلس الشيوخ في يناير، سألها قاصدا السناتور الديمقراطي جوزف بايدن منديلاوير ما إذا كانت الولايات المتحدة تخطط لعبور الحدود الإيرانية أو السورية في خضم المطاردة. أجابت راييس "من الواضح أن الرئيس لن يستثنى شيئا من أجل حماية قواتنا ولكن الخطة هي تفكيك هذه الشبكات في العراق"، وأضافت "أعتقد أن الكل يدرك إنني والشعب الأمريكي نفترض أن الكونغرس يتوقع من الرئيس أن يفعل ما يلزم لحماية قواتنا".

كانت إجابة مبهمة حفزت نائب نيراسكا السناتور تشاك هاجل وهو جمهوري طالما انتقد الإدارة، أن يقول:

"بعضنا يتذكر ١٩٧٠ ياسيدتي الوزيرة. وتلك كانت كامبوديا. وحين كذبت إدارتنا على الشعب الأمريكي وقالت "لم نعبّر الحدود إلى كامبوديا" كنا قد عبرناها في الواقع. وأنا أعرف شيئا عن ذلك مثل بعضنا في هذه اللجنة. ولهذا ياسيدتي الوزيرة، حين تحركين هنا ذلك النوع من السياسة التي يتحدث عنها الرئيس، فإن هذا شيء في غاية الخطورة".

إن قلق الإدارة من دور إيران في العراق يرافقه ذعر طويل المدى حول برنامج إيران النووي. وفي شبكة فوكس للاخبار في ١٤ يناير، حذر تشيني من امكانية قد تتحقق في المستقبل القريب "لإيران نووية قرب خزين العالم من البترول وستكون قادرة على التأثير السلبي على الاقتصاد الكوني

ومستعدة لاستخدام منظمات إرهابية و/أو أسلحتها النووية لتهديد جيرانها والآخريين حول العالم". كما قال أيضا "إذا ذهبت وتحدثت مع دول الخليج أو إذا تحدثت مع السعوديين أو الإسرائيليين أو الأردنيين، كل المنطقة قلقة. أن التهديد الذي تمثله إيران يتزايد".

تقوم الإدارة حاليا بفحص موجة من المعلومات الاستخباراتية الجديدة حول برامج أسلحة إيران. وقد أبلغني مسئولون أمريكيان حاليون وسابقون بان المعلومات التي جاءت من العناصر الإسرائيلية العاملة في إيران بضمنها الزعم بان إيران طورت صاروخا يصل مداه إلى أوروبا ذا ثلاث مراحل وصلب الوقود وقادر على إيصال عدة رؤوس حربية صغيرة بدقة محدودة لكل منها. ومازال الجدل قائما حول صدقية هذه المعلومات الاستخباراتية البشرية.

وقد كان هناك جدل مماثل حول الخطر الوشيك الذي تمثله أسلحة دمار شامل وأسئلة حول دقة المعلومات التي استخدمت لصياغة تلك القضية التي شكلت تمهيدا لغزو العراق.. وقد استقبل الكثيرون في الكونغرس هذه المزاعم حول إيران بحذر. في مجلس الشيوخ في ١٤ فبراير، قالت هيلاري كلنتون "لقد تعلمنا جميعا دروسا من الصراع في العراق، وعلينا تطبيق تلك الدروس على أي مزاعم تثار حول إيران. لأنه يا سيدي الرئيس، ما نسمعه يدق جرسا مألوفا ويجب علينا الاحتراس لئلا نصدر قرارات مرة أخرى على أساس معلومات يتضح خطأها فيما بعد".

وبالرغم من ذلك، فإن البنتاغون ماضٍ في التخطيط المكثف لقصف إيران بالقنابل، وهو إجراء بدأ السنة الماضية بأمر الرئيس. في الأشهر الأخيرة، أخبرني المسئول الاستخباراتي السابق بأن مجموعة تخطيط خاصة قد تشكلت في مكاتب هيئة الأركان المشتركة ومهمتها رسم خطة طوارئ لقصف إيران يمكن تنفيذها إذا أمر الرئيس بذلك، في خلال ٢٤ ساعة.

في الشهر الماضي، أبلغت من قبل مستشار في القوة الجوية لشؤون الاستهداف ومستشار في البنتاغون لشؤون الإرهاب بأن مجموعة تخطيط إيران قد تسلمت مهمة جديدة: تحديث الأهداف الإيرانية المتورطة بدعم أو مساعدة المقاتلين في العراق. وفيما سبق كان التركيز على تدمير المرافق النووية الإيرانية وإمكانية تغيير النظام.

وفي البحر العربي، توجد الآن حاملتا طائرات هي ايزنهاور وستينس. وهناك خطة لاستبدالهما في أوائل الربيع ولكن هناك الآن قلق داخل الجيش بأن الحاملتين قد تؤمران بالبقاء في المنطقة بعد وصول الحاملتين الجديدتين حسبما ترى مصادر عديدة. (ومن بين أسباب القلق الأخرى، فقد بينت المناورات التدريبية بأن حاملات الطائرات قد تكون فريسة سهلة لتكتيكات احتشاد أسراب القوارب الصغيرة وهو تكتيك مارسه الإيرانيون في الماضي. وحاملات الطائرات لها قدرة محدودة على المناورة في مضيق هرمز الضيق أمام ساحل إيران الجنوبي). وقال مسئول الاستخبارات البارز السابق بأن

خطط الطوارئ الراهنة تسمح بأمر بالهجوم هذا الربيع. وأضاف، على أية حال، أن الضباط الكبار في هيئة الأركان المشتركة يعولون على أن البيت الأبيض لن يكون "غيبا إلى درجة القيام بهذا في ضوء مايجرى في العراق والمشاكل التي سوف يتسبب بها مثل هذا الأمر للجمهوريين في ٢٠٠٨".

لعبة الأمير بندر

جهد الإدارة لتحجيم النفوذ الإيراني في الشرق الأوسط اعتمد بشكل رئيسي على السعودية وعلى الأمير بندر مستشار الأمن القومي السعودي. شغل بندر منصب السفير لدى الولايات المتحدة لمدة اثنين وعشرين سنة حتى عام ٢٠٠٥ وقد أبقى على حبال الود مع الرئيس بوش ونائب الرئيس تشيني. وفي منصبه الجديد يستمر في اللقاء بهما سرا، وبالمقابل قام مسئولون بارزون في البيت الأبيض بزيارات متكررة للسعودية مؤخرا وبعض هذه الزيارات لم يفصح عنها.

في نوفمبر الماضي، طار تشيني إلى السعودية في لقاء مفاجيء مع الملك عبد الله وبندر. ونشرت التاييمز بأن الملك حذر تشيني بأن السعودية سوف تساند السنة فيالعراق إذا انسحبت الولايات المتحدة. وقد أخبرني مسئول استخباراتي أوروبي بأن اللقاء ركز أيضا على مخاوف سعودية عامة أخرى حول "صعود الشيعة" وكرد فعل "بدأ السعوديون في استخدام قوتهم.. المال".

في عائلة ملكية زاخرة بالتنافس، استطاع بندر، على مر السنوات، أن يبنى قاعدة قوة تعتمد بشكل رئيسي على علاقته الوثيقة بالأمريكان وهي مسألة حيوية للسعودية. وقد خلف بندر الأمير تركي الفيصل الذي استقال بعد ثمانية عشر شهرا وحل محله عادل الجبير وهو بيروقراطي سبق له العمل مع بندر. وقد أعلمني دبلوماسي سعودي سابق أنه خلال عمله في واشنطن، بلغ أسماع بندر أن هناك لقاءات سرية تجرى بين بندر ومسؤولين كبار في البيت الأبيض بضمنهم تشيني وابرامز. ويقول السعودي "أعتقد أن تركي لم يكن سعيدا بذلك"، ولكنه أضاف "لا أعتقد أن بندر كان يتصرف من تلقاء نفسه" ويضيف السعودي بأنه رغم كراهية تركي لبندر فإنه كان يشاركه هدفه في مواجهة تصاعد قوة الشيعة في الشرق الأوسط.

الخلاف بين الشيعة والسنة يعود إلى انقسام مبرير في القرن السابع حول من كان يجب أن يخلف النبي محمد. وقد سيطر السنة على الخلافة القرون أوسطية والأمبراطورية العثمانية، وقد همش الشيعة تقليديا. وفي كل أنحاء العالم يشكل السنة تسعين بالمائة من المسلمين، ولكن الشيعة هم الأغلبية في إيران والعراق والبحرين وهم أكبر جماعة إسلامية في لبنان. وقد أدى تركيزهم في منطقة مضطربة وغنية بالترول إلى قلق في الغرب وبين السنة حول بزوغ (الهلال الشيعي)، لاسيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار الثقل الجيوبولتيكي المتنامي لإيران.

"السعوديون مازالوا يرون العالم من خلال أيام الإمبراطورية العثمانية حين كان المسلمون السنة يجثمون على الحكم والشعية في اسفل طبقة، كما قال لي فريدريك هوف، الضابط العسكري المتقاعد وخبير الشرق الأوسط واطاف أنه إذا نظر إلى بندر بأنه يدفع في اتجاه تحول في السياسة الأمريكية لصالح السنة، فهذا سوف يعزز مكانته داخل العائلة المالكة إلى حد كبير .

السعوديون مدفوعون بخوفهم من أن إيران يمكن أن تميل بكفة ميزان القوى ليس فقط في المنطقة ولكن في بلادهم أيضا. في السعودية هناك أغلبية شيعية مهمة في المحافظة الشرقية، وهي منطقة غنية بحقول النفط الرئيسية، والتوتر الطائفي شديد في تلك المحافظة. وتعتقد العائلة المالكة أن الجواسيس الإيرانيين بالتعاون مع الشيعة المحليين كانوا وراء الهجمات الإرهابية العديدة داخل المملكة، طبقا لوالي نصر "اليوم، الجيش الوحيد القادر على احتواء إيران - الجيش العراقي، قد دمرته الولايات المتحدة. أنك تتعامل الآن مع إيران التي قد تكون لديها قدرات نووية ولديها جيش قائم من أربعمائة وخمسين ألف جندي. "السعودية لديها خمسة وسبعون جنديا فقط".

وبضيف نصر "للسعوديين موارد مالية هائلة وعلاقات عميقة مع الإخوان المسلمين والسلفيين - وهم المتطرفون السنة الذين يعتبرون الشيعة

كفاراً "آخر مرة كانت إيران خطراً حرك السعوديون أسوأ أنواع الأصوليين الإسلاميين. وحالما تخرجهم من العلبة، فإنك لا تستطيع إعادتهم".

كانت العائلة المالكة السعودية على التوالي، راعية وهدفا للمتطرفين السنة الذين يعارضون الفساد والتفسخ في أوساط أمراء العائلة الذين لا يعدون ولا يحصون. ويراهن الأمراء على استمرار بقائهم في الحكم طالما يستمرون في مساندة المدارس الدينية والجمعيات الخيرية المرتبطة بالمتطرفين. واستراتيجية الإدارة الجديدة تعتمد بشدة على هذه الصفقة.

قارن نصر الوضع الحالي بفترة أول ظهور القاعدة. في الثمانينات وأوائل التسعينات عرضت الحكومة السعودية المساعدة في الحرب السرية لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية ضد الاتحاد السوفيتي في أفغانستان. وقد أرسل المئات من الشبان السعوديين إلى مناطق باكستان الحدودية حيث أقاموا مدارس دينية وقواعد تدريب وتسهيلات تجنيد. وفي تلك الفترة كما هي الآن فإن الكثير من المجندين الذين كانوا يقبضون من الأموال السعودية كانوا من السلفيين. ومن بينهم طبعاً كان أسامة بن لادن ورفاقه الذين أنشأوا القاعدة في ١٩٨٨.

ولكن هذه المرة كما أخبرني المستشار الحكومي الأمريكي فإن بندر وسعوديين آخرين أكدوا للبيت الأبيض بأنهم "سوف يراقبون عن كثب المتدينين الأصوليين. كانت رسالتهم لنا: "لقد خلقنا هذه الحركة ويمكننا أن

نسيطر عليها"، المسألة ليست أننا لا نريد السلفيين أن يلقوا القنابل ولكن على من يلقونها!! حزب الله ومقتدى الصدر وإيران وعلى السوريين إذا استمروا بالعمل مع حزب الله وإيران".

وقال السعوديانه من وجهة نظر بلاده فإنها تقوم بمخاطرة سياسية بالتحالف مع الولايات المتحدة في مواجهة إيران: والعالم العربي ينظر إلى بندر على أنه شديد القرب من إدارة بوش. قال لي الدبلوماسي السابق "لدينا كابوسان: أن تحصل إيران على القنبلة وأن تهاجم الولايات المتحدة إيران. وأنا أفضل أن يقصف الإسرائيليون الإيرانيون حتى نستطيع أن نلومهم. إذا قامت أمريكا بذلك فسوف يقع اللوم علينا".

في العام الماضي، طور السعوديون والإسرائيليون وإدارة بوش سلسلة من التفاهات غير الرسمية حول اتجاههم الاستراتيجي الجديد الذي يشمل على أربعة عناصر على الأقل كما أخبرني المستشار الحكومي الأمريكي. أولاً التأكيد لإسرائيل أن أمنها يأتي في المقدمة وأن واشنطن والسعودية والدول السنية الأخرى يشاركونها قلقها من إيران.

ثانياً - السعوديون سوف يحثون حماس، الحزب الفلسطيني الإسلامي التي تتسلم دعماً إيرانياً على أن تقطع عملياتها ضد إسرائيل وأن تبدأ محادثات جادة حول المشاركة في القيادة مع فتح وهي المنظمة الفلسطينية الأكثر

علمانية. (في فبراير رعى السعوديون صفقة في مكة بين الفصليين. ولكن على أية حال أبدت إسرائيل والولايات المتحدة استيائهما من الشروط).

العنصر الثالث هو أن تبدأ إدارة بوش في العمل مباشرة مع الدول السنية لمكافحة بروز الشيعة في المنطقة.

العنصر الرابع سوف تقدم السعودية، بموافقة واشنطن، التمويل والعون اللوجستي لإضعاف حكومة الرئيس السوري بشار الأسد. ويؤمن الإسرائيليون بان مثل هذا الضغط على حكومة الأسد سوف يدفعها إلى التفاوض. وسوريا هي المصدر الرئيسي لتسليح حزب الله. كما أن الحكومة السعودية تشعر بالغضب من السوريين حول اغتيال رفيق الحريري، رئيس الوزراء اللبناني السابق. في بيروت عام ٢٠٠٥، حيث تعتقد أن حكومة الأسد مسؤولة عنه. والحريري المليونير السني كان شديد الارتباط بالنظام السعودي ومع الأمير بندر (أشار تحقيق للأمم المتحدة إلى تورط السوريين، ولكنه لم يقدم دليلا مباشرا وهناك خطط للقيام بتحقيق آخر بواسطة محكمة دولية).

اعتبر باتريك كلوسون من معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى بأن تعاون السعوديين مع البيت الأبيض انفتاحا مهما، وقد أخبرني أن "السعوديين يفهمون أنهم إذا أرادوا الإدارة أن تقدم عرضا سياسيا أكثر كرما للفلسطينيين، فعليهم إقناع الدول العربية بتقديم عرض يوازيه في الكرم للإسرائيليين". ويضيف بأن المقاربة الدبلوماسية الجديدة "تبين درجة حقيقية

من الجهد والتطور إضافة إلى لمسة أناقة لم تعرفها هذه الإدارة من قبل. من يخاطر المخاطرة الأعظم - نحن أم السعوديون؟ في الوقت الذي يتردى بشدة وضع أمريكا في الشرق الأوسط يأتي السعوديون لانقاذنا. يجب أن نحمد الله على هذه النعم".

ولكن لمستشار البنتاغون رأيا مختلفا. يقولان الإدارة استدارت إلى بندر لتضمن خط رجعة حيثإنها تدرك أن الحرب الفاشلة في العراق قد تترك الشرق الوسط لقمة سائغة للطامعين.

الجهاديون في لبنان

بعد إيران تركز العلاقة الأمريكية - السعودية على لبنان حيث يشارك السعوديون بعمق في جهود الإدارة لدعم الحكومة اللبنانية. وبصراع رئيس الوزراء فؤاد السنيورة للبقاء في السلطة ضد معارضة مستمرة يقودها حزب الله، المنظمة الشيعية وقائدها الشيخ حسن نصر الله. حزب الله لديه بنى تحتية هائلة، وحوالي الفان إلى ثلاثة آلاف مقاتل فعلي إضافة إلى آلاف من الأعضاء الإضافيين.

كان حزب الله على قائمة وزارة الخارجية للمنظمات الإرهابية منذ ١٩٩٧. وقد اتهمت المنظمة بتفجير ثكنات المارينز في بيروت عام ١٩٨٣ ومقتل مائتين وواحد وأربعين عسكريا. كما اتهمت بالتواطؤ في

خطف أمريكيين بضمنهم رئيس محطة المخابرات المركزية الأمريكية في لبنان الذي مات في الأسر ومقتل كولونيل مارينز كان يخدم مع قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة (نفى نصر الله تورط حزبه في هذه الحوادث) ويعتبر نصر الله في نظر الكثيرين إرهابيا ينكر على إسرائيل حق الوجود. ولكن الكثيرين في العالم العربي، خاصة الشيعة ينظرون إليه كقائد مقاومة وقف بوجه إسرائيل في حرب الثلاثة والثلاثين يوما في الصيف الفائت. وينظرون إلى السنيورة على أنه سياسي ضعيف يعتمد على الدعم الأمريكي، ولكنه لم يستطع أن يقنع الرئيس بوش بمطالبة إسرائيل بوقف قصف لبنان (وقد حمل المحتجون في شوارع بيروت نسخا من صورته وهو يقبل كوندليزا رايس على وجنتها حين زارت لبنان أثناء الحرب).

وقد تعهدت إدارة بوش في الصيف الماضي وعلى المثل بتقديم مساعدات بمبلغ بليون دولار لحكومة السنيورة. وتعهد مؤتمر للمانحين عقد في باريس تحت رعاية أمريكية بتقديم ثمانية بلايين بضمنها وعد بأكثر من بليون من السعوديين. وكان وعد الأمريكيين يشمل أكثر من مائتي مليون دولار بشكل مساعدات عسكرية وأربعين مليون دولار للأمن الداخلي.

كما قدمت الولايات المتحدة دعما سريا لحكومة السنيورة طبقا لمسؤول الاستخبارات البارز السابق ومستشار الحكومة الأمريكية "نقوم برنامج لتطوير القدرة السنية لمقاومة التأثيرات الشيعية ونحن نوزع الأموال هنا وهناك بقدر استطاعتنا. وكانت المشكلة دائما أن مثل هذه الأموال

"تذهب إلى جيوب أكثر مما قدرت"، وأضاف المسئول الاستخباراتي "وفي هذه العملية نحن نمول الكثير من الأشرار، ونحصل على نتائج خطيرة غير مقصودة. ليس لدينا القدرة على التحديد أو الطلب بتوقيع الشيكات من قبل من نريدهم ونستبعد من لا نريدهم. أنها مغامرة فيها الكثير من المخاطرة".

أخبرني المسئولون الأمريكيون والأوروبيون والعرب الذين تحدثت إليهم بأن حكومة السنيورة وحلفاءها سمحوا بأن تنتهي بعض هذه المعونات إلى أيدي الجماعات السنية الأصولية التي بدأت في الظهور في شمال لبنان، في وادي البقاع وحول مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في الجنوب. وهذه الجماعات رغم صغرها ينظر إليها الآن باعتبارها حاجز أمام حزب الله وفي نفس الوقت تتفق في أيديولوجيتها مع القاعدة.

خلال حديثه معي اتهم الدبلوماسي السعودي السابق نصر الله بمحاولة "اختطاف الدولة"، ولكنه رفض أيضا الرعاية اللبنانية والسعودية للجهاديين السنة في لبنان "السلفيون بغيضون وأنا أقف بقوة ضد فكرة مغازلتهم. أنهم يكرهون الشيعة ولكنهم يكرهون الأمريكيان أكثر. إذا حاولت أن تكون أكثر ذكاء منهم سوف يغلبونك. سيكون صراعا قبيحا".

قال لي الستير كروك الذي قضى ثلاثين سنة تقريبا في المخابرات البريطانية MI6 ويعمل الآن في منتدى الصراعات وهي مؤسسة فكرية في

بيروت: "الحكومة اللبنانية تفتح مجالاً لصعود هؤلاء الناس وقد يكون هذا شيئاً خطيراً"، وقال كروك أن إحدى الجماعات المتطرفة السنة وهي (فتح الإسلام) التي انشقت عن (فتح الانتفاضة) الجماعة السورية الأم في مخيم نهر البارد في شمال لبنان. وكان عدد أعضائها في ذلك الوقت أقل من مائتين. "قيل لي أنه خلال أربع وعشرين ساعة قدمت لهم أسلحة وأموال من أشخاص عرفوا أنفسهم بأنهم ممثلون عن الحكومة اللبنانية، بهدف أن يواجهوا حزب الله".

أكبر هذه الجماعات (أسباط الأنصار) ومقرها في مخيم عين الحلوة الفلسطيني وقد تسلموا أسلحة وتجهيزات من قوات الأمن الداخلي اللبنانية والميليشيات المرتبطة بحكومة السنيورة.

في عام ٢٠٠٥ وطبقاً لتقرير من مجموعة الأزمات الدولية التي مقرها في الولايات المتحدة فإن سعد الحريري زعيم الأغلبية السنية في البرلمان اللبناني وابن رئيس الوزراء السابق المغدور، قد ورث عن والده مبلغ أربعة بلايين دولار، دفع منها ثمانية وأربعين ألف دولار لأربعة أعضاء في جماعة سنية مقاتلة. وقد اعتقل الرجال عندما كانوا يحاولون إنشاء دويلة إسلامية في شمال لبنان. ولاحظت مجموعة الأزمات بأن الكثير من المقاتلين "تدربوا في معسكرات القاعدة في أفغانستان".

وطبقا لتقرير مجموعة الأزمات فإن سعد الحريري استخدم أغلبيته البرلمانية للحصول على عفو عن اثنين وعشرين من الإسلاميين في إضافة إلى سبعة مقاتلين كانوا متهمين بالتآمر لتفجير السفارتين الإيطالية والأوكرانية في بيروت في العام المنصرم. (كما رتب للحصول عن عفو عن سمير جعجع قائد الميليشيا المسيحية المارونية الذي أدين بأربع جرائم سياسية بضمنها اغتيال رئيس الوزراء رشيد كرامي في ١٩٨٧)، وقد وصف الحريري تصرفاته للصحفيين بالإنسانية.

في مقابلة في بيروت، أقر مسئول كبير في حكومة السنيورة بأن هناك جهاديين إسلاميين يعملون داخل لبنان "لدينا وجهة نظر ليبرالية تسمح لأنماط القاعدة بالتواجد هنا"، وعزا ذلك إلى القلق من أن تقرر إيران أو سوريا لتحويل لبنان إلى "ميدان صراع".

ويقول المسئول بأن حكومته في وضع لا يسمح بالفوز. وقال إنه بدون تحقيق تسوية سياسية مع حزب الله فإن لبنان يمكن أن "ينزلق إلى صراع" يقاتل فيه حزب الله قوات سنية بنتائج رهيبة محتملة، ولكن إذا وافق حزب الله على تسوية مع احتفاظه بجيش خاص يتحالف مع إيران وسوريا "قد تصبح لبنان هدفا، وفي كلا الحالتين نصبح هدفا".

صورت إدارة بوش دعمها لحكومة السنيورة كمثال على إيمان الرئيس بالديمقراطية ورغبته في منع قوى أخرى من التدخل في لبنان. وحين قاد

حزب الله تظاهرات الشوارع في بيروت في ديسمبر وصفها جون بولتون الذي كان المندوب الأمريكي لدى الأمم المتحدة حينذاك "جزءاً من الانقلاب المدعوم إيرانيا وسوريا".

يقول ليزلي هـ. جيلب الرئيس السابق لمجلس العلاقات الخارجية بأن سياسة الإدارة كانت أقرب منها إلى مؤازرة الأمن القومي الأمريكي من الديمقراطية، حقيقة أنه سيكون من الخطر جداً أن يحكم حزب الله لبنان "ويقول جيلب أن حكومة السنيورة، لو سقطت، فإن ذلك سيكون مؤشراً على سقوط الولايات المتحدة في الشرق الأوسط وصعود خطراً للإرهاب". وهكذا فأي تغيير في توزيع القوى السياسية في لبنان يجب أن تعارضه الولايات المتحدة، ونحن معذورون في مساعدة أي أحزاب غير شيعية تقاوم ذلك التغيير. يجب أن نعلن ذلك على الملأ بدلاً من الحديث عن الديمقراطية".

ولكن مارتن اندايك من مركز سابان يقول بان الولايات المتحدة لا تملك أن تمنع المعتدلين في لبنان من التعامل مع المتطرفين، ويضيف الرئيس يرى المنطقة مقسومة بين معتدلين ومتطرفين ولكن أصدقاءنا الإقليميين يرونها أنها مقسمة بين السنة والشيعية ومن نعتبرهم سنة متطرفين هم مجرد سنة في نظر هؤلاء الحلفاء.

في يناير، بعد اندلاع عنف الشوارع في بيروت الذي شارك فيه كل من أنصار حكومة السنيورة وحزب الله، طار الأمير بندر إلى طهران لمناقشة الموقف السياسي في لبنان وللقاء علي لاريجاني المفاوض الإيراني حول القضايا النووية. وطبقا لسفير شرق أوسطي كانت مهمة بندر - التي صادق عليها البيت الأبيض كما قال السفير - كانت تهدف أيضا إلى "خلق مشاكل بين الإيرانيين وسوريا" كانت هناك مشاكل بين الدولتين حول المحادثات السورية الإسرائيلية وكان هدف السعوديين تعميق الهوة، ولكن على أية حال كما يقول السفير "لم تنجح المحاولة وسوريا وإيران لن تخونا أحدهما الأخرى، من غير المحتمل جدا أن ينجح مسعى بندر".

لقد هاجم وليد جنبلاط زعيم الأقلية الدرزية في لبنان والنصير القوي للسنيورة، نصر الله واصفا إياه بالعميل السوري وقد أخبر الصحفيين أكثر من مرة أن حزب الله يخضع للأوامر المباشرة من مرجعيته الدينية في إيران. وفي حديث معي في ديسمبر الماضي وصف الرئيس السوري بشار الأسد بأنه "سفاح" وقال إن نصر الله، بسبب دعمه للسوريين، "مذنب أخلاقيا" باغتيال رفيق الحريري وجريمة اغتيال بيير الجميل الوزير في حكومة السنيورة في نوفمبر الماضي.

وقد أخبرني جنبلاط بأنه قابل نائب الرئيس تشيني في واشنطن في الخريف الماضي لمناقشة، من بين قضايا أخرى، احتمال إضعاف الأسد.

وقد نصح هو وزملاؤه تشييني أنه إذا حاولت الولايات المتحدة أن تتحرك ضد سوريا فإن عليها أن تتحدث مع جماعة الإخوان المسلمين السورية.

انخرطت جماعة الإخوان المسلمين السورية وهي فرع من الحركة السننية الاصولية التي تأسست في مصر عام ١٩٢٨، في المعارضة المسلحة لأكثر من عقد من السنين ضد نظام حافظ الأسد والد بشار. وفي عام ١٩٨٢ سيطر الإخوان على مدينة حماة فقصف الأسد المدينة لمدة أسبوع وقتل ما بين ستة آلاف إلى عشرين ألف منهم. والموت هو عقوبة الانضمام إلى الإخوان في سوريا. والإخوان أيضا يعادون الولايات المتحدة وإسرائيل. على أية حال، يقول جنبلاط "لقد أبلغنا تشييني بأن الرابط الأساسي بين إيران ولبنان هو سوريا ومن أجل إضعاف إيران تحتاج إلى أن تفتح الباب لمعارضة سورية فعالة".

هناك شواهد على أن تغيير مسار استراتيجية الإدارة صب فعلا في مصلحة الإخوان المسلمين. أن جبهة الإنقاذ الوطني السورية هي تحالف لقوى معارضة من أبرز أعضائها فصيل بقيادة عبد الحلیم خدام نائب الرئيس السوري السابق الذي انشق في ٢٠٠٥ والإخوان المسلمون. وقد أخبرني ضابط كبير سابق في وكالة المخابرات المركزية قائلا: "لقد قدم الأمريكان الدعم السياسي والمالي. السعوديون يتولون الدعم المالي ولكن هناك أيضا المشاركة الأمريكية"، وقال: إن خدام الذي يعيش الآن في باريس كان يستلم

أموالاً من السعودية بعلم البيت الأبيض. (في ٢٠٠٥ التقى وفد من الجبهة بمسؤولين من مجلس الأمن القومي حسب تقارير الصحف) وقال لي مسئول سابق في البيت الأبيض بأن السعوديين وفروا لأعضاء الجبهة واثق سفر.

يقول جنبلاط بأنه يتفهم أن القضية حساسة بالنسبة للبيت الأبيض "أخبرت تشيني بأن بعض الناس في العالم العربي خاصة المصريين"، حيث القيادة السنية المعتدلة كانت تحارب جماعة الإخوان المسلمين المصرية لعشرات السنين"، لن يعجبهم أن تساعد الولايات المتحدة الإخوان المسلمين. ولكن إذا لم تواجهوا سوريا فسنكون نحن في لبنان وجها لوجه مع حزب الله في معركة طويلة قد لا يكون النصر حليفنا فيها".

الشيخ

في ليلة دافئة وصافية في أوائل ديسمبر الماضي، وفي ضاحية مقصوفة تبعد عدة أميال إلى جنوب مركز بيروت، شهدت لمحات مما يمكن أن تعنيه استراتيجية الإدارة الجديدة في لبنان. وقد وافق الشيخ حسن نصر الله، الأمين العام لحزب الله الذي كان مختبئاً على أن أجرى حواراً معه. كانت ترتيبات الأمن للمقابلة سرية ومعقدة.

جلست في المقعد الخلفي لسيارة مظلمة النوافذ نقلتني إلى جراج مدمر تحت الأرض في مكان ما من بيروت وتم تفتيشي بآلة كشف يدوية ثم

انتقلت إلى سيارة ثانية أخذتني إلى جراح مدمر آخر تحت الأرض، ثم نقلت منه مرة أخرى. وفي الصيف الماضي كان قد أشيع أن إسرائيل تحاول قتل نصر الله ولكن الاحتياطات المبالغ بها لم تكن بسبب ذلك التهديد فقط. أخبرني مساعدو نصر الله بانهم يعتقدون أنه هدف رئيسي للأشقاء العرب خاصة عناصر الاستخبارات الأردنية إضافة إلى الجهاديين السنة الذين يعتقدون بارتباطهم بالقاعدة. (قال لي مستشار حكومي و جنرال متقاعد بأربع نجوم بأن الاستخبارات الأردنية بمساعدة من الولايات المتحدة وإسرائيل كانت تحاول أن تخترق الجماعات الشيعية للعمل ضد حزب الله. وقد حذر ملك الأردن عبد الله الثاني من أن حكومة شيعية في العراق موالية لإيران سوف تؤدي إلى بزوغ الهلال الشيعي"، وهذه مفارقة: كانت معركة حزب الله مع إسرائيل في الصيف الماضي قد حولته - وهو الشيعي - إلى أكثر الشخصيات شعبية وتأثيرا بين السنة والشيعية في عموم المنطقة. في الأشهر الأخيرة على أية حال لم يعد الكثير من السنة ينظرون إليه رمزا لوحدة العرب وإنما جزءا من حرب طائفية.

كان نصر الله في انتظاري، في شقة لا تلتفت الانتباه، يرتدي كالعادة زيه الديني. قال أحد مستشاريه بأنه ليس من المحتمل أن يبيت تلك الليلة في ذلك المبنى، فقد كان دائم التنقل منذ اتخذ قراره في يوليو الماضي بإصدار الأمر لاختطاف جنديين إسرائيليين في مدهمة عبر الحدود التي أطلقت حرب الثلاثة والثلاثين يوما. وكان نصر الله قد قال علنا وكررها أمامي بأنه

أخطأ في حساب رد الفعل الإسرائيلي "أردنا فقط أن نأسر جنديين لنفاوض على إطلاق سراح أسرانا. لم نكن نريد جر المنطقة إلى حرب".

وقد اتهم نصر الله إدارة بوش بالعمل عمدا مع إسرائيل لإثارة (الفتنة) وهي كلمة عربية تستخدم لتعني "العصيان والتشطي داخل الإسلام". قال: "وفي رأبي هناك حملة كبيرة في وسائل الإعلام في أنحاء العالم لوضع كل طائفة في مواجهة الأخرى. وأعتقد أن الاستخبارات الأمريكية والإسرائيلية هما اللتان تديران هذه الحملة"، (لم يقدم أي دليل محدد على قوله) وقال أن الحرب الأمريكية في العراق زادت من التوترات الطائفية ولكنه قال إن حزب الله حاول أن يمنع انتشارها في لبنان (المواجهات العنيفة بين السنة الشيعة ازدادت خلال أسابيع من حديثنا).

ومما قاله نصر الله أنه يعتقد أن هدف الرئيس بوش كان "رسم خارطة جديدة للمنطقة. أنهم يريدون تقسيم العراق. العراق ليس على شفا الحرب الأهلية - بل هناك حرب أهلية. هناك تطهير عرقي وطائفي. القتل اليومي والتهجير يحدثان في العراق بهدف تقسيمه إلى ثلاثة أجزاء تكون نقية عرقيا وطائفيا كمقدمة لتقسيم العراق. في خلال سنة أو سنتين على الأكثر سوف تكون هناك مناطق سنية خالصة ومناطق شيعية خالصة ومناطق كردية كلية. وحتى في بغداد هناك خوف أنها قد تقسم إلى منطقتين: واحدة سنية وأخرى شيعية".

واستمر قائلاً: "أستطيع القول إن الرئيس بوش يكذب حين يقول إنه لا يريد تقسيم العراق. كل الوقائع التي تحدث الآن على الأرض تجعلك تحلف بأنه يجز العراق إلى التقسيم. وسوف يأتي يوم يقول فيه "لا أستطيع أن أفعل شيئاً طالما أن العراقيين يريدون تقسيم بلادهم وأنا أحترم رغبات العراقيين".

قال نصر الله أنه يؤمن بان أمريكا أيضا تريد تقسيم لبنان وسوريا. في سوريا ستكون النتيجة دفع البلاد "إلى فوضى واقتتال داخلي مثل العراق" وفي لبنان "ستكون هناك دولة سنية ودولة علوية ودولة مسيحية ودولة درزية"، ولكن "لا أعرف أن كانت ستقوم دولة شيعية"، وأخبرني بأنه يظن بأن أحد أهداف القصف الإسرائيلي للبنان في الصيف الماضي كان "تدمير المناطق الشيعية وتهجير الشيعة من لبنان. الفكرة هي دفع شيعة لبنان وسوريا للهرب إلى جنوب العراق "الذي تسيطر عليه الشيعة، وقال "لست متأكدا ولكنني أشم الرائحة".

وأوضح "أن التقسيم يجعل إسرائيل محاطة بدول صغيرة هادئة" وأكد لك أن المملكة السعودية سوف تقسم أيضا وستصل القضية إلى دول شمال أفريقيا. ستكون هناك دول عرقية صغيرة. بتعبير آخر، ستكون إسرائيل أهم وأقوى دولة في منطقة قسمت إلى دول عرقية وطائفية ومتنفة مع بعضها البعض. هذا هو الشرق الأوسط الجديد".

في الواقع قاومت دائرة بوش طويلا الحديث عن تقسيم العراق ومواقفها العلنية توحى بأن البيت الأبيض يرى لبنان المستقبل موحدا ولكن مع حزب الله ضعيف ومنزوع السلاح ويلعب دورا سياسيا صغيرا. كما أنه ليس هناك من دليل يدعم اعتقاد نصر الله بأن الإسرائيليين يسعون لدفع الشيعة إلى جنوب العراق. وعلى أية حال فإن رؤية نصر الله لصراع طائفي أكبر تتورط فيه الولايات المتحدة توحى بنتيجة محتملة لاستراتيجية البيت الأبيض الجديدة.

في المقابلة أبدى نصر الله أشارات ووعود قد يستقبلها خصومه بالتشكيك. قال "إذا قالت الولايات المتحدة بأن المحادثات مع أمثالنا يمكن أن تكون مفيدة ومؤثرة في تقرير السياسة الأمريكية في المنطقة فليس لدينا اعتراض على الحوار واللقاءات".

"ولكن إذا كان هدفهم من خلال اللقاء فرض سياستهم علينا سيكون ذلك إضاعة للوقت: "قال إن ميليشيا حزب الله، مالم تُهاجم، ستعمل داخل الحدود اللبنانية وتعهد بنزع السلاح إذا استطاع الجيش اللبناني القيام بمهامه. وقال إنه ليس من مصلحته اشعال حرب أخرى مع إسرائيل. ولكن أضاف أنه على أية حال يتوقع ويستعد لهجوم إسرائيلي آخر في نهاية العام.

أصر نصر الله على أن تظاهرات الشوارع في بيروت سوف تستمر حتى تسقط حكومة السنيورة أو تمثل لمطالب تحالفه السياسية "ومن الناحية

العملية، هذه الحكومة غير قادرة على الحكم. تستطيع أن تصدر أوامر ولكن غالبية الشعب اللبناني لن تطيع ولن تعترف بشرعية هذه الحكومة. يبقى السنيورة في منصبه بسبب الدعم الدولي ولكن ليس معنى هذا أنه يستطيع أن يحكم لبنان".

يقول نصر الله أن تكرار ثناء الرئيس بوش على حكومة السنيورة أحسن خدمة يمكن أن يقدمها للمعارضة اللبنانية لأنها تضعف مركز الحكومة أمام الشعب اللبناني والشعوب العربية والإسلامية. أنهم يراهنون على أن نتعب. ولكن إذا لم نتعب خلال الحرب فكيف نتعب من مظاهرات؟

هناك انقسام حاد داخل وخارج إدارة بوش حول أفضل السبل للتعامل مع نصر الله، وما إذا كان يستطيع في الواقع أن يكون شريكا في التسوية السياسية. فمدير الاستخبارات القومية المغادر جون نيغروبونتي في جلسة الوداع أمام لجنة الاستخبارات بمجلس الشيوخ في يناير قال إن حزب الله "يقع في مركز الاستراتيجية الإرهابية الإيرانية.. قد يقرر شن هجمات ضد مصالح الولايات المتحدة في حالة شعر أن وجوده أو وجود إيران قد تعرض للتهديد. أن حزب الله اللبناني يرى في نفسه شريكا لطهران".

في عام ٢٠٠٢ وصف ريتشارد ارميتاج وكان نائب وزير الخارجية آنذاك، حزب الله بأنه إرهابي من "الدرجة الأولى"، ولكن في مقابلة حديثة أقر ارميتاج بأن القضية أصبحت أكثر تعقيدا. وقال لي أن نصر الله برز "قوة

سياسية على شيء من الأهمية وله دور سياسي يلعبه داخل لبنان إذا اختار أن يفعل ذلك"، وفيما يتعلق بالعلاقات العامة واللعبة السياسية يقول ارميتاج أن نصر الله "هو اذكى رجل في الشرق الأوسط"، ولكنه يضيف أن على نصر الله "أن يقول بشكل واضح أنه يريد أن يلعب دورا مناسباً كمعارضة نزيهة. بالنسبة لي مازال هناك دين دم يجب تسديده"، في إشارة إلى الكولونيل المقتول وتفجير الشكنة العسكرية.

من نقاد حزب الله المزمين روبرت باير أحد عناصر وكالة المخابرات المركزية في لبنان وقد حذر من علاقات حزب الله بالإرهاب الذي ترعاه إيران. ولكنه الآن يقول "لدينا عرب سنة يستعدون لصراع كبير وسوف نحتاج لمن يحمي المسيحيين في لبنان. كان الفرنسيون والأمريكيون يفعلون ذلك في السابق، ولكن سيقوم بالمهمة الآن نصر الله والشيعية".

ويضيف باير "أهم قصة في الشرق الأوسط نشوء نصر الله من رجل شارع إلى قائد، من إرهابي إلى رجل دولة. أن الكلب الذي لم ينبح هذا الصيف - خلال الحرب مع إسرائيل - هو الإرهاب الشيعي"، وكان باير يشير إلى المخاوف من أن نصر الله إضافة إلى إطلاقه الصواريخ على إسرائيل واختطاف جنودها كان يمكن أن يحرك هجمات إرهابية على أهداف إسرائيلية وأمريكية حول العالم. "كان يمكنه أن يضغط على الزناد ولكنه لم يفعل".

معظم أعضاء الدوائر الاستخباراتية والدبلوماسية يقرون بعلاقات حزب الله المستمرة بإيران، ولكن هناك اختلافا حول المدى الذي يمكن أن يصل إليه نصر الله في تفضيل مصالح إيران على مصالح حزبه. وقد وصف ضابط سابق في وكالة المخابرات المركزية بلبنان نصر الله بأنه "ظاهرة لبنانية. ولكنه مدعوم من إيران وسوريا. ولكن حزب الله ذهب أبعد من ذلك" وقال لبيانه كانت هناك فترة في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات حين كانت محطة المخابرات المركزية في بيروت قادرة على التنصت على محادثات نصر الله، وقد وصفه بأنه مثل "زعيم عصابة يستطيع أن يعقد صفقات مع عصابات اخرى. أن له علاقات مع الجميع".

إبلاغ الكونغرس

إن اعتماد إدارة بوش على العمليات السرية التي لم تصل إلى أسماع الكونغرس وصفقاتها مع وسطاء ذوي أجندة مثيرة للجدل، يستدعي إلى أذهان البعض في واشنطن، فصلا سابقا من التاريخ. قبل عشرين سنة، حاولت إدارة ريغان أن تمول ثوار الكونترا في نيكاراغوا بصورة غير شرعية، بواسطة بيع أسلحة إلى إيران سرا. وقد شاركت السعودية بأموالها فيما أصبح يعرف بفضيحة إيران كونترا، وبعض اللاعبين في حينها وأهمهم الأمير بندر واليوت ابرامز هم أنفسهم المتورطون في صفقات اليوم.

قبل سنتين جرت مناقشة غير رسمية حول "الدروس المستفادة" من إيران كونترا اشترك فيها ابطال الفضيحة. وقد بادر ابرامز بإدارة النقاش. وأحد الاستنتاجات كانت أنه حتى مع كشف البرنامج، كان من الممكن تنفيذه بدون إبلاغ الكونغرس. أما حول الدرس الذي تعلموه من التجربة فيما يتعلق بالعمليات السرية المستقبلية، وجد المشاركون "أولا أنك لا تستطيع الثقة بأصدقائك. ثانيا يجب أن تكون وكالة المخابرات المركزية خارج اللعبة تماما. ثالثا أنك لا تستطيع الثقة بأفراد الجيش. رابعا يجب أن تدار العمليات من مكتب نائب الرئيس" في إشارة إلى دور تشيني كما قال مسئول الاستخبارات السابق".

وقد أخبرت لاحقا من قبل مستشاري الحكومة ومسئول الاستخبارات السابق بأن أصدقاء إيران كونترا كانت عنصرا في قرار نيغروبونتي للاستقالة من منصبه كمدير للاستخبارات القومية وقبوله منصبا ثانويا في الوزارة كنائب لوزيرة الخارجية. "رفض نيغروبونتي أن يعلق".

كما أخبرني مسئول الاستخبارات الكبير السابق بان نيغروبونتي لم يرغب في إعادة تجربته مع إدارة ريغان حين خدم كسفير في الندوراس. قال نيغروبونتي "لا سبيل إلى ذلك. لن أمشي ذلك الطريق مرة أخرى ومجلس الأمن القومي يدير عمليات خارج السجلات بدون أن يعلم بها أحد" (في حالة العمليات السرية لوكالة المخابرات المركزية، يجب أن يصدر الرئيس

قرارا بابلاغ الكونغرس)، وبقي نيغروبونتي نائبا لوزيرة الخارجية، وأضاف لأنه "يعتقد أنه هكذا يستطيع أن يؤثر في الحكومة بطريقة إيجابية".

وقال مستشار الحكومة بان نيغروبونتي شارك في الأهداف السياسية للبيت الأبيض ولكنه يريد أن يفعل ذلك "حسب القوانين" وأخبرني مستشار البنتاغون أيضا بأن "هناك إحساس في مستوى الرتب العليا بأنه لم يكن مؤيدا تمامًا للمغامرات الأكثر سرية"، وقال إنه في الواقع أن نيغروبونتي "كانت لديه مشاكل مع بدع السياسة من طراز "روب غولدبرج" * لترتيب الشرق الأوسط".

أضاف مستشار البنتاغون بأن أحد هذه الصعوبات، كان المساءلة فيما يتعلق بالتمويل السري "هناك الكثير الكثير من جرار المال الأسود متناثرة في أماكن كثيرة حول العالم وفي مهام متنوعة". فوضى الميزانية في العراق حيث أختفت بلايين الدولارات كانت المنطلق لمثل هذه التعاملات، طبقا لمسئول الاستخبارات السابق والجنرال المتقاعد ذي الأربع نجوم.

قال لي مساعد مجلس الأمن القومي السابق "هذا يرجع إلى إيران كونترا وهم يبدلون الكثير من أجل أبعاد الوكالة عن هذه العمليات"، وقال إن الكونغرس لايجري تبليغه بالمدى الذي تصل إليه العمليات الأمريكية السعودية. وقال "وكالة المخابرات المركزية تتساءل: "ماذا يحدث؟" أنهم يشعرون بالقلق حيث يعتقدون أن مايجري هو عمل هواة؟

قضية الإشراف والمراقبة بدأت تنال اهتماماً من الكونغرس. في نوفمبر الماضي أصدرت إدارة خدمة الأبحاث في الكونغرس تقريراً للكونجرس حول ما تظنه تشويشاً من الإدارة على الخط الفاصل بين أنشطة وكالة المخابرات المركزية والعمليات العسكرية البحتة والتي لا تتطلب إبلاغ الكونغرس. وقد حددت لجنة الاستخبارات التابعة لمجلس الشيوخ برئاسة السناتور جي روكفلر يوم ٨ مارس لجلسة استماع حول أنشطة استخبارات وزارة الدفاع.

وقد أبلغني السناتور رون وايدن من ولاية أوريغون وهو ديمقراطي وعضو لجنة الاستخبارات: "لقد فشلت إدارة بوش مرارا في التقيد بالتزاماتها القانونية القاضية بإطلاع لجنة الاستخبارات اطلاقاً كاملاً ومستمرًا. وفي كل مرة يكون الجواب "ثقوا بنا" ويقول وايدن "من الصعب بالنسبة لي أن أثق بالإدارة".

- روب غولدرج - رسام كاريكاتير أمريكي (١٩٠٠ - ١٩٦٠) اشتهر برسومه التي يصور فيها مكانن سخيفة تثير الضحك كأن يرسم آلات تبدو معقدة من اجل تطير طائرة ورقية من شباك الغرفة بدلا من الخروج بها الى الهواء الطلق كما يفعل كل الاطفال .. وتسمى رسومه مشاريع او بدع غولدرج . وتشبيه شيء ببذع غولدرج يعني القيام بعملية معقدة او عملية التفاف من اجل تنفيذ مهمة بسيطة - المترجمة

-سيمور هيرش - صحفي تحقيقي أمريكي حائز على جائزة البولتزر وقد نال شهرة كبيرة في عام ١٩٦٩ حين فضح مذبحه ماي لاي في فيتنام ثم توالى تحقيقاته ومنها فضيحة التعذيب في سجن ابي غريب (العراق) على ايدي القوات الامريكية عام ٢٠٠٤ .

الحلم الأوروبي مقابل الحلم الأمريكي

توني جوت

تأمل مجًا (mug) مملوءًا بالقهوة أمريكية. أنها متوفرة في كل مكان. يمكن أن يصنعها أي كان. رخيصة وإعادة ملؤها بالمجان. ولأنها بدون نكهة مميزة تقريبا فيمكن تخفيفها حسب الذوق. فما تفتقده بالجاذبية تعوضه بالحجم. من بين كل الوسائل التي ابتكرت، هذه هي الأكثر ديمقراطية لضخ الكافيين في عروق البشر.

الآن خذ قدحا من الاسبريسو الإيطالية. تحتاج لصنعها إلى آلة غالية الثمن ولا مجال لتحديد السعر حسب الحجم فذلك يوحى باللامبالاة بالمستهلك وجهل بالسوق. أن الإحساس بالمتعة الجمالية للمشروب يتجاوز كثيرا تأثيرها الكيمياوي على الجسم. إنها ليست مشروبا بل تحفة فنية.

تنطبق هذه المقارنة على الاختلافات بين أمريكا وأوروبا: اختلافات تتأكد هذا اليوم بتكرار متصاعد وحاد على جانبي الأطلسي. فالانتقاد المتبادل شائع. فالمعلقون الأمريكيون يرون أوروبا متصلبة ويفتقر العمال وأصحاب العمل والقوانين فيها إلى المرونة والقدرة على التكيف الموجودة لدى نظرائهم في أمريكا.

إن تكاليف دفعات الضمان الإجتماعي الأوروبي والخدمات العامة لا يمكن احتمالها، وسكان أوروبا المتقدمون في السن مرفهين وغير منتجين. في دنيا العولمة يبدو (النموذج الاجتماعي الأوروبي) سرايا مقضيا عليه. وهذه نتيجة توصل إليها حتى المراقبين الأمريكيين (الليبراليين) الذين يختلفون عن النقاد المحافظين (والمحافظين الجدد) في أنهم لا يستمدون بهجة من الانتقاد .

وعلى أية حال وفي نظر أعداد متزايدة من الأوربيين، فإن أمريكا هي التي في خطر وكذلك (طريقة الحياة الأمريكية) التي لا يمكن تحمل أعباءها. أن السعي الأمريكي للثروة والحجم والوفرة - حيث تعوض المادة عن السعادة - غير ممتع جماليا وكارثي بيئيا. فالاقتصاد الأمريكي مبني على رمال (وبتعبير أدق: أموال الآخرين) وبالنسبة لكثير من الأمريكيين يتلاشى الأمل بالوعد بمستقبل أفضل.

وتتسم الثقافة الجماهيرية في الولايات المتحدة بالسوقية والبرقشة ولهذا لا عجب أن الكثير من الأمريكيين يتحولون الآن إلى الكنيسة للبحث عن السلوى.

تشكل هذه المفاهيم الفجوة الاطنطية الحقيقية وتوحي بأن شيئاً قد تغير. في العقود الأخيرة بدا من المفترض - سواء برضا أو ندم - أن أوروبا وأمريكا تتمحوران حول نموذج (غربي) منفرد ولدته الرأسمالية المتأخرة بقيادة الولايات المتحدة - كالعادة - وسوف يسحق منطق المعدلات والسوق والكفاءة والريح المتغيرات المحلية والتقاليد الثقافية المتوارثة. الأمريكية (أو العولمة وكل من التعبيرين مرادف للآخر)، شيء لا يمكن تفاديه والأمل الأفضل - وبالتأكيد الوحيد - للمنتجات والثقافات المحلية هو الانخراط في دوامة العولمة ثم يعاد تعليبها باعتبارها سلعا (عالمية) للاستهلاك العالمي. وهكذا فإن منتجا إيطاليا هو القهوة الاسبريسو - يمكن أن ترحل إلى الولايات المتحدة وسوف تتحول من سلعة خاصة بذوق الصنفوة إلى سلعة شعبية ثم يعاد تعليبها وبيعها إلى الأوروبيين بواسطة سلسلة متاجر أمريكية.

ولكن حدث خطأ ما في هذه القصة. فلم تصادف محلات ستاربكس مقاومة أجنبية غير متوقعة لصنف القهوة بدون كافيين بالقرفة وبالليب منزع الدسم (ماعدا في المملكة المتحدة) فقط، وإنما قاطع الأوروبيون المسيسون السلع الأمريكية.

لقد أصبح من الجلي أن أمريكا وأوروبا ليستا محطتين على خط الإنتاج التاريخي، مما يمكن للأوروبيين أن يتوقعوا وراثته أو محاكاة التجربة الأمريكية بعد فترة مناسبة من الزمن. أنهما كائنان مختلفان تمامًا وربما يتحركان في اتجاهين متضادين.

بلإن هناك بعض الكتّاب - بضمنهم مؤلّو كتابين تحت المراجعة- ممن يرون أن أوروبا ليست هي الواقعة في فخ الماضي وإنما الولايات المتحدة.

إن غرائب الثقافة الأمريكية (كما تراها أوروبا) معروفة: التدين الواضح، الولع الانتقائي^(١)، شغفها بالمسدسات والعنف والسجون (لدى الاتحاد الأوروبي ٨٧ سجين لكل ١٠٠ ألف شخص ولدى أمريكا ٦٨٥) وتأييدها لعقوبة الإعدام.

وكما عبر عنه ت.ر. رايد في كتابه (الولايات الأوروبية المتحدة): "نعم. الأمريكيون يضعون لافتات عملاقة تقول - أحب جارك - ولكنهم يقتلون ويغتصبون جيرانهم بمعدلات تصدم أي شعب أوروبي). ولكن غرائب الاقتصاد الأوروبي والنفقات الاجتماعية هي التي تجذب أنظارنا الآن.

يعمل الأمريكيون ساعات عمل أكثر بكثير من الأوروبيين: فطبقاً لمنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD) يعمل الموظف الأمريكي النمطي

١،٨٧٧ ساعة حسب إحصاء عام ٢٠٠٠ مقارنة بـ ١،٥٦٢ ساعة يعملها نظيره الفرنسي. ويعمل واحد من بين كل ثلاثة أمريكيين أكثر من ٥٠ ساعة أسبوعياً ويحصل الأمريكي على إجازات مدفوعة الأجر أقل من الأوروبي.. ففي حين أن السويديين يحصلون على أكثر من ٣٠ يوماً إجازة مدفوعة الأجر في السنة ويحصل البريطانيون على متوسط ٢٣ يوماً ولكن كل مايرجوه الأمريكي هو ما بين ٤-١٠ أيام اعتماداً على مواقع عملهم. والبطالة في الولايات المتحدة أقل من دول أوروبية كثيرة (ولكن طالما أن العاطل الأمريكي يفقد كل حقوقه في مزايا البطالة ويحذف من السجلات فإن مثل هذه الإحصائيات غير دقيقة تماماً). ويبدو أن أمريكا أفضل في خلق الوظائف وهكذا فإن عدد البالغين الأمريكيين الذين يعملون هم أكثر من الأوروبيين كما أنهم يعملون ساعات عمل أكثر ولكن ماذا يحصلون مقابل جهودهم؟

ليس الكثير إلا إذا كانوا أغنياء. أن الولايات المتحدة أفضل مكان للشراء. في عام ١٩٨٠ كان المدير التنفيذي الاعتيادي يحصل على ٤٠ ضعف ما يحصل عليه العامل في الإنتاج. الآن معدل الطبقة العليا من روءساء مجالس الإدارات هو ١/٤٧٥ ويمكن أن تكون هذه النسبة أكبر بكثير إذا أخذنا بعين الاعتبار رؤوس الأموال الثابتة وليس الدخل فقط. وللمقارنة: النسبة في بريطانيا هي ١/٢٤ وفرنسا ١/١٥ وفي السويد ١/١٣^(٢) وهذه الأقلية المتميزة تحصل على أفضل علاج طبي في العالم ولكن ٤٥ مليون

أمريكي لا يملكون أي نوع من التأمين الصحي على إطلاق (من بين دول العالم المتقدمة تنفرد الولايات المتحدة وجنوب أفريقيا بعدم وجود تغطية طبية عامة). وطبقا لمنظمة الصحة العالمية تتبوأ الولايات المتحدة المركز الأول في النفقات الصحية لكل فرد والمركز ٣٧ في نوعية الخدمات الصحية.

نتيجة لذلك يعيش الأمريكيون حياة أقصر من مواطني أوروبا الغربية وموت أطفالهم بعد الولادة أكثر احتمالا: ترتيب الولايات المتحدة السادس والعشرين بين الدول الصناعية في وفيات الأطفال بمعدل ضعف الوفيات في السويد وأعلى من سلوفينيا وأعلى قليلا من لتوانيا. هذا رغم أن الولايات المتحدة تصرف ١٥% من الناتج المحلي الأمريكي الكلي على (العناية الصحية) - يستنزف معظمه النفقات الإدارية للشبكات الخاصة التجارية). بالمقارنة بذلك فإن السويد تكرس ٨% من دخلها القومي للصحة.

وصورة التعليم لا تختلف. فالولايات المتحدة تصرف أكثر على التعليم من شعوب أوروبا الغربية ولديها حتى الآن أفضل جامعات البحوث في العالم ولكن الدراسات الأخيرة تبين أنه مقابل كل دولار تصرفه الولايات المتحدة على التعليم تحصل على أسوأ النتائج من أي دولة صناعية أخرى. والأطفال الأمريكيون أقل أداء من نظرائهم الأوروبيين سواء في التعلم والعدد^(٣).

حسن جدا. هذا مايمكن أن تستنتجه: الأوروبيون أفضل وأعدل في توزيع المنافع الاجتماعية وهذا ليس جديدا. ولكن لايمكن أن تكون هناك منافع أو خدمات بدون يروة وبالتأكيد فإن الشيء الوحيد الذي تحسنه الرأسمالية الأمريكية التي يحتاج الأوروبيون الميالون إلى الدعة أن يقتبسوه هو التوليد الديناميكي للثروة.. ويبدو هذا واضحا في يومنا هذا.

الأوروبيون يعملون أقل: ولكنهم يعملون بأقصى طاقتهم. في ١٩٧٠ كان الدخل القومي لكل ساعة في الاتحاد الأوروبي ٣٥% أقل من الولايات المتحدة. اليوم الفجوة أقل من ٧% وتتقارب بسرعة فالإنتاجية لكل ساعة عمل في إيطاليا والنمسا والدنمارك تماثل حاليا تلك التي في الولايات المتحدة، ولكن أيرلندا وبلجيكا ولوكسمبروغ وألمانيا وفرنسا يتفوقن على الولايات المتحدة في هذا القياس.

إن تفوق أمريكا في الأجور والإنتاجية - عطية الحجم والموقع والتاريخ -^(٤) تبدو في تراجع مما يؤثر على الهيمنة الأمريكية على المشهد التجاري الدولي. فالاقتصاد الأمريكي الحديث ليس فقط مرهونا للسيارفة الدوليين مع دين خارجي يصل إلى ٣،٣ ترليون (٢٨% الدخل القومي) بل إن الاقتصاد الأمريكي يصبح يوما بعد آخر ملكا للأجانب. في عام ٢٠٠٠ تجاوز الاستثمار الأوروبي المباشر في الولايات المتحدة، الاستثمار الأمريكي في أوروبا بما يقرب الخمسين. من بين عشرات الشركات

والمنتجات (الأمريكية) المملوكة لأوربيين: إخوان بروكس وDKNY ووراندوم هاوس وسجائر كنت وصابون دوف وكرايسلر وBirds Eye وبنزويل ولوس انجيليس دودجرز.

ويبدو أن الأوروبيين أفضل من الأمريكيين في توليد الأعمال الصغيرة ومتوسطة الحجم. هناك شركات صغيرة في الاتحاد الأوروبي أكثر من الولايات المتحدة وهذه الشركات توفر وظائف (٦٥% من الوظائف الأوروبية في ٢٠٠٢ كانت في الشركات الصغيرة والمتوسطة مقارنة بـ ٤٦% في الولايات المتحدة) وهم يراعون موظفيهم بشكل أفضل. أن ميثاق الاتحاد الأوروبي للحقوق الأساسية ينص على (حق إجازة الأمومة بعد الولادة أو التبنى) وكل دولة أوروبية غربية توفر دعماً مادياً خلال هذه الإجازة. في السويد تحصل النساء على ٦٤ أسبوع إجازة وثلثي الأجور، حتى البرتغال تضمن إجازة أمومة لثلاثة أشهر بكامل الأجر، أما في الولايات المتحدة فإن الحكومة الفدرالية لا تضمن شيئاً. وكما قال فالجارد هوجلاند وزير الترويج الديمقراطي المسيحي لشؤون الأطفال والعائلة: "يحب الأمريكيون الحديث عن القيم العائلية ولكننا قررنا أن نتجاوز الحديث إلى الفعل. إننا نستخدم عوائد ضرائبنا لدعم القيم العائلية".

ورغم التحسر على الإعاقة البيروقراطية والمالية للإنتاج، يبدو أن الأوروبيين يدبرون أمورهم جيدا^(٥). ومن الطبيعي أن دولة الرفاهية ليست مجرد قيمة بحد ذاتها. في تعبير أستاذ الاقتصاد في مدرسة لندن للاقتصاد نيكولاس بار: "إنها وسيلة جيدة ضد عجز السوق"^(٦)، وهي إعاقة حكيمة للمخاطر الاجتماعية والسياسية التي تسببها اللاعدالة المفرطة. كان ونستون تشرشل هو الذي أعلن في مارس ١٩٤٣: "ليس هناك استثمار أفضل لأي مجتمع من ضخ الحليب في أطفالنا".

وبالنسبة لأتباعه في أمريكا المعاصرة كان هذا قولاً يفوح بالرفاهية. في أمريكا اليوم تتركز ٣٨% من الثروة في أيدي أغنى ١% وهم يعيدون توزيعها طبقاً لأولويات مصالحهم. في حين أن أمريكا سا بالغا من كل خمسة يعيش في فقر مدقع - مقارنة بواحد من كل ١٥ في إيطاليا^(٧). ولم تعد المنافع تنهال مطلقاً. وبالنسبة لكثير من الأجانب لا تثير هذه الرؤية شهيتهم. أن (أسلوب الحياة الأمريكية) يفقد بريقه. كنموذج اقتصادي ليس من الممكن تكرار الولايات المتحدة.^(٨) وكنموذج اجتماعي لم تعد الولايات المتحدة تملك مؤهلات منقذة. وهذا يستدعي إلى الذهن انطباعات الشاعر أوليفر جولدزميث القاتمة حول عصر سابق من الجشع الخاص واللامبالاة العامة:

البلاد في تردّ والكارثة القادمة

فريسة..

حيث تتراكم الثروة ويتهالك الإنسان^(٩)

-٢-

هذه هي القضية التي بنى عليها جيرمي رفكن و ت. ر. رايد كتابيهما. رفكن كان الأكثر طموحا بين الاثنين. وفي الواقع كان طموحا أكثر من اللازم: يزخر كتابه (الحلم الأوروبي) بالجهد لتلخيص كل شيء من تاريخ النيسة إلى الفلسفة التنويرية إلى نهاية توضح أن أمريكا الانفرادية هي التي وقعت في مصيدة الزمن وأن أوروبا المتعاونة هي التي تمثل المستقبل.

وهو في الأساس على صواب ولكن ينتقص من الكتاب: الملخصات التي لاقيمة لها ل(خلق البرجوازية) أو (قيام دولة الأمة) والشرح الذي يقلل من المادية الأمريكية والإيحاءات المختلطة لنظرية الفوضى (السلسلة العظيمة للوجود) هوبز، ديكارت، هيجل.

إن كتاب (الحلم الأوروبي) ليس سيئا كما قال بعض النقاد وهو يحاول أن يقول شيئا مهما.

يكتب رفكن عن أمريكا المعاصرة:

"بحماستنا الدينية التي ليس لدينا مانتشبت به غيرها أصبحنا شعبا مختارا مما جعل أمريكا أرضا أكثر خطورة وقفارا".

ولكن كان يمكن للكتاب أن يكون أفضل بكثير لو أن رفكن تمسك بما يعرفه بدلا من أن يحاول جهده ليقول شيئا "مهما".

أما ت.ر. رايد فهو صحفي وكتابه عن التفوق الأوروبي يغطي نفس منطقة ومجال رفكن، ولكنه أكثر إيجازا وعمقا وإمتاعا وأقل خيلاء، وله أسلوب موجز ومكثف في الوصف: مثلا الأبرياء الأمريكيان: جاك وبليتش وجورج دبليو بوش (ومؤخرا بيل جيتس) واقعون بشرنقة عالم جديد شجاع من القوانين الأوروبية التي لا يستطيعون أن يفهموها أو يتجاهلوها. ورايد مثل رفكن يوضح بكفاءة السبب في ضرورة أن ينظر الأمريكان إلى الاتحاد الأوروبي بقواه المنظمة وثروته ونموذجه المؤسساتي بجدية شديدة في العقود القادمة.

ولكن رغم أن كتابي الرجلين يأتيان في الوقت المناسب فلا يقول أي منهما شيئا جديدا تماما. أن ما ذكره من خصائص الولايات المتحدة معروف للاوربيين. في عام ١٩٥٦ تفوه جيمي بورتر في مسرحية جون اوزبورن (انظر خلفك بغضب) بملاحظة سوداوية: "من الهول العيش في العصر الأمريكي)، وقد تردد صدى هذه الكلمات بشكل أو بآخر عبر العقود إلى يومنا الحاضر، ولكن ليس معنى أن هناك شيئا ناقصا في الولايات المتحدة اليوم وشيئا جذابا في العقد الاجتماعي الأوروبي، هو رخصة لنا لرواية قصص خيالية.

من يبحث في هذين الكتابين عن بحث في أصول الاتحاد الأوروبي سوف يتوه في دروبهما. فإن رايد ورفكن يتعثران بامتداح الآباء المؤسسين لأوروبا لبعدهم نظرهم وحكمتهم في توجيه أوروبا إلى البزوغ الحالي. طبقا لرايد في (السنوات التي تلت إعلان شومان اجتاحت الحركة الأوروبية القارة مثل عاصفة) كان مجتمع الفحم والفولاذ الأوروبي (نجاحا اقتصاديا هادرا) ويذهب رفكن أبعد من ذلك: يكتب (أوروبا مختبر تجريبي حر وعملاق لإعادة التكفير في الوضع البشري).(!)

إن هذه الآراء عجيبة^(١٠) فالالاتحاد الأوروبي هو ماهو عليه: كائن غير مقصود - بشكل كبير - لعقود من المفاوضات بين السياسيين الأوروبيين الغربيين الساعين لتطوير وتنمية مصالحهم القومية والخاصة.

هذا جزء من قضية الاتحاد الأوروبي: إنه توافق على مستوى القارة خطت له مئات اللجان وفي الواقع هذا يجعل الاتحاد الأوروبي أكثر أهمية وأشد تأثيرا مما لو كان مجرد تجسيد لنموذج اليوتوبيا.

وينفس المنوال يبدو من السخف أن يكتب المرء كما فعل رفكن حول انغماس أمريكا بالصناعات الهامشية مثل صناعة قطاعات الفطائر المنزلية، كمشال على تواضع الموهبة الأمريكية، دون الالتفات إلى القذى في العين الأوروبية.

هذا رجل لم ير وحشية ما بعد الحرب في مدينة سارسيليه شمال باريس، ولم يمت قليلا في ميلتون كينيس، رجل يتفادى الضواحي الخارجية في مدينة ميلانو المعاصرة.

كان رايد محقا في الإصرار على أن أوروبا لديها أفضل الطرق وأسرع القطارات وأرخص أسعار طيران. وأجل. بالتأكيد أن الاتحاد الأوروبي كما وصفه رفكن، أقرب إلى (نبض التغيير الذي يحول العالم إلى مجتمع عولمي) ولكنه ليس كاملا بأية حال من الأحوال.

بالتأكيد تواجه أوروبا مشاكل حقيقية ولكنها ليست تلك التي يرددها نقاد السوق الحرة الأمريكيين بشماتة قاتمة. ونعم تبدو المفوضية الأوروبية من نفسها مهرجا كبيرا بين حين وآخر بإصرارها على تنظيم حجم الوافي الذكري واستدارة الخيار.

لقد انهارت بشدة معاهدة الاستقرار للجسم المصاريف والدين القومي التي تعتبر مفخرة الاتحاد الأوروبي رغم أن انهيارها لم يضر باليورو الذي صممت المعاهدة لحياته ضرا بالغا.

ودعم المعاش والمنافع الاجتماعية الأخرى سوف لن يجد تمويلا كبيرا في العقود القادمة ما لم يلد الأوروبيون أولادا أكثر ويرحبون بمهاجرين أكثر ويعملون عدة سنوات أخرى دون تقاعد وبأخذون تعويضات بطالة أقل كرما.

ويسهلون لأصحاب العمل توظيف الشباب. ولكن هذه ليست عيوباً هيكلية عميقة في أسلوب الحياة الأوروبية. إنها اختيارات سياسية صعبة ذات نتائج سياسية ليس فيها ما يتضمن تفكيك دولة الرفاهية. (١١)

ولكن مشاكل أوروبا الحقيقية تكمن في جانب آخر.

في هولندا وفي باريس وAntwerp والمدن الأخرى ينمو العداء وعدم الفهم بين السكان المحليين الأصليين وأقلية من المسلمين (مليون في هولندا، أكثر من ٥ ملايين في فرنسا، ربما ١٣ مليوناً في الاتحاد الأوروبي حتى الآن)، وقد انتقل هذا العداء من مجرد الكتابة على الجدران إلى مناطق محظورة إلى أسلحة إلى اعتداءات واغتيالات.

لقد بدأ الأتراك والمغاربة والتونسيون والجزائريون في التوافد على أوروبا الغربية منذ ستينات القرن الماضي. إننا الآن نرى بروز جيل ثالث: جزء كبير منه عاطل عن العمل وغازب ويشعر بالغيرة وعرضة بازدياد لتوجهات الإسلام الأصولي. (١٢)

على مدى أربعة قعود تقريباً اغمض السياسيون في أوروبا الغربية عيونهم عن كل هذا: تأثير السكن المنعزل والمجتمعات المعزولة غير المندمجة وتصاعد تيار مرعب من الناخبين البيض الذين لديهم قناعة بأن المركب كامل العدد.

وقد تطلب الأمر جان ماري لوبان والسياسي الهولندي القتيل بيم فورتوين ورهط من الأحزاب الديماجوجية - المعادية للمهاجرين - من النرويج إليباطاليا من أجل إيقاف الأوروبيين إلى هذه الكارثة. ومما يندر بالشؤم أن رد فعل كل شخص من توني بليز إلى فاليري جيسكار ديستان هو الهتاف "كارثة" وطوى الجسر المتحرك.

المشكلة الأخرى التي تواجه أوروبا والاثنان بطبيعة الحال متصلان هو الضغط على حافاتها الخارجية. أن الاتحاد الأوروبي جذاب أكثر مما في مصلحته - بالمقارنة مع الولايات المتحدة المكروهة على نطاق واسع لما تفعله.

ويحاول اللاجئين والمهاجرون غير الشرعيين من نصف أفريقيا بين حين وآخر القيام بجهد يائس لعبور مضيق جبل طارق أو النزول على سواحل الجزر الإيطالية الجنوبية أو الهبوط بسلامة ليتم إعادتهم مرة أخرى. وقد حاولت تركيا منذ ٤٠ عاماً تقريبا الانضمام إلى النادي الأوروبي قبل أن يقبل طلبها (بتردد) الشهر الماضي. وتأمل أوكرانيا في مستقبل ديمقراطي مستقر داخل أوروبا أو علماً أقل هناك أمل في أن تكون هناك يوماً ما. وهذا سوف يدعم موقف يوشنكو ومؤيديه في أعقاب فوزهم الأخير.

ونفس الشيء ينطبق على بقية دول يوغسلافيا السابقة. ولكن في حين أن بوركسل على وعي تام بأن أخطار إهمال أفريقيا أو ترك أوكرانيا أو البوسنة

تتلوى على أبوابها - أقل كثيرا من رمي ٧٠ مليون مسلم تركي في احضان الإسلام الاصولي - فإن مايقلق قادة أوروبا بشدة هو افتراض (كلفة) توسيع الاتحاد الأوروبي إلى حدود آسيا.

هذه هي التحديات الحقيقية لأوروبا. قد يكون الاتحاد الأوروبي كما اوضح رايد ورفكن نموذجامشعا للتعاون الدولي والعدالة والانسجام^(١٣) ولكنه لن يكون سهلا للاتحاد الأوروبي أن يدمج اقلياته الاثنية والدينية وتنظيم الهجرة أو يقبل تركيا بشروط قابلة للتطبيق^(١٤)

ومع ذلك إذا اساء الاتحاد الأوروبي إدارة الكارثة الدائمة على حدوده الشرقيةوالجنوبية ستقع أوروبا بمشاكل كبيرة بالتأكيد.

أن هذا هو سبب غضب الكثير من الأوروبيين وقادتهم من الرئيس جورج بوش وليس السبب هو العداء التقليدي لأمريكا أو حسد التسليح.

بالنسبة لإدارة بوش: الإسلام فكرة تجريدية وهي الهدف الفاعل السياسي لما يسميه المسؤولون في واشنطن (الحرب الكونية على الإرهاب). بالنسبة للولايات المتحدة تعتبر الشرق الأوسط أرضا نائية. مكان مناسب لتصدير المشاكل الأمريكية لتفادي معالجتها على أرض الوطن. ولكن الشرق الأوسط النسبة لأوروبا هو (الخارج القريب) إضافة إلى أنه الشريك التجاري الرئيسي. من طنجة إلى تبريز أوروبا محاطة بالشرق الأوسط وعدد كبير

ويتزايد من الأوروبيين قادمون من هذا الشرق الأوسط. وعندما يتبدأ الاتحاد الأوروبي محادثات قبول تركيا سوف يتوقع إدخال الاتحاد الأوروبي في المقابل إلى داخل الشرق الأوسط.

إن استراتيجية أمريكا للمواجهة الكونية مع الإسلام ليست خيار أوروبا. أنها كارثة.

-٣-

لن يعارض تيموثي جارتون آس على أكثر احتمال جل التحليل أعلاه.

في كتابه الجديد الساحر يذهب أبعد من رفكن ورايد في بعض المجالات. بصفته مواطنا دوليا يقولان الولايات المتحدة مقصرة بشكل فادح غير مسؤول. لقد قدم الاتحاد الأوروبي ٣٦,٥ بليون دولار لمساعدات التنمية في عام ٢٠٠٣. وقد ساهمت الولايات المتحدة بما قيمته ثلث ذلك المبلغ فقط ومعظم تلك المساعدات الأجنبية ذهبت أما إلى إسرائيل أو عادت بحبال متصلة بها إلى أمريكا. ٨٠% تقريبا من كل (مساعدات التنمية الأمريكية) تجبر المتفاعلين على صرف الأموال على استيراد البضائع والخدمات الأمريكية. في العراق وحده صرفت الولايات المتحدة ثمانية أضعاف المبلغ الذي قدمته للآخرين. أن الولايات المتحدة هي أبخل كل الدول الغنية في oecd. في حين أن الأوروبيين هم الأكثر كرما.

هناك المزيد. تضم الولايات المتحدة ٥% من سكان العالم (ويتناقص ذلك باستمرار) ولكنها مسؤولة عن ٢٥% من إنتاج غاز ثاني أوكسيد الكربون في حديقة العالم كل سنة.

ففي كل عام يستوعب جو الكرة الأرضية ٢٠ طنا متريا من ثاني أوكسيد الكربون لكل رجل وامرأة وطفل أمريكي، ولكن ٩ أطنان فقط لكل أوروبي. وتزداد حصة أمريكا باستمرار مع عرقلة إدارة بوش لأي إجراء دولي لتقليل التلوث أو الإحماء الكوني.

إن أسلحة الدمار الشامل الحقيقية في نظر جارتون آش هي الفقر العالمية والكارثة البيئية. ويسخر بازدراء من المثقفين الأمريكيين المعاصرين الذين يسيطون الأمور بفضاعة الذين يثرثرون بفصاحة عن المريخ وفينوس أو صدام الحضارات.

ولكنه لا يتسامح مع اللامبالاة الراهنة للبيت الأبيض: "لقد قيل عن روما القديمة أن الإمبراطور نيرون كان يعزف والمدينة تحترق. في روما الجديدة الرئيس يعزف وكوكب الأرض يحترق".

ومع كل هذا لا يعتبر كتاب (عالم حر) إدانة لأمريكا. فثيموثي جارتون آش يعرف أوروبا أو بالأحرى (الأوربات) المتعددة.. الهندسة المتغيرة والمصالح والتحالفات التي تحد من قدرة الاتحاد الأوروبي على أن يجعل نفسه مؤثرا في السياسة العالمية.

إنه يشارك الظنون الإنجليزية الشائعة حول السيئات التي ترتكبها فرنسا ويوازن ملاحظاته حول الولايات المتحدة مع إطلاقات صائبة يستهدف بها الصندوق الزراعي المشترك ملاحظاً أنه بينما في عام ٢٠٠٠ تبرع الاتحاد الأوروبي بـ ٨ ملايين لكل رأس لأفريقيا الصحراوية، استطاع الاتحاد أن يحصل جانباً بشكل عوائد على ٩١٣ دولار لكل بقرة في أوروبا.

ولكل ذلك فإن جارتون آس متفائل تماماً في الواقع فيما يخص أوروبا والولايات المتحدة.

ومما يثير الدهشة أنه متفائل حتى، كما يبدو لي، بشيء من السخرية - حول مستقبل التحالف الأوروبي والدافع في جزء من هذا هو مايراه من ضرورة ملحة: يجب على الغرب أن يتوقف عن النزاع ويجد طريقة للعمل معا لخير الجميع لأنه لم يتبق له سوى حوالي عشرين سنة قبل أن تصبح الصين (ثم الهند) قوة كبرى وسوف تختفي الاختلافات الصغيرة النرجسية بين أوروبا وأمريكا: "في منظور تاريخي أطول قد تكون هذه فرصتنا الأخيرة لوضع أجندة للسياسة الدولية."

وتلك الأجندة في كتاب جارتون آس هو إزاحة الصراعات الراهنة جانباً و "إعادة خلق" غرب ما بعد الحرب الباردة كنموذج وداعية للحرية: الحرية من الفاقة ومن الخوف ومن القهر البشري والبيئي. (كان عنوان الفصل الخاص بالفقر العالمي والأخطار البيئية موحياً "الجيش الحمراء الجديدة").

إن الصدى الروزفلتي ليس مصادقة. كان في ذهن جارتون آش تحالف أطلنطي جديد وليس صدقة أن ونستون تشرشل يحتل مركزا بارزا في مناقشاته إذلأن هذا الكتاب بريطاني. والاختيار بين أوروبا وأمريكا مطروح من وجهة نظر أن البريطانيين يفهمون أكثر من أي شخص آخر (فقد عاشوا الأوضاع لمدة ٦٠ عاما) فالمصالحة الأطلنطية هي شيء لن يحققها سوى لندن القابعة بقلق على حافة أوروبا ونصف عينها على واشنطن.

ولكن هل بريطانيا هي حقا (آلة تسجيل زلازل) أو (ترمومتر) العلاقات الأوروبية الأمريكية؟ حقا إن المملكة المتحدة تتمكن اليوم من أن تكون جزءا من الاتحاد الأوروبي وفي نفس الوقت تقتبس تفاهة الثقافة التجارية الأمريكية ولكني أشك أن هذا ماكان في ذهن آش. بل أنه يبدو وكأنه يرى دور لندن في تلطيف الضرر الذي يسببه الانفراد الأمريكي من جهة والديغولية الأوروبية من جهة أخرى "نسخة شيراك للديغولية الأوروبية لا تقود إلى شيء". نموذج هو "أطلنطية أوروبية" دولية التوجه يجسدها توني بليير. "لقد فهم توني بليير واحتضن هذه المصلحة والدور والفرصة القومية البريطانية أفضل من أي من سابقه".

ومن الطبيعي أن جارتون آش لايملك أن ينكر أن بليير قد تملص حتى الآن من مواجهة تحدي إقناع الشعب البريطاني الشكاك بالدستور الأوروبي. ولا أعتقد أنه يتبنى أية أوهام حول (العلاقة الخاصة) ولكن مع ذلك يستمر

في الإصرار أن بريطانيا العظمى لها دور حيوي تلعبه في سد الفجوة الأطلنطية.

أرى أن هذا زعم غريب. قد يكون توني بليير مناور سياسي مع نشاطات جانبية مربحة مع ادعاء أخلاقيات مفصلة حسب المقاس^(١٥) ولكن مغامراته الدولية أبعدت بريطانيا عن كثير من أعضاء الاتحاد الأوروبي بدون أن يكون لها أي تأثير على واشنطن حيث تتحول زيارات رئيس الوزراء البريطاني إلى تمرين في الفشل والإذلال.

نعم. في بعض المجالات أصبحت المملكة المتحدة اليوم شبيهة بأمريكا: معدل الفقر في بريطانيا وفجوة الدخل بين الأغنياء والفقراء تزداد باضطراد منذ سبعينات القرن الماضي وأصبحت أقرب إلى المعدلات الأمريكية منها إلى أي دولة أوروبية غربية. كما أن الإنتاجية حسب الساعة في بريطانيا أقل من معظم المعدلات الأوروبية الغربية، ولكن على أية حال كان من المفترض أن يقوم حزب العمال الجديد بالجمع بين أفضل نموذج اجتماعي أوروبي ونموذج المقاولات الأمريكي: ويعترف جارتون آش نفسه أن حزب العمال الجديد لم يتمكن من أن يحقق ذلك.^(١٦)

كتاب (العالم الحر) يقلل من شأن التحدي الذي يواجه البريطانيون - أو الأوروبيين الآخرين - وهو السعي إلى جذب الولايات المتحدة إلى أي مشروع دولي مشترك يتجاوز (الحرب الكونية على الإرهاب). وتيموثي

جارتون آش على حق في إصراره أن أمريكا أكبر من المحافظين الجدد والجهلة الجمهوريين وأن هيمنتها الراهنة سوف تنتهي.

ولكن كتابه يدور حول (هنا) و (الآن) لذلك لانستطيع تجاهل حقيقة أن صانعي السياسة في واشنطن لايهمهم قراءة إعلان (الاستقلال الداخلي) الذي يعلنه جارتون آش، فأخر شيء يريدونه هو (مبادرة مشتركة) ما في الشرق الأوسط ولايهمهم أبدا (جيوشه الحمراء الجديدة). أجل، طبعا لمصالحها (لا بد أن ترغب أمريكا في أن تكون أوروبا عامل التوازن لقوتها المتفوقة المنفردة)، هذه نصيحة جيدة ولكن لا أحد في السلطة يستمع اليها. وتكتل دبابات الفكر المحافظة في واشنطن ضد أي وجود دولي أوروبي متحد، وبتعبير ديفد فروم عضو معه انتربرايز الأمريكي وكاتب سابق لخطب بوش: "إنها تثير أسئلة استراتيجية مهمة (أي أننا لانحبها)"^(١٧)

وقد نقل عن وزيرة الخارجية الأمريكية الجديدة قولها عام ٢٠٠٣: "أن الولايات المتحدة تنوي أن: تسامح روسيا وتجاهل ألمانيا وتعاقب فرنسا"

وطبقا لتقرير حديث لمجلس الأطنطي فإن إدارة بوش تعتبر أوروبا مدانا مطلق السراح (تحت المراقبة)، حيث يعتمد موقعها المستقبلي مع واشنطن على تحسين سلوكها.^(١٨) ولأول مرة منذ الحرب العالمية الثانية تظهر أصوات مؤثرة تقول أن أوروبا موحدة ستكون خطرا على المصالح الأمريكية وأن على الولايات المتحدة أن تعرقل ظهورها.

فوق كل ذلك، فإن القيم الأوروبية الأمريكية المشتركة التي يبني عليها تيموثي جارتون آش نقاشه قد لا تكون بهذا التقارب كما يوحي في كتابه.

إن الولايات المتحدة بتدينها الواسع ومكانة الله في الشؤون العامة وشكها بالمعارضة وخوفها من التأثير الأجنبي وجهلها بالبلاد البعيدة واعتمادها على القوة العسكرية عند التعامل مع تلك البلاد، قد تتماثل مع دول أخرى بهذه الصفات ولكن بالتأكيد ليس من بينها دول أوروبية.

عندما صدرت معاهدة حظر الألغام الأرضية في الأمم المتحدة عام ١٩٩٧ بتصويت ١٤٢/٠ امتنعت الولايات المتحدة مع روسيا وحفنة دول أخرى. والولايات المتحدة هي إحدى دولتين فقط (الأخرى الصومال) التي لم توقع على معاهدة حقوق الأطفال في ١٩٨٩. كما أن معارضتنا للمعاهدة الدولية لحظر الأسلحة البيولوجية تشاركنا فيه الصين وروسيا والهند وباكستان وكوبا وإيران.

إن إلغاء عقوبة الإعدام شرط لعضوية الاتحاد الأوروبي في حين أن الولايات المتحدة حاليا تعدم السجناء بمعدل لا يضاهاها فيه إلا الصين وإيران والسعودية والكونغو. كما أن معارضة أمريكا لإنشاء محكمة جرائم الحرب الدولية لقيت تأييدا داخل الأمم المتحدة وخارجها من قبل إيران والعراق وباكستان واندونيسيا وإسرائيل ومصر.

أما العقيدة الأمريكية بشأن (الحرب الوقائية) فإنها تجد صدى الآن في روسيا باسم (مكافحة الثورة الوقائية) (١٩).

أما بالنسبة للأمم المتحدة ذاتها، جوهره تاج المنظمات الدولية فقد انشئت بعد الحرب العالمية الثانية من قبل جيل أسبق من القادة الأمريكيين. وبينما اكتسب هذا تجري حملة محمومة من واشنطن للإطاحة بكوفي عنان السكرتير العام ومن أجل تكسيح المنظمة.

إذن، ماذا يمكن أن تفعل أوروبا؟ أولاً مقاومة إغراء اعتبار التوترات الحالية فضيلة. أن إنكار وجود توتر مسألة عديمة الجدوى. في العهد الماضي كان دور (الآخر) بالنسبة لأوروبا - وهو الجار القريب الذي به تقاس هويتهم المتفردة - كان دائما تحتله تركيا وروسيا. اليوم تحتله الولايات المتحدة ولكن مثل جارتون آس، أعتقد أنه من الخطأ اتباع نصيحة جركن هابرماس ومحاولة بناء اتحاد أوروبي قائم باختلافات قيمة عابرة للأطلنطي .

بالتأكيد يحتاج الأوروبيون إلى إيجاد قصد وتحديد دور مشترك ولكن هناك طرقاً أفضل لتحقيق ذلك. منها التصديق على دستورهم المقترح. أن هذه الوثيقة تثير عصاب وقلق واشنطن (ولندن) ولكنه في الواقع ممل ولا يعالج المشاكل. معظمه يتكون من وصفات عملية لإجراءات اتخاذ القرار في هيئة من أكثر من ٢٥ دولة مستقلة ذات سيادة. أن الدستور يدعم أيضاً دور المحاكم الأوروبية ويعزز مسألة اعتقال المجرمين عبر الحدود (وهو

هدف محمود لأي شخص جاد في مسألة مكافحة الإرهاب). فيما عدا ذلك لا يقدم الدستور سوى مادة وتطبيق لادعاء الاتحاد الأوروبي في (تنسيق سياسات العمالة والاقتصاد في الدول الأعضاء)، إنها ليست وثيقة ملهمة كثيرا، ورئيس كتابها فاليري جسكار ديستان ليس توماس جيفرسون ولكن الدستور مع ذلك سوف يكون من الناحية العملية نافعا إلى حد كبير.

فوق كل شيء، سوف يساعد الدستور أوروبا في استمرار دعم قوتها الدولية رغم العرقلة الأمريكية^(٢٠) ومحاولات إدارة بوش تقريب أو الضغط على بعض الدول الأعضاء بشكل انفرادي. فالاتحاد الأوروبي هذا اليوم ليس مجرد نموذج لقيادة دول متحدة فيما بينها بدون عوائق تجاوز السيادة. لكن أوروبا خبرت القرن العشرين - الغزو والاحتلال والحرب الأهلية والفوضى والمذابح والابادة والبربرية - إلى درجة لا تضاهي في أي مكان آخر لهذا فان المخاطر التي تأتي بها حرب اختيار (العراق) أو تجاهل المنظمات الدولية من أجل مبادرات فردية أو الاعتماد الزائد على القوة العسكرية، يفهمها الأوروبيون أكثر من غيرهم.: "يريد الأوروبيون أن يكونوا على يقين من أنه لن تكون هناك مغامرات في المستقبل. لقد شبعوا من ذلك."^(٢١)

على عكس من ذلك فإن الولايات المتحدة لم تكن لها تجربة مباشرة بأسوأ أحداث القرن العشرين - ولهذا فهي لا تملك - للأسف - حصانة من دروسها.

إن الوطنية القتالية على الطراز الأمريكي كما يلاحظ جارتون آش نادرة في أوروبا المعاصرة. أن هذه الكراهية للنزعة القتالية يتجاوز الميل التقليدي للسلام. لم يعد الأوروبيون يفكرون حتى مجرد تفكير بأسلوب عسكري فيما يخص علاقات الدول ببعضها. وهذا يجعلهم - خلاف ما يظنه النقاد الأمريكيون - أكثر تأثرا وليس أقل في معالجة الأزمات الدولية. مازالت الولايات المتحدة ماهرة في فن صناعة الحروب. ولكن صناعة الحرب هو الاستثناء في الشؤون الدولية المعاصرة. أن التحدي الحقيقي هو منع الحرب وصنع السلام والحفاظ عليه. وهذا فن تجيده أوروبا وسوف تطوره باستمرار.

تقدم دول الاتحاد الأوروبي أكبر حصة من جنود حفظ السلام والشرطة الدوليين. والأوروبيون لديهم قدرة عسكرية حقيقية رغم أنها محدودة ويحتاجون إلى توجيه المزيد من الأرصدة للقوة الأوروبية العسكرية المزمع انشاؤها من ٦٠ ألف جندي، حتى تكون فاعلة. أن أفضل القوات الأوروبية - مثلا - الجيش البريطاني كان قد تدرب لمدة عقود طويلة للعمل مع السكان المدنيين في المناطق المحتلة والمحاربة. وهي خبرة يفتقر إليها الجيش الأمريكي بشكل مفرغ. سيمر وقت طويل قبل أن يطور الاتحاد الأوروبي وينفذ سياسة خارجية مشتركة - رغم أن الدستور الجديد سوف يسهل ذلك على الأقل بتعيين وزير خارجية أوروبي مفوض بالحديث نيابة عن الاتحاد بشكل عام. ولكن حين يتمكن الاتحاد أخيرا من الحديث ككتلة واحدة سوف يشكل قوة كبيرة.

لن يكون السبب أن الاتحاد غني أو كبير - رغم أنه يملك كلا الصفتين. الولايات المتحدة غنية وكبيرة. ويوما ما قد تكون الصين أغنى وأكبر. ولكن أهمية أوروبا تكمن في مسألة اضمحلال الحدود بين الدول التي تتمحور حولها أوروبا المعاصرة. أن (العولمة) ليست في الأساس تخص التجارة والاتصالات والاحتكارات الاقتصادية أوحى تكوين إمبراطورية. لو كان الأمر كذلك فلن يكون هذا شيئاً جديداً. فقد تم (عولمة) مجالات الحياة هذه منذ مائة سنة. (٢٢)

إن العولمة هي اختفاء الحدود - الثقافية والاقتصادية والطبيعية واللغوية وتحدي تنظيم عالمنا في غياب هذه الحدود. وتعبير جان ماري جينو مدير الأمم المتحدة لعمليات حفظ السلام: "بعد فقدان الراحة التي توفرها الحدود الجغرافية يجب أن نعيد اكتشاف ما يوثق العروة بين البشر ويكوّن مجتمعاً". (٢٣)

وقد بدأ الأوروبيون يفعلون ذلك بكثير من الدهشة أنفسهم وبعض الرعب أحياناً: خلق عروة بين الكائنات البشرية تتجاوز الحدود القديمة ومن أجل خلق مجتمع من هذه الأشكال المؤسساتية الجديدة. وهم لا يحسنون فعل ذلك دائماً ومازال هناك بعض الحنين في بعض القطاعات لتلك الحدود القديمة. ولكن شيء أفضل من لاشيء. واللاشيء هو الذي سيبقى لنا إذا تركنا المعاهدات والاتفاقات والوكالات الدولية والقوانين والمؤسسات الهشة

والتي انشأناها منذ ١٩٤٥ تضم وتتعفن - أو أسوأ أن نتعمد نحن اضعافها وتعفنها. أن الذي يحدث الآن هو أن الأوروبيين يكسرون الحدود وقيمون المجتمع الواحد أفضل من غيرهم في حين أن الولايات المتحدة الواقعة مرة أخرى في كمين سماه توكفيل: "المديح الأبدي الذاتي" لا تبذل أي جهد حتى من أجل المحاول

الهوامش:

١- انتقدت بشدة شبكة التلفزيون الأمريكية مؤخرا لعرضها لمحة من جسد جانيت جاكسون مبررة ذلك ب(قلة الذوق والأدب) (كانت المغنية جاكسون قد أسقطت حمالة فستانها وأظهرت أحد ثدييها وهي على المسرح باعتباره سهوا غير مقصود - المترجمة): في حين أن الإعلانات التجارية عن البضائع التي تزيد فحولة الذكر تمر دون تعليق. يبدو أن ثدي الأنتى يمكن أن يخرب أخلاق الأمة في حين أن إظهار قضيب الرجل يخدم القيم العائلية.

٢- انظر روبن بلاكيرن (الصيرفة من الموت: أو الاستثمار في الحياة: تاريخ ومستقبل التقاعد) (فيرسو ٢٠٠٢) ص ٢٠١ جدول ٣-٢.

٣- برنامج تقييم الطالب الدولي لعام ٢٠٠٣ - التقرير إصداره OECD) في ١٢/٦/٢٠٠٤. انظر أيضا www.pisa.oecd.org.

٤- انظر اندرو شارب، جدول الملحق ٢ (الإنتاج لكل منزل في دول OECD مقارنة بالولايات المتحدة لعام ٢٠٠٣ مركز دراسة المعايير المعيشية (مراقبة الانتخابات الدولية رقم ٩ خريف ٢٠٠٤ في: www.csis.ca/ipm/9/sharpe-tables.pdf

٥- لاحظ أيضا أن الارتفاع المتزايد لتكاليف التأمين الطبي الصحي في الولايات المتحدة يضع عبئا على الشركات الأمريكية يشابه عبء الضرائب الاجتماعية على نظرائهم في الاتحاد الأوروبي - ولكن مع عدم توفير المنافع الاجتماعية.

٦- كاترين بيناهولد (حب الراحة وأسباب أوروبا) نيويورك تايمز ٢٩/٧/٢٠٠٤

٧- بعد تعريف ال **oecd** للدخل العائلة، أقل من ٥٠% من الدخل الشخصي للشعب.

٨- مثير للشهية أم لا، لا يمكن تكرار النموذج الاقتصادي الأمريكي في أي مكان آخر. أن الأمريكيان هم المستهلكون رقم واحد في العالم، ولكن العجز التجاري في الميزانية يصل إلى مستويات غير مسبوقة. أن ما يمنع الدولار من الانهيار بشكل تام هم الأجانب الراغبون في التمسك به: أن الأمريكيان يصرفون الآن نقود غيرهم على شراء بضائع غيرهم. لو كانت الولايات المتحدة أية دولة أخرى لكانت الآن بين أيدي صندوق النقد الدولي الذي لا يرحم.

٩- قصيدة (القرية المهجورة) ١٧٧٠

١٠- كما يصف رايد ديفد بيكهام باعتباره (مايكل جوردان أوربا) فإن بكهام هو لاعب كرة قدم بتسريحة درجة أولى وزوجة مشهورة. ولم يكن سوف ينزغ في أيام بيل وجوهان كرويف أو فيرينك بوشكاش. أن هيمنته على صفحات المجلات الرياضية الأوروبية توضح قوة التسويق العابرة للحدود، ولكن في هذا وفي غيره من المجالات يعتبر بيكهام نصيبا كئيبا لروح هذا العصر: أنه بتعبير كامو **"prophete vide pour temps mediocre"** والتشبيه هنا لا يقصد به مايكل جوردان وإنما دنيس رودمان.

١١- على أي حال أن عدم وجود دين لأمريكا حاليا هو مثل رهن للمستقبل مثل التزامات أوروبا لرفاهية المواطنين. والأمريكيون الذين يؤشرون بأصابعهم على فجوة التقاعد الأوروبية يجب أن يتذكروا أنه لو تركت يوناتيد إيرلاينز أو جنرال موتور او اي شركة على وشك الانحلال التزاماتها التقاعدية التي لايمكنها تمويلها فإن دافع الضرائب الأمريكي هو الذي سيتحمل العبء أخيرا.

١٢- لقراءة تقرير أكثر عمقا وتفاؤلا بخصوص فرنسا اقرأ كتاب هيرمان ليبوفيكس (إعادة الإمبراطورية إلى الوطن: فرنسا في عصر العولمة) نشر جامعة ديوك ٢٠٠٤.

١٣- ربما ليس بالانسجام المطلوب، فقد بدأ بعض قادة أوروبا الغربية يتساءلون لماذا يجب عليهم القيام بنقل ميزانية كريمة إلى الأعضاء الجدد مثل سلوفاكيا التي تستخدم تلك الاموال لتخفيض ضرائبها الداخلية وهكذا تسرق الصناعات والعمل من زملائهم في أوروبا الغربية الذين يقدمون بضائع أغلى.

١٤- معضلة تركيا معقدة والليبراليون الأوروبيون حسنو النية قد يجدون أنفسهم على جانبي المناقشة. لقراءة موجز معقول وحساس لمسألة وضع تركيا على بعد معين انظر مقابلة روبرت بادنتر وهو وزير عدل فرنسي سابق في لو فيجارو ١٣/١٢/٢٠٠٤.

١٥- في مؤتمر حزب العمال الجديد الأخير بدلا من محاولة الدفاع عن أسباب الذهاب إلى حرب العراق ابلغ بليز الحاضرين بأنه "يؤمن بأنهم يجب أن يشاركوه إيمانه وفي أي الأحوال أنه (مثل مارتن لوثر" "أقف هنا ولا أستطيع أي شيء آخر".

١٦- إنه يشير إلى نكتة معروفة: "كانت بريطانيا قد وُعدت أن الطريق الثالث لبليز سوف يأتي لها بالجامعات الأمريكية والسجون الألمانية - ولكن ماتحصل عليه بريطانيا الآن هو السجون الأمريكية والجامعات الألمانية.

- ١٧- مقالة فريدريك ستودمان (المحافظون الأمريكيون يلقون نظرة قلقة على معاهدة الاتحاد الأوروبي) التي نشرت في فاينانشال تايمز ٥/١١/٢٠٠٤. ويمكن العثور على نبذة القلق الجديدة في الكثير من وسائل الإعلام الأمريكية. انظر مثلا مقالة جيفري سيمبالو (إنقاذ الناتو من أوروبا) في فورين افيرز عدد نوفمبر/ديسمبر ٢٠٠٤.
- ١٨- انظر بومان كتر راشيش وباولا ستيرن (واشنطن تريد إصلاحا اقتصاديا في أوروبا) الفاينانشال تايمز ٢٢/١١/٢٠٠٤
- ١٩- المصطلح استخدمه مستشار الكرملين غليب بافلوفسكي لوصف استراتيجية بوتين لمعالجة تحديات (الاحتواء) على الحدود الروسية. أشكر ايفان كراستيف من جامعة أوروبا الوسطى في بودابست لهذا الإشارة في مقالته غير المنشورة (جاذبية أوروبا الفتاكة).
- ٢٠- تستمر الولايات المتحدة في عرقلة جهود أوروبا للوصول إلى تسوية نووية مع إيران. حتى في مثل هذا الملف الحيوي كانت واشنطن تهتم بمخاطر نجاح المبادرة الأوروبية أكثر من منافع تسوية إقليمية.
- ٢١- الفونس فيربليتس (محافظ البنك الوطني في بلجيكا).
- ٢٢- في هذا انظر الفقرات الافتتاحية في مقالة جون مينارد كينيس (النتائج الاقتصادية للسلام) بنجوين ١٩٩٥.
- ٢٣- جان ماري جينو (نهاية الدولة الأمة) ترجمة فكتوريا اليوت (جامعة منيسوتا ١٩٩٥) صفحة ١٣٩ .

- نشرت في "وجهات نظر" المصرية الصادرة عن دار الشروق. في مارس ٢٠٠٥.

- تونيجوت، مؤرخ وكاتب و أستاذ جامعة بريطاني شغل منصب أستاذ التاريخ الأوروبي بجامعة نيويورك مدير مركز اريكماريا ريمارك بنفس الجامعة. فيعام ١٩٩٦ تمانخ اهبميلا للأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم.

بغداد: اليوم التالي

نعومي كلاين

تناقش نعومي كلاين خطة محو العراق دولة ومجتمعاً وفكراً وتراثاً ثم إعادة خلقه من جديد. إعادة تشكيل كتلة الطين الطرية التي كان اسمها العراق إلى مسخ اسمه "حلم الرأسماليين". مقالة لا بد أن نقرأها ونتدبر مضامينها... -
المتجمة.

لم أجد ما أبحث عنه إلا بعد شهر من وصولي إلى بغداد. سافرت إلى العراق بعد سنة من بدء الحرب في ذروة ما كان يمكن أن يكون انطلاقة البناء، ولكن بعد أسابيع من البحث المضني لم أر خلالها قطعة واحدة من الآلات الضخمة سوى الدبابات ومركبات الهمفي. ثم إذا بي أراها:

رافعة بناء. كانت كبيرة ذات لون أصفر ورائعة. وعندما لمحتها من زاوية الشارع في حي أسواق مزدحم تبادر إلى ذهني أنني أشهد أخيراً بعض عمليات البناء التي سمعت عنها كثيراً. ولكن حين اقتربت تبين لي أن الرافعة

في الواقع لم تكن جزءا من عملية بناء - إحدى المباني الحكومية المقصوفة والتي يتكوم ركامها في انحاء المدينة أو أحد خطوط الكهرباء التي تلتوي محترقة في أكوام رغم حرارة الصيف اللاهبة.

كلا.. كانت الرافعة تساعد في رفع لافتة عملاقة على مبنى من ثلاثة طوابق. اللافتة تقول: السنبلة: عسل طبيعي ١٠٠%، صنع في السعودية.

عند مشاهدتي للافتة لم استطع أن أمنع نفسي من التفكير في شيء قاله السناتور جون ماكين في شهر تشرين الأول الماضي. قال إن العراق عبارة عن (وعاء عسل ضخمة يجتذب الكثير من الذباب) والذباب الذي قصده ماكين هو شركنا هالبيرتون وبكتل إلى جانب الرأسماليين المغامرين الذين تدفقوا على العراق عبر الطريق الذي مهدته مركبات برادلي المقاتلة والقنابل الموجهة بالليزر. العسل الذي اجتذبهم لم يكن العقود التي منحت بدون مناقصات وشهرة الثروة النفطية العراقية فقط، وإنما فرص الاستثمار الهائلة التي يقدمها بلد كسرت أبوابه بعد سنين من الانغلاق أولا بسبب السياسات الاقتصادية الوطنية التي اتبعها صدام حسين وثانيا بسبب عقوبات الأمم المتحدة الخانقة.

كما ذكرتني اللافتة أيضا بالتفسير الشائع لتردي الأحوال في العراق في شكوى عامة يرددها الجميع من جون كيري إلى بات بوكانان: أن العراق

غارق بالدم والحرمان لأن جورج بوش لم يضع (خطة لما بعد الحرب). أن العيب الوحيد في هذه النظرية هو أنها غير صحيحة. لقد كان لإدارة بوش خطة لما سوف تفعله بعد الحرب، ويمكن التعبير عنها بكلمات بسيطة: فرش العسل بأكبر كمية ممكنة ثم الجلوس وانتظار الذباب.

وترجع نظرية العسل لبناء العراق من الاعتقاد العميق لدى المهندسين الأيديولوجيين للحرب: أن الطمع مفيد. ليس مفيدا لهم ولأصدقائهم فقط ولكنه مفيد للبشرية وبالتأكيد مفيد للعراقيين. الطمع يأتي بالمكاسب التي تأتي بالنمو الذي يأتي بالوظائف والمنتجات والخدمات وكل شيء آخر قد يحتاجه أو يريده أي إنسان. ودور أي حكومة جيدة إذن هو خلق الظروف المشجعة للشركات الكبرى للسعي وراء جشعها اللامتناهي، وبالتالي سوف تعمل هذه الشركات على تلبية مطالب المجتمع. المشكلة هي أن الحكومات، حتى الحكومات المحافظة الجديدة نادرا ما تكون لديها الفرصة لاثبات نظريتها المقدسة بشكل صحيح: فمعظم مبادرات جمهوري جورج بوش الأيديولوجية الهائلة يتم تخريبها من قبل الديمقراطيين الطفيليين والاتحادات وأنصار البيئة.

ولكن العراق كان سيغير هذا الوضع تماما. ففي مكان واحد على الأرض سوف تطبق النظرية اخيرا بشكل كامل وبدون تهاون. أن بلدا يسكنه

٢٥ مليون من البشر لا يمكن إعادة بنائه كما كان قبل الحرب، بل سوف يمحي ويختفي. وفي مكانه سوف تنهض صالة عرض براقية للاقتصاد الحر، يوتوبيا لم يرها العالم من قبل. سوف يتم وضع كل السياسات التي تحرر الشركات متعددة الجنسية من كل العوائق لمتابعة سعيها للمكاسب متمثلاً ذلك في: دولة متقلصة، عمالة مرنة، حدود مفتوحة، أدنى قدر من الضرائب، لا تعريفية، لا حدود للتملك. وعلى شعب العراق بالطبع أن يتحمل بعض المعاناة قصيرة المدى: التخلي عن ممتلكات الدولة من أجل خلق فرص جديدة للنمو والاستثمار. أن يبقى عاطلاً بلا عمل، وأن يرضى بانعدام فرصة المنافسة بين المنتجات المحلية التي يملكها القطاع الخاص العراقي وبين المنتجات الأجنبية (الأفضل والأرخص) التي سوف تغرق الأسواق عبر حدود مفتوحة. ولكن بالنسبة لمؤلفي هذه النظرية فكل ذلك هو ثمن صغير يدفعه العراقيون من أجل الازدهار الاقتصادي الذي سوف ينفجر بالتأكيد حالما تخلق الظروف المناسبة، وهو ازدهار من القوة بحيث أن العراق سوف يبنى نفسه بنفسه من الناحية العملية.

أما حقيقة أن الازدهار لم يتحقق وأن العراق مازال يرتجف تحت اهتزاز متفجرات من نوع مختلف تماماً فذلك ما لا يمكن إرجاعه إلى غياب الخطة. بالعكس فإن السبب هو الخطة ذاتها والأيدولوجية العنيفة جدا التي استندت إليها.

إن محترفي التعذيب يعتقدون أن الصدمات الكهربائية حين توجه إلى أجزاء مختلفة من الجسم في وقت واحد تحدث تشوشا لدى الأشخاص الخاضعين للتعذيب فلا يعرفون من أين يأتي الألم فتضعف قدرتهم على المقاومة. يصف دليل خاص باستجواب التجسس المضاد لووكالة المخابرات المركزية يعود تاريخه إلى ١٩٦٣ وقد أفرج عنه أخيرا (بموجب قانون كشف الوثائق السرية بعد مضي فترة زمنية معينة عليها)، كيف أن الألم الذي يصاب به الخاضعون للتعذيب يتسبب في "فترة - قد تكون قصيرة جدا - من توقف الحركة، نوع من الصدمة أو الشلل النفساني.. في تلك اللحظة يكون المصدر متقبلا لأي اقتراح أو إملاء وأكثر استجابة للانصياع" نفس النظرية تطبق على علاج الاقتصاد بالصدمات أو "علاج الصدمات" وقد استخدم هذا المصطلح القبيح لوصف التنفيذ السريع لإصلاحات السوق الحرة التي فرضت على شيلي في أعقاب انقلاب الجنرال اوغستو بينوشيه. فكرة النظرية هي أنه إذا فرضت (التعديلات) بسرعة في أعقاب فوضى اجتماعي مثل حرب أو انقلاب أو انهيار حكومة، سيكون السكان مصدومين ومهمومين بضغوط الحياة اليومية وإنقاذ حياتهم فيمرّون في حالة شلل مؤقت يمنعهم من المقاومة. كما قال وزير مالية بينوشيه الأدميرال لورينزو غوتوزو: "يجب بتر ذيل الكلب في ضربة واحدة".

هذا كان جوهر مسألة العراق، والتزاما بالاعتقاد أن الشركات الخاصة أكثر فاعلية من الحكومات في كل مهمة، قرر البيت الأبيض خصخصة مهمة

خصخصة اقتصاد العراق الذي تهيمن عليه الدولة. فقبل أن تبدأ الحرب بشهرين، شرعت USAID بكتابة مسودة تكليف عمل لمنحه لشركة خاصة من أجل الاشراف على (انتقال العراق إلى نظام اقتصاد السوق). وتقول الوثيقة أن الشركة الراحلة) التي اتضح أنها شركة (KPMG سوف تستفيد من (المزية المناسبة للفرصة الفريدة للنمو السريع في هذه المنطقة التي تتيحها عملية تغيير الظروف السياسية الجارية حالياً) وهو بالضبط ما حدث. فإن بول بريمر الذي أدار الاحتلال الأمريكي للعراق من ٢ آيار ٢٠٠٣ إلى اليوم الذي التحق بأول طائرة للخروج من العراق في ٢٨/٦/٢٠٠٤ يعترف بأنه حين وصل بغداد "كانت المدينة تحترق حرفياً، في الوقت الذي كانت السيارة تقلني من المطار"، ولكن قبل أن تطفأ نيران حملة "الصدمة والترويع" أطلق بريمر علاجه الصادم، الذي فرض في صيف واحد تغييرات هائلة أكثر مما استطاعه صندوق النقد الدولي في أمريكا اللاتينية خلال ٣٠ سنة. ويصف جوزيف ستجلتز الحائز على جائزة نوبل والاقتصادي البارز السابق في البنك الدولي، إصلاحات بريمر بأنها "شكل أكثر راديكالية في صدمته من علاج الصدمة الذي تبنته جمهوريات ما بعد الاتحاد السوفيتي".

كان أول قرار اتخذه بريمر بعد توليه مهام منصبه: طرد ٥٠٠٠٠٠ من موظفي الدولة ومعظمهم عسكريون ولكن كان هناك أيضاً أطباء وممرضين ومعلمون وناشرون. ثم فتح حدود البلاد على مصراعيها أما الصادرات غير

المحدودة: لا تعريف، لا رسوم، لا تفتيش، لا ضرائب. وقد أعلن بريمر بعد وصوله إلى العراق أن البلاد أصبحت "مفتوحة للبنس".

بعد شهر، كشف بريمر الهدف الرئيسي لإصلاحاته. قبل الغزو كان الاقتصاد العراقي الذي لا يرتبط بالنفط تديره ٢٠٠ شركة تابعة للدولة كانت تنتج كل شيء من الأسمت إلى الورق إلى الغسالات. في حزيران طار بريمر إلى قمة اقتصادية في الأردن وأعلن أن هذه الشركات سوف تتم خصخصتها فوراً. "إن تسليم المشاريع الحكومية غير الكفأة إلى أيدي القطاع الخاص ضروري لإنعاش الاقتصاد العراقي". كان ذلك أكبر تصفية للقطاع العام منذ انهيار الاتحاد السوفيتي.

ولكن ذلك كان البداية فقط في إصلاحات بريمر. في أيلول ومن أجل تشجيع المستثمرون الأجانب على الاستثمار في العراق، أصدر عدة قرارات جذرية غير مسبوقة في كرمها الزائد للشركات متعددة الجنسية. هذه القرارات كانت القرار ٣٧ الذي خفض نسبة الضرائب من ٤٠ بالمائة إلى ١٥ بالمائة. والقرار ٣٩ الذي سمح للشركات الأجنبية بتملك ١٠٠٪ من الأصول العراقية ماعدا قطاع الموارد الطبيعية. وأفضل من ذلك يمكن للمستثمرين أن يأخذوا كامل الأرباح إلى خارج العراق: لن يكون عليهم أن يعيدوا استثمار أرباحهم ولن تفرض ضرائب على أرباحهم. وبموجب القانون ٣٩ يمكن أن يوقعوا تراخيص وعقود يمكن أن تستمر لأربعين سنة. أما

القرار ٤٠ فقد رحب بالبنوك الأجنبية إلى العراق تحت نفس الشروط الكريمة. وكل ما بقي من سياسات صدام حسين الاقتصادية هو قانون يحد من تحرك الاتحادات العمالية.

إذا كانت هذه السياسات تبدو لكم مألوفة فلأنها نفس التي تتكتل الشركات متعددة الجنسية حول العالم للمطالبة بها من الحكومات الوطنية وفي اتفاقيات التجارة الدولية، ولكن بينما تطبق مثل هذه الإصلاحات تدريجياً أو جزئياً في بقية أنحاء العالم سعى بريمر لفرضها مرة واحدة وبجرعة واحدة. وما بين ليلة وضحاها تحول العراق من أشد الدول انعزالا في العالم إلى أشد الأسواق انفتاحا (على الورق).

في بداية الأمر، بدت نظرية العلاج بالصدمة وكأنها قد أتت أكلها: كان العراقيون الذين يعانون من العنف العسكري والاقتصادي منهمكين في الحفاظ على حياتهم وتدبير معيشتهم بدلا من تصعيد ردود أفعال سياسية على حملة بريمر. كان القلق حول خصخصة نظام الصرف الصحي آخر ما يفكر به نصف السكان الذين لا يجدون الماء الصالح للشرب. وكان النقاش حول ضريبة التجارة مؤجلا حتى تعود القوة الكهربائية. وحتى في الصحافة الدولية سرعان ما غطت على أخبار قوانين بريمر الراديكالية أخبارا أكثر إثارة عن الفوضى السياسية والجريمة المتصاعدة.

ومع ذلك كان هناك بعض الناس الذين اهتموا بما حدث. كان ذلك الخريف ذروة المعارض التجارية حول (إعادة بناء العراق) في واشنطن ولندن ومدريد وعمان. وقد وصفت الأيكونومست العراق تحت حكم بريمر بأنه (حلم الرأسمالي) وقد أنشئت العديد من الشركات الاستشارية الواعدة بتقديم العون للشركات للوصول إلى السوق العراقية، يديرها مديرون ذوو صلات جيدة بالجمهوريين. كانت ابرز تلك الشركات: نيو بردج ستراتييجيز التي أنشأها جو البو وهو مدير حملة بوش - تشيني الانتخابية السابق، وقد قال أحد شركاء الشركة متحمسا "أن الحصول على حقوق توزيع منتجات بروكتور وجامبل يمكن أن يكون بمثابة منجم ذهب. مخزن كبير ذو أقسام مليئة بالبضاعة يمكن أن يقضي على ثلاثين مخزن عراقي. يمكن لمخازن (ولمارت) أن تكتسح البلاد.

وسرعان ما انتشرت شائعة أن ماكدونالد سيفتح فرعاً في وسط بغداد كما أن التمويل قد دبر لإنشاء فندق راق من سلسلة فنادق ستاروود أما جنرال موتورز فقد كانت تخطط لبناء مصنع سيارات. ومن الناحية المالية، كان بنك HSBC يخطط لنشر فروعته في كل أنحاء العراق، كما كانت (سي تي جروب) تستعد لتقديم قروض بضمان مبيعات النفط العراقي مستقبلاً، وكان الناقوس على وشك أن يقرع لبورصة عراقية على غرار بورصة نيويورك.

في أشهر قليلة جدا، تحققت خطة مابعد الحرب لتحويل العراق إلى مختبر تجارب المحافظين الجدد. قد يكون ليو شتراوس هو الذي وضع الإطار الفكري لغزو العراق استباقيا ولكن من قدم دليل خطة العمل بعد أن تقع البلاد في أيدي الأمريكيان هو أستاذ جامعة شيكاغو ملتون فريدمان مؤلف البيان المناهض للحكومات بعنوان (الرأسمالية والحرية). وكان هذا بمثابة نصر هائل لأشد الأجنحة أيديولوجية في إدارة بوش. ولكن الأمر كان أكثر من ذلك أيضا: ذروة صراعات قوتين متداخلتين، إحداها بين عراقيي المنفى الذين قدموا النصيحة للبيت الأبيض حول استراتيجية مابعد الحرب والأخرى كانت داخل البيت الأبيض نفسه.

كما بين المؤرخ البريطاني دليب هيررو في كتابه (أسرار وأكاذيب: عملية "حرية العراق" ومابعدها" أن عراقيي المنفى الذين كانوا يضغطون باتجاه الغزو كانوا منقسمين بشكل عام إلى معسكرين: من جانب هناك "البراجماتيون" الذي كانوا يفضلون التخلص من صدام وأعوانه المقربين ثم تأمين الوصول إلى النفط وإدخال إصلاحات السوق الحرة تدريجيا. والكثير من هؤلاء كانوا جزءا من مشروع مستقبل العراق التابع لوزارة الخارجية الأمريكية الذي تمخض عن تقرير بثلاثة عشر مجلدا حول كيف يمكن استعادة الخدمات الأساسية والانتقال إلى الديمقراطية بعد الحرب. من الناحية الأخرى، كان معسكر (السنة صفر) الذين يعتقدون بأن العراق ملوث بشكل يستدعي أن يمحي من الجذور ويعاد خلقه .

كان من أشد دعاة البراجماتية إياد علاوي وهو بعثي سابق انشق عن النظام العراقي وبدأ يعمل مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية.

وأبرز دعاة أسلوب (السنة صفر) كان أحمد الجلبي الذي كان حقه على الدولة العراقية لمصادرة أملاك عائلته خلال ثورة ١٩٥٨ من العمق بحيث كان يتمنى أن يرى البلاد بأكملها محروقة حتى جذورها - كل شيء ماعدا وزارة النفط التي ستكون نواة العراق الجديد التي ستنمو منها الأمة العراقية وكان يسمى هذا الإجراء (اجتثاث البعث).

وفي الجانب الآخر في الإدارة الأمريكية كان هناك صراع بين البراجماتيين والمتطرفين. البراجماتيون كانوا أشخاصا مثل وزير الخارجية كولن باول والجنرال جاي جارنر أول حاكم أمريكي في عراق ما بعد الحرب. كانت خطة جارنر واضحة ومستقيمة: تصليح البنى التحتية وإجراء انتخابات سريعة ومزيفة مع ترك العلاج بالصدمة الاقتصادية إلى صندوق النقد الدولي، بينما يتم التركيز على تأمين القواعد العسكرية الأمريكية على طراز تلك التي في اليابان. وفي مقابلة مع بي بي سي قال جارنر: "أعتقد أننا يجب أن ننظر إلى العراق باعتباره محطة وقود لنا في الشرق الأوسط" كما اقتبس من لورنس العرب قوله: "من الأفضل لهم أن يفعلونها ناقصة من أن نفعلها كاملة".

من ناحية أخرى كانت هناك المجموعة المعتادة من المحافظين الجدد: نائب الرئيس ديك تشيني ووزير الدفاع دونالد رامسفيلد (الذي امتدح إصلاحات بريمر الكاسحة باعتبارها "من أفضل قوانين الضرائب والاستثمار المستتيرة والمشجعة في العالم الحر"، ونائب وزير الدفاع بول ولفوفتز وربما في مركز الثقل كان مساعد وزير الدفاع دوجلاس فيث. وبينما كان لمشروع مستقبل العراق التابع لوزارة الخارجية تقريره، كان للمحافظين الجدد العقد الذي وقعته USAID مع بيرنج بوينت لإعادة خلق الاقتصاد العراقي: في ١٠٨ صفحة ذكرت كلمة "خصخصة" ٥١ مرة. بالنسبة للمتطرفين في البيت الأبيض كانت خطط الجنرال جارنر لما بعد الحرب خالية من الطموح. لماذا نرضى بأن نكون محطة تموين في حين نستطيع أن نخلق نموذجاً للسوق الحرة؟ لماذا نرضى بالفلبين في حين يمكن أن يكون لدينا فنانة للعالم؟

وكان العراقيون الذين يؤمنون بالسنة صفر حلفاء طبيعيين للمحافظين الجدد في البيت الأبيض: كم كان الجلبلي المفعم بالحقد على دولة البعث مناسبة لكراهية المحافظين الجدد لمعنى الدولة بشكل عام، ولهذا سرعان ما اندمجت أهدافهما. كان الفريقان ينظران معا إلى غزو العراق باعتباره نوعاً من الانفجار: حيث كان يرى بقية العالم الموت كان الفريقان يريان ولادة- ولادة دولة تم خلاصها بالعنف وتطهيرها بالنار.

فالعراق لم يدمر بصواريخ كروز أو قنابل عنقودية أو فوضى أو نهب، وإنما كان يولد من جديد. وتاريخ ٩ نيسان ٢٠٠٣ يوم سقوط بغداد كان اليوم الأول من السنة صفر.

في بداية الأمر بدت الخطة (ب) وكأنها تسيير على الطريق الصحيح. استطاع بريمر أن يقنع مجلس الحكم أن يوافق على كل شيء: الجدول الزمني الجديد، الحكومة المؤقتة والدستور المؤقت. بل أنه حتى استطاع أن يدس في الدستور مادة لم ينتبه إليها أحد.

المادة ٢٦

وبينما الحرب تشتعل، لم يكن من الواضح من ستكون له السيطرة على العراق المحتل: البراجماتيون أم أصحاب السنة صفر. ولكن السرعة التي تم بها الغزو والاحتلال زاد من رصيد المحافظين الجدد السياسي طالما أنهم هم الذين كانوا يتوقعون أن يكون الاحتلال سلسا مثل الحرير. وبعد ثمانية أيام من هبوط جورج بوش على حاملة الطائرات تحت الراية التي تقول (المهمة انتهت) بصم الرئيس علنيا على رؤية المحافظين الجدد لجعل العراق نموذجا لدولة السوق التي سوف تساعد في فتح المنطقة بأكملها. في ٩ آيار اقترح بوش، "إقامة منطقة تجارة حرة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط في خلال عشر سنوات". بعد ثلاثة أيام، أرسل بوش بول بريمر إلى بغداد ليحل محل جاي جارنر الذي كان قد مضى عليه في منصبه

ثلاثة أسابيع. كانت الرسالة واضحة: لقد خسر البراجماتيون وقد أصبح العراق الآن ملك المتطرفين في الإدارة الأمريكية.

بريمر كان دبلوماسيا في عهد ريجان وتحول إلى مقاول وقد أثبت مؤخرا قدرته على تحويل الحطام إلى ذهب وذلك بالانتظار شهرا واحدا فقط بعد أحداث ١١ ايلول ليقيم شركة استشارات أمنية هي شركة استشارات الأزمات **Crisis Consulting Practice** المتخصصة في بيع (تأمين على أخطار الإرهاب) إلى الشركات متعددة الجنسيات. وكان لبريمر ضابطان برتبة لفتنانت على الجبهة الاقتصادية أحدهما: توماس فولى ومايكل فلايشر وهما رئيسا "تنمية القطاع الخاص" في سلطة الائتلاف المؤقتة CPA. فولى مليونير من ولاية كونكتكت وصديق قديم لعائلة بوش ورائد من رواد حملة انتخاب بوش-تشيبي الذي وصف العراق بأنه كاليفورنيا الجديدة في اندفاع الباحثين عن الذهب إليه. أما فلايشر فهو فهو رأسمالي مغامر وشقيق المتحدث باسم البيت الأبيض السابق آري فلايشر (كلا الرجلين: فولى وفلايشر يهوديان - المترجمة). لم يكن لأي من الرجلين خبرة دبلوماسية عالية وكلاهما يستخدمان مصطلحا واحدا في وصف مايفعلانه وهو: خبير "تحول". وطبقا لفولى فإن هذا كان يؤهلها لإدارة اقتصاد العراق "لأنه أم كل التحولات".

العديد من وظائف CPA كانت أيديولوجية أيضا. فالمنطقة الخضراء وهي المدينة داخل المدينة والتي تضم مقرات الاحتلال في قصر صدام

حسين، كانت تعج بالجمهوريين الشباب القادمين مباشرة من مؤسسة التراث **heritage foundation** وكلهم كلفوا بمسؤوليات لم يكونون يحلمون بها في الوطن. جي هالين وهو شاب في الرابعة والعشرين من عمره تقدم بطلب وظيفة في البيت الأبيض فكلف بإقامة بورصة بغداد الجديدة. سكوت اروين شاب عمره واحد وعشرون عاماً وذو صلة بديك تشيني قال في رسالة إلكترونية إلى عائلته: "أني أساعد العراقيين في إدارة التمويل والميزانية لقوات الأمن الداخلي"، ماذا كان عمل هذا المتخرج حديثاً من الجامعة قبل ذلك؟ "كان عملي سائق عربة آيس كريم". في تلك الأيام التي أعقبت الاحتلال كانت المنطقة الخضراء تبدو مثل فرق السلام بالنسبة للناس الذين يعتقدون أن فرق السلام هي مؤامرة شيوعية. كانت فرصة للنوم على أسرة نقالة وارتداء أحذية عسكرية والصرخ "قادم" - كل ذلك بينما تحيط بهم حراسة على مدار الساعة يقوم بها جنود حقيقيون.

كانت فرق شركة KPMG (الشركة التي تعاقدت معها إدارة بوش لخصخصة الاقتصاد العراقي) من محاسبين ومصرفيين واعضاء مؤسسات الفكر والجمهوريين الشباب الذين يكونون سكان المنطقة الخضراء، تشبه كثيراً وفود صندوق النقد الدولي الذي يعيد ترتيب الاقتصاد في الدول النامية من أجنتهم الرئاسية في فنادق شيراتون حول العالم. ماعدا اختلاف واحد مهم: في العراق لم يكونوا يتفاوضون مع حكومة لقبول "التعديلات الهيكلية" مقابل قرض. في العراق.. كانوا هم الحكومة!

اتخذت بعض الإجراءات الصغيرة على أية حال، لاستجلاب السياسيين الذين عينتهم الولايات المتحدة إلى العراق أمثال يغور جيدار العقل المدبر لمزاد خصخصة روسيا في منتصف التسعينات الذي وزع ممتلكات الدولة على أعضاء حكومة القلة الحاكمة، دعي ليساهم بحكمته في مؤتمر عقد في بغداد، وكذلك ماريك بيلكا الذي أشرف باعتباره وزير مالية على نفس الإجراء في بولندا. أما العراقيون الذين أثبتوا أنهم موهوبون في ترديد خطاب المحافظين الجدد فقد تم اختيارهم للقيام بما تسميه الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية " USAID أبطال السياسة المحليين " - رجال مثل أحمد المختار الذي وصف أهل بلده العراق أمامي بقوله: "إنهم حاملون. العراقيون بطبيعتهم متواكلون. ويجب أن يتعلموا الاعتماد على النفس فهي الطريقة الوحيدة التي تنجح في العالم اليوم"، ورغم أن المختار لاخلقية اقتصادية له وكان عمله السابق قراءة الأخبار باللغة الإنجليزية في التلفزيون فقد أوكلت إليه إدارة العلاقات الخارجية بوزارة التجارة والآن يقود عملية انضمام العراق إلى منظمة التجارة الدولية.

لقد تبعت جهة الاقتصاد في هذه الحرب لمدة سنة قبل أن أقرر زيارة العراق. وقد حضرت معارض تجارية حول (إعادة بناء العراق) ودرست قوانين الضرائب والاستثمار التي شرعها بريمر والتقيت بمقاولين في مكاتبهم في الولايات المتحدة وتحاورت مع موظفي حكومة من صانعي السياسة في واشنطن. ولكن حين تهيأت للسفر إلى العراق في مارس هذا العام لأرى

تجربة السوق الحرة المثالية عن قرب، صار من الواضح أنه لا شيء يسير حسب الخطة. كان بريمر يعمل حسب النظرية التي تقول إنك إذا بنيت يوتوبيا للسوق الحرة فسوف تهافت عليك الشركات. ولكن أين هم؟ كانت الشركات الأمريكية متعددة الجنسيات سعيدة بقبول أموال دافع الضرائب الأمريكي لإعادة بناء انظمة الهاتف والكهرباء ولكنهم لم يكونوا يرغبون في دفع اموالهم الخاصة في العراق. ولم يكن هناك في العراق أي مكدونالد أو مركز تسوق ولمارت وحتى بيع مصانع الدولة التي اعلن عنها بثقة كانت مازالت قائمة بعد تسعة أشهر.

تعزى بعض العراقيين إلى الأخطار المادية التي تجابه من يدخل العراق للاستثمار. ولكن إلى جانب ذلك كان هناك أخطار مهمة أخرى. عندما مزق بول بريمر دستور العراق واستبدله بما رحبت به مجلة الأيكونومست باعتباره "قائمة التمنيات للمستثمرين الأجانب" كان هناك أمر واحد نسي أن يذكره: كان الإجراء كله غير شرعي. لقد استمدت سلطة الائتلاف المؤقتة سلطتها القانونية من قرار مجلس الأمن للأمم المتحدة رقم ١٤٨٣ الذي أصدر في آيار ٢٠٠٣ الذي اعترف بالولايات المتحدة وبريطانيا بأنهما المحتل الشرعي للعراق. كان هذا القرار هو الذي منح السلطة لبريمر ليصدر القوانين من جانب واحد في العراق، ولكن القرار أيضا نص على أن الولايات المتحدة وبريطانيا يجب أن "تنفذ التزاماتهما كاملة بموجب القانون الدولي بضمنها وبشكل خاص اتفاقيات جنيف في ١٩٤٩ ولاهاي في ١٩٠٧"

وكلا الاتفاقيتين ولدتا لكبح الميل التاريخي المؤسف بين قوى الاحتلال لإعادة كتابة قوانين وقواعد البلاد المحتملة ليتمكنوا من نهب ثرواتها. وهكذا فقد نصت الاتفاقيتين على أن المحتل يجب أن يلتزم بالقوانين القائمة في البلاد مالم "يمنع تماما" من القيام بذلك. وأيضا نصت الاتفاقيتان على أن المحتل لا يملك "المباني العامة والعقارات والغابات والممتلكات الزراعية"، للبلاد التي يحتلها ولكنه في موقع (المدير) و(الوصي) مما يستوجب أن يحافظ عليها كما هي حتى تقام حكومة ذات سيادة. كان هذا التهديد الخطير لخطة السنة صفر: طالما أن أمريكا لا تمتلك أصول العراق فلا يمكنها قانونا أن تبيعها، وهذا يعني أنه بعد أن ينتهي الاحتلال قد تأتي حكومة عراقية إلى الحكم وتقرر الاحتفاظ بشركات الدولة في يدها كما هو الجاري في منطقة الخليج من أجل منع الشركات الأجنبية من تملك ١٠٠% من الأصول الوطنية. إذا حدث ذلك فإن الاستثمارات التي أقيمت بموجب قوانين بريمر يمكن مصادرتها دون أن تستطيع الشركات إقامة الدعاوي القضائية، لأن استثماراتهم كانت مخالفة للقانون الدولي منذ البداية.

بحلول شهر تشرين الثاني / نوفمبر، بدأ المحامون التجاريون بنصح زبائنهم من المستثمرين ألا يذهبوا إلى العراق في هذه المرحلة وأنه من الأفضل الانتظار إلى ما بعد انتقال "السلطة". وقد أصاب الرعب شركات التأمين حتى امتنعت كل الشركات الكبيرة من تأمين المستثمرين ضد (الأخطار السياسية)

وهو غطاء تأميني من المخاطر العالية يحمي الشركات ضد تحول الحكومات الاجنبية إلى تبني سياسات وطنية أو اشتراكية ومصادرة استثماراتهم.

وحتى السياسيين العراقيين المعينين من قبل الولايات المتحدة والذين كانوا مطيعين حتى تلك اللحظة بدأوا بالإصابة بالقلق والتوتر حول مستقبلهم السياسي إذا طبقوا خطط الخصخصة. وقد أخبرني وزير الاتصالات حيدر العبادي حول لقائه الأول ببريمر: "قلت له: انظر، ليس لدينا السلطة لبيع أي شيء. أن الخصخصة شيء خطير. علينا أن ننتظر حتى تقوم حكومة عراقية" وكان وزير الصناعة محمد توفيق أكثر مباشرة: "لن أقوم بشيء غير قانوني. وهذه نهاية الأمر"، وقد أخبرني كلا الرجلين العبادي وتوفيق بما جرى في اجتماع لم تذكره وسائل الإعلام أبدا في أواخر تشرين أول / أكتوبر ٢٠٠٣. في ذلك الاجتماع اتفق أعضاء مجلس الحكم الخمس والعشرين وكذلك الخمس والعشرين وزيرا مؤقتا على عدم المساهمة في خصخصة الشركات الحكومية أو البنى التحتية.

ولكن ذلك لم يفت في عزيمة بريمر. إذا كان القانون الدولي يمنع المحتلين من بيع أصول الدولة بانفسهم فإنه لا يمنع الحكومات الدمى التي يعينها الاحتلال من أن تبيعها بانفسها. وفي الأصل كان بريمر قد تعهد بتسليم السلطة إلى حكومة منتخبة انتخابا مباشرا ولكن في أوائل تشرين

الثاني / نوفمبر ذهب إلى واشنطن من أجل مقابلة خاصة مع الرئيس بوش وعاد مع الخطة (ب). في ٣٠ حزيران سوف ينتهي الاحتلال رسميا ولكن ليس واقعا. سوف يستبدل بحكومة معينة تختارها واشنطن. هذه الحكومة غير ملزمة أمام القانون الدولي الذي يمنع المحتل من بيع أصول الدولة، ولكنها ستكون ملزمة امام "دستور مؤقت" وهي وثيقة سوف تحمي قوانين بريمر للاستثمار والخصخصة.

كانت الخطة مخاطرة. كان ٣٠ حزيران قريبا جدا وكان اختياره لسبب أقل مثالية: حتى يستطيع الرئيس بوش أن يطبل ويزمر في حملته الانتخابية حول انتهاء احتلال العراق. وإذا سار كل شيء حسب الخطة سوف يستطيع بريمر أن ينجح في فرض حكومة عراقية "ذات سيادة" لتنفيذ إصلاحاته غير الشرعية. ولكن إذا حدث شيء ولم تنجح الخطة فإنه يستطيع أن يمضي في تسليم ٣٠ حزيران في كل الاحوال لأن كارل روف (مستشار الرئيس بوش للشؤون السياسية) هو الذي سيكون سيد الموقف حينذاك وليس ديك تشيني أو دونالد رامسفيلد. وإذا كان الخيار بين الأيديولوجية في العراق والحملة الانتخابية لجورج بوش، فالكل يعرف أين ترجح كفة الميزان.

في بداية الأمر بدت الخطة (ب) وكأنها تسير على الطريق الصحيح. استطاع بريمر أن يقنع مجلس الحكم أن يوافق على كل شيء: الجدول الزمني الجديد، الحكومة المؤقتة والدستور المؤقت. لقد حتى استطاع أن

يدس في الدستور مادة لم ينتبه إليها أحد. المادة ٢٦. وتنص على أنه خلال فترة الحكومة المؤقتة: "تطبق القوانين واللوائح والانظمة والتوجيهات التي أصدرتها سلطة الائتلاف المؤقتة"، ولا تتغير إلا بعد إجراء انتخابات عامة.

لقد وجد بريمر ثغرة القانون هذه: سيكون هناك نافذة مدتها سبعة أشهر حتى ينتهي الاحتلال رسميا ولكن قبل أن تجرى الانتخابات العامة حسب الجدول الزمني. وضمن هذه النافذة، لن يطبق الحظر الذي تفرضه معاهدات لاهاي وجنيف على خصخصة أصول الدولة المحتلة، وإنما ستطبق قوانين بريمر حسب منطوق المادة ٢٦ من الدستور المؤقت. خلال هذه الأشهر السبعة سوف يأتي المستثمرون الاجانب إلى العراق ويوقعون عقودا مدتها أربعين سنة لشراء أصول العراق. فإذا قررت حكومة عراقية منتخبة في المستقبل تغيير القوانين يستطيع المستثمرون رفع قضايا التعويضات.

ولكن برز أمام بريمر أية الله السيستاني كبير رجال الدين الشيعة في العراق الذي حاول أن يعرقل خطة بريمر عند كل منعطف داعيا إلى إجراء انتخابات عامة وأن يكتب الدستور بعد تلك الانتخابات وليس قبلها. وكلا المطالبين إذا استجيب لهما كانا سيغلقان نافذة بريمر للخصخصة. ثم في ٢ مارس مع امتناع الأعضاء الشيعة في مجلس الحكم توقيع الدستور انفجرت خمس قنابل أمام جوامع في كربلاء وبغداد لتقتل حوالي ٢٠٠ من المصلين. وحذر جون أبي زيد القائد الأمريكي الأعلى في العراق بأن الدولة على شفا

حرب اهلية. وخوفا من هذا المصير تراجع السيستاني ووقع السياسيون الشيعة الدستور المؤقت. كانت القصة المعتادة: صدمة هجوم عنيف تمهد الطريق أمام المزيد من علاج الصدمة.

عندما وصلت إلى العراق بعد أسبوع كان المشروع الاقتصادي يبدو وكأنه عاد إلى مساره. كل الذي تبقى لبريمر هو تدعيم الدستور المؤقت بقرار من مجلس الأمن وعندها يستطيع المحامون وسماسرة التأمين تنهد الصعداء ويبدأ مزاد العراق. وكانت سلطة الائتلاف في هذا الوقت قد اطلقت حملة دعائية كبيرة من أجل بث الثقة في نفوس المستثمرين للعودة إلى العراق الذي أصبح مكانا آمنا ومثيرا للاستثمار. وكان مركز الحملة على معرض محطة الوصول بغداد (Distination Baghdad) وهو معرض تجاري ضخم للمستثمرين كان سيعقد في نيسان في معرض بغداد الدولي. كان أول حدث من نوعه داخل العراق وقد باشر المنظمون باطلاق رمز DBX (اختصار اسم المعرض) وكأنه نوع من سباق الدراجات تموله شركة مشروب ماونتين ديو. وإمعانا في استعارات الرياضة، سافر توماس فولي إلى واشنطن من أجل أن يتحدث أمام اجتماع لرؤساء الشركات ليقول لهم أن المخاطر في العراق تشبه: "الهبوط الحر من المظلات أو ركوب دراجة بخارية، وهي للكثيرين مخاطر مقبولة".

ولكن بعد ثلاث ساعات من وصولي إلى بغداد، وجدت أن مثل هذه التطمينات صعبة التصديق. لم أكن قد أفرغت محتويات حقيبة السفر حين امتلأت غرفتي في الفندق بالشظايا، وتكسرت نوافذ ردهة الفندق. في آخر

الشارع كان فندق جبل لبنان قد قصف لتوه، وكانت تلك أكبر هجمة منذ انتهاء الحرب رسميا. وفي اليوم التالي قصف فندق آخر في البصرة ثم قتل رجلا اعمال فنلنديان وهما في طريقهما إلى مقابلة في بغداد.

وأخيرا اعترف الجنرال مارك كيميت أن هناك نسقا ما في الهجمات: "لقد بدأ المتطرفون يتحولون من الأهداف الجامدة إلى الأهداف الأضعف".

وفي اليوم التالي حدثت وزارة الخارجية منشور توجيهات السفر، حيث حذر المواطنون الأمريكيون بشدة من السفر إلى العراق. وقد بدا أن المخاطر المادية للعمل في العراق تنفلت من السيطرة. وهذا لم يكن ضمن الخطة الأصلية. عندما وصل بريمر إلى بغداد لأول مرة كانت المقاومة المسلحة ضعيفة بحيث كان يستطيع أن يتجول في الشوارع مع بعض المرافقين الأمنيين. خلال الأشهر الأربعة الأولى في المنصب، قتل ١٠٩ جندي أمريكي وجرح ٥٧٠. وفي الأشهر الأربعة التالية تضاعف عدد القتلى الأمريكيان إلى ١٩٥ والجرحى إلى ١٦٣٣. والآن هناك الكثيرون في العراق الذين يجادلون بأن هذه الأحداث مرتبطة بإصلاحات بريمر التي كانت أكبر عنصر مفرد يقود إلى انتفاضة المقاومة المسلحة.

خذ مثلا أوائل ضحايا بريمر: الجنود والعمال الذين سرحهم بدون معاشات أو مكافآت نهاية خدمة لم يختفوا عن الأنظار بدون جلبة. سرعان ما انضم العديد منهم إلى المجاهدين مشكلين العمود الفقري للمقاومة

المسلحة. وكما يقول حسين كبة رئيس مجموعة استشارية: "نصف مليون إنسان يعانون شظف العيش الآن وهؤلاء هم الحنفيه التي تديم المقاومة فهي عمل بديل".

وضحايا بريمر الاقتصاديين الآخرين لم يحنفوا بهدوء ايضا، اتضح أن الكثير من رجال الأعمال الذين هددت قوانين بريمر الاستثمارية أعمالهم قرروا أن يقوموا باستثماراتهم الخاصة: في المقاومة. وأموالهم هي التي تزود المقاتلين بالكلاشنكوف والآر بي جي.

وهذه التطورات تشكل تحديا للمنطق الأساسي للعلاج بالصدمة: كان المحافظون الجدد يعولون على أن إصلاحاتهم - إذا نفذت بسرعة وبدون رحمة - سوف يصاب العراقيون بالشلل فلا يقاومون. ولكن يبدو أن تأثير الصدمة كان معكوسا. بدلا من الشلل والتخاذل، فجرت تحركا لدى الكثير من العراقيين. حيدر العبادي وزير الاتصالات يصف ذلك بقوله: "نعرف أن هناك إرهابيين في البلاد ولكن في السابق لم يستطيعوا فعل شيء وكانوا معزولين. الآن عمت المعاناة البلاد وكثير من الناس فقدوا وظائفهم وأصبح هؤلاء الإرهابيون يجدون آذانا صاغية".

أصبح بريمر في موقع حرج ليس فقط مع العراقيين الذين عارضوا خطته وإنما أيضا مع قواد الجيش الأمريكي المكلفين بالقضاء على المقاومة التي توجبها إجراءاته. وبدأت تثار أسئلة: بدلا من تسريح الناس لماذا لا

تخلق سلطة الائتلاف وظائف للعراقيين؟ وبدلاً من الإسراع ببيع ٢٠٠ شركة حكومية، لماذا لا نجرب تشغيلها؟

من البداية لم يبد المحافظون الجدد الذين يحكمون العراق إلا الاحتقار لشركات العراق الحكومية، فتماشياً مع خطتهم للسنة صفر - عندما هجم السراق والنهابون على المصانع خلال الحرب لم تفعل القوات الأمريكية شيئاً. ويقول صباح أسعد مدير مصنع الثلجات خارج بغداد أنه حين بدأ النهب ذهب إلى قاعدة أمريكية قريبة ورجاهم المساعدة: "طلبت منهم أن يرسلوا معي جنديين ومركبة لمساعدتي في طرد السراق".

كنت أبكي وأنا أستعطف الضابط الذي قال: "آسف لا نستطيع فعل شيء. نحتاج إلى أمر من الرئيس بوش".

وفي واشنطن، هز رامسفيلد كتفيه وقال: "الأحرار أحرار في صنع الأخطاء وارتكاب الجرائم والأفعال الشريرة".

في نهاية المقابلة سألت محمود عما سيحدث إذا بيع المصنع بعكس رغبة العمال. قال: "هناك اختياران "

قالها وهو ينظر في عيني ويتسم بلطف: "إما نحرق المصنع عن آخره وإما نفجر أنفسنا داخله، ولكننا لن نتركه يباع".

ولكن السراق كانوا طيبين كما يقول أحد العاملين مع أسعد، لأنهم تركوا الآلات والمكائن لنتمكن من العمل ثانية. ولأن المكائن مازالت قائمة

فإن الكثير من المديرين في العراق يقولون إنهم لن يحتاجوا إلا إلى القليل ليعود المصانع إلى طاقتها الإنتاجية الكاملة. كل الذي يحتاجونه مولدات كهربائية للمساعدة أثناء انقطاع الكهرباء ويحتاجون إلى رأس مال لقطع الغيار والمواد الخام. إذا حدث ذلك سيكون ذلك إشارة هائلة على إعادة إعمار العراق لأنه سيعني أن الكثير من المواد الاستراتيجية لإعادة البناء مثل الأسمت والفولاذ والطابوق والأثاث سيتم إنتاجه داخل البلاد.

ولكن ذلك لم يحدث. فور إعلان انتهاء الحرب رسمياً، خصص الكونغرس مبلغ ٢,٥ بليون دولار لإعادة إعمار العراق وأعطيه بمبلغ ١٨٤ بليون دولار إضافي في تشرين الأول /أكتوبر. ولكن منذ تموز/يوليو ٢٠٠٤ استثنيت مصانع القطاع العام بشكل متعمد من عقود إعادة الأعمار. بدلا من ذلك ذهبت البلايين إلى شركات غربية لاستيراد معظم مواد إعادة البناء من الخارج بكلفة عالية.

ومع بطالة تبلغ ٦٧% تدفقت المنتجات والعمالة الأجنبية عبر الحدود مما تسبب في شعور بالغضب والمرارة بين العراقيين، وبالتالي رقد المقاومة بمزيد من الوقود. وليس على العراقيين أن ينظروا بعيدا ليتذكروا هذا الإجحاف، فهو واضح وضوح الشمس بأشد الرموز دلالة:

الحيطان الساترة من الانفجارات. الواح الكونكريت المسلح التي تبلغ عشرة أقدام ارتفاعا تنهض في كل مكان في العراق لتفصل بين المحميين -

المقيمين في فنادق فخمة ومنازل مرفهة وقواعد عسكرية وطبعا المنطقة الخضراء - من الشعب الأعزل المكشوف للأذى. إذا لم يكن ذلك كافيا، فيكفي أن نذكر أن كل هذه الجدران مستوردة من كردستان (من اللافت للنظر أن تذكر الكاتبة كردستان باعتبارها دولة خارجية - المترجمة) وتركيا وحتى من أماكن لأبعد، هذا رغم حقيقة أن العراق كان أحد أهم منتجي الأسمنت ويمكن استعادة هذه القدرة بسهولة. هناك سبعة عشر مصنع أسمنت حكومية في البلاد ولكن معظمها عاطل أو يعمل بنصف طاقته. وطبقا لوزارة الصناعة لم يستلم أي من هذه المصانع عقدا واحدا من أجل المساعدة في إعادة البناء حتى رغم أنها تستطيع إنتاج الجدران وتلبي الطلب على الأسمنت بكلفة أقل كثيرا من المستورد. فسلطة الائتلاف تدفع ١٠٠٠ دولار لكل لوح أسمنتي من الجدران الواقية في حين أن المنتجين المحليين يقدرون الكلفة إذا قاموا بالإنتاج لاتزيد على ١٠٠ دولار. ويقول السيد توفيق أن هناك سببا بسيطا لرفض الأمريكان المساعدة في تشغيل مصانع الأسمنت مرة أخرى: من بين صانعي القرارات "لا يوجد أحد يؤمن بالقطاع العام".

ويقول توفيقان العديد من الشركات الأمريكية عبرت عن رغبتها في شراء مصانع الأسمنت الحكومية وهذا يؤيد الاعتقاد السائد في العراق بأن هناك استراتيجية متعمدة لإغفال شركات القطاع العام من أجل أن تباع فيما

بعد بسعر رخيص (باعتبارها خاسرة أو عاطلة). وهو إجراء معروف باسم "جوعها ثم بعها".

وفيما كانت المقاومة تنمو وتزدهر، أصبح واضحاً أن بريمر إذا قام بالمضي في خطته لبيع الشركات الحكومية فإن المقاومة سوف تزداد عنفاً. لأن الخصخصة - بلا جدال - تتطلب تسريح المزيد من العمال: وتقدر وزارة الصناعة أن المفروض تسريح حوالي ١٤٥٠٠٠ عامل قبل أن تصبح الشركات مقبولة في عيون المستثمرين ومن الطبيعي أن كل من هؤلاء العمال يعملون في المتوسط عائلة من خمسة افراد. وكان السؤال الذي يقض مضجع المحتلين المحاصرين: هل سيقبل هؤلاء الضحايا الجدد لخطة العلاج بالصدمة مصيرهم أم سوف يتمردون؟

جاء الجواب بشكل دراماتيكي في واحدة من أكبر شركات الحكومة وهي الشركة العامة للزيوت النباتية. المجمع يضم ستة مصانع تنتج زيت الطبخ وصابون اليد ومنظفات الغسيل وكريم الحلاقة والشامبو. على الأقل هذا ما قالته لي موظفة استقبال أعطتني مطبوعات لامعة وتقاويم تفاخر ب(آلات حديثة) و(آخر وأحدث ما أنتجته الصناعة)، ولكن حين اقتربت من مصنع الصابون اكتشفت مجموعة من العمال نائمين خارج مبنى مظلم. أسرع دليلنا أمامنا وهو يصيح بصوت عال على امرأة ترتدي معطف مختبر أبيض وفجأة دبّت الحركة في المصنع: أضيئت الأنوار وتحركت المكائن وبدأ

العمال - وهم مازالوا يكافحون النعاس - يملأون عبوات بلاستيكية بسائل أزرق ماركة (زاهي) لغسيل الأطباق.

سألت ندى أحمد وهي المرأة في المعطف الأبيض لماذا لم يكن المصنع يعمل قبل دقائق. أوضحت أن مالدِيهم من الكهرباء والمواد الخام يكفي لتشغيل المكائن ساعتين في اليوم فقط، ولهذا يدخرونها للاستعراض أمام الضيوف أو المستثمرين الجدد أو موظفي الوزارة أو الصحافة. خلفنا كان هناك عشرات المكائن عاطلة، مغطاة بقماش بلاستيك مترب ومحاط بشرائط لاصقة .

وفي زاوية معتمة من المصنع وجدنا رجلا عجوزا محنيا على كيس مليء بأغطية قناني بيضاء بلاستيكية. كان في يده شفرة معدنية وكان ينعم بعناية حواف الأغطية تاركاً عند قدميه كومة من نشارة البلاستيك. وقد أوضح المشرف عليه معذراً: "ليس لدينا قطع الغيار اللازمة للقالب الآلي ولهذا نضطر لقطعها باليد"، وأضاف: "لم نستلم أي قطع غيار من ألمانيا منذ بدأ الحصار"، ولاحظت أنه حتى في خطوط التجميع التي كانت تعمل لم يكن هناك آلية فالقناني كانت توضع تحت الصنابير باليد لأن أحزمة التوصيل لا تتحرك، أما الأغطية التي كانت في السابق تكبس بالآلة فإنها الآن تدق بشواكيش خشبية وحتى الماء اللازم للمصنع يسحب الآن من بئر محفور في الخارج ويرفع باليد ويحمل إلى الداخل.

كان الحل الذي أتى به المحتلون الأمريكيان ليس إصلاح المصنع وإنما بيعه ولهذا حين أعلن بريمر مزاد الخصخصة في حزيران ٢٠٠٣ كانت هذه من بين أوائل الشركات التي طرحت للبيع. ولكن حين زرت المصنع في مارس لم يكن أحد يرغب في الحديث عن خطة الخصخصة. بل إن مجرد ذكر الكلمة داخل الصنع كانت تخلق جوا مشحونا بالصمت والنظرات ذات المعنى. وكان ذلك شيئا غريبا على مجرد مصنع صابون ولهذا حاولت أن أصل إلى قرار المسألة حين اجريت حوارا مع المدير المساعد. ولكن المقابلة نفسها كانت غريبة: لقد قضيت نصف أسبوع في طلب المقابلة وكتابة استئذان مسبقا من أجل الموافقة عليها والحصول على رسالة موقعة بالموافقة من وزير الصناعة، وقد تعرضت تكرارا ومرارا إلى الاستجواب والتفتيش. ولكن حين بدأت أخيرا الحوار رفض المدير المساعد أن يذكر لي اسمه أو يدعني أسجل الحوار قائلا: "أي مدير يذكر اسمه في الصحافة يقتل بعدئذ". وعندما سألته ما إذا ستباع الشركة رد علي بجواب غامض: "إذا كان القرار بيد العمال فهم ضد الخصخصة ولكن إذا كان بيد موظفي الحكومة الكبار إذن تكون الخصخصة أمرا والأوامر يجب أن تتبع".

تركت المصنع وأنا أشعر بأنني لم أعرف شيئا أكثر مما كنت أعرف حين دخلته ولكن في طريقي إلى الأبواب وضع حارس شاب ورقة بيد مترجمي: كان يطلب أن نقابله بعد العمل في مطعم قريب "من أجل معرفة ما يجري فعلا بالنسبة للخصخصة"، كان اسمه محمود في الخامسة العشرين من العمر

وله لحية أنيقة وعينين سوداوين واسعتين (من أجل سلامته حذفت اسمه الأخير) - وهل يحتاج المرء وصفا أكثر دقة لمعرفته مما ذكرته الكاتبة؟ - المترجمة - بدأت قصته في تموز/ يوليو بعد عدة أسابيع من إعلان بريمر النية في الخصخصة. تم إطلاق الرصاص على مدير الشركة وهو في طريقه إلى العمل فقتل. وقد افترضت الصحف أن المدير قتل لأنه يتعاون مع الأمريكيان في مسألة الخصخصة، ولكن محمود كان على يقين من أنه اغتيل، لأنه كان يعارض خطة الخصخصة "كان سيرفض بيع المصانع كما يريد الأمريكيان ولهذا قتل".

وقد استبدل القتييل بمدير جديد هو مظفر جعفر الذي دعا إلى اجتماع موظفي الشركة فور تعيينه لمناقشة بيع مصنع الصابون الذي يستدعي تسريح ثلثي العمال. كان الاجتماع في حراسة عدة ضباط أمن من المصنع. استمعوا باهتمام إلى خطط جعفر وقد نقلوها إلى زملائهم العمال.

ويقول محمود: "صدمنا. إذا كان القطاع الخاص سيشتري شركتنا فأول شيء سيفعلونه هو تخفيض عدد العمال من أجل جني مكاسب أكثر وسوف نترك لمصير مظلم، لأن المصنع هو وسيلة معيشتنا الوحيدة"، وخوفا من هذا الاحتمال تجمع سبعة عشر عاملا منهم محمود وذهبوا لمواجهة جعفر عما سمعوه: "لسوء الحظ لم يكن هناك، كان هناك المدير المساعد فقط، الرجل الذي قابلته"، ويقول محمود أن معركة نشبت: ضرب أحد العمال المدير

المساعد وحارس أطلق ثلاثة طلاقات على العمال ثم هاجم الجمع الحارس وأخذوا سلاحه وطعنوه بسكين في ظهره ثلاثة مرات. وقد قضى شهرا في المستشفى". في كانون الثاني/يناير كان هناك المزيد من العنف. فبينما كان دعفر في طريقه إلى الشركة مع ابنه تم إطلاق الرصاص عليهم وأصيبا إصابات بالغة .

ولم تكن لدى محمود فكرة عمّن وراء الحادث ولكنني بدأت أفهم لماذا لا يرغب مديرو المصانع في العراق في لفت الأنظار إليهم.

في نهاية المقابلة سألت محمود عما سيحدث إذا بيع المصنع بعكس رغبة العمال. قال: "هناك اختاران" قالها وهو ينظر في عيني ويتسم بلطف: "أما نحرق المصنع عن آخره وأما نفجر أنفسنا داخله. ولكننا لن نتركه يباع".

إذا كانت هناك لحظة كان فيها العراقيون مشتتين بسبب علاج الصدمة، لا بد أن تلك اللحظة قد انقضت. لقد أصبحت علاقات العمل مثل أي شيء آخر في العراق مصيدة دم. إن العنف في الشوارع يتردد صداه على أبواب المصانع. العمال يخشون فقدان وظائفهم كما يخشى المحكوم الإعدام، وبالمقابل يخشى المديرون عمالهم وهي حقيقة تجعل من الخصخصة عملية أكثر تعقيدا مما توقع المحافظون الجدد.

في البصرة كانت العلاقة بين الإصلاحات الاقتصادية وازدياد المقاومة في اوضح صورها. في كانون الأول/ديسمبر كان الاتحاد الذي يمثل عمال النفط يفاوض وزارة النفط على زيادة الرواتب. وحين لم يصل العمال إلى نتيجة عرضوا على الوزارة اختيارا بسيطا: زيادة الرواتب أو انضمام العمال إلى المقاومة المسلحة. وهكذا حصل العمال على الزيادة المطلوبة !

عندما انتهت المقابلة مع محمود وصلني خبر بأن هناك تظاهرة ضخمة أمام مقر بريمر يحتج فيها انصار الزعيم الديني مقتدى الصدر على قيام الشركة العسكرية بإغلاق صحيفتهم الحوزة. وكانت سلطة الائتلاف قد اتهمت الحوزة بنشر "مقالات كاذبة" يمكن أن تشكل "تهديدا للآمن" كمثل أشارت السلطة إلى مقالة قائلان بريمر "ينفذ سياسة تجويع للشعب العراقي ليجعله مشغولا بالبحث عن قوات يومه فلا تكون لديه الفرصة للمطالبة بالحريات السياسية والفردية"، وبالنسبة لي لم يكن هذا المثال نوعا من أدب الحض على الكراهية وإنما كان أشبه بتلخيص مكثف لوصفة ملتون فريدمان عن العلاج بالصدمة.

قبل عدة أيام من إغلاق الصحيفة ذهبت إلى الكوفة أثناء صلاة الجمعة لاستمع إلى الصدر في جامعته. وكانت خطبته ضد دستور بريمر المؤقت الذي كان قد تم التوقيع عليه مؤخرا وقد وصفه الصدر بأنه "وثيقة غير عادلة وإرهابية"، وكانت رسالة الخطبة واضحة: قد يكون آية الله العظمى

علي السيستاني قد تراجع عن رفض الدستور، ولكن الصدر وأنصاره مازالوا مصرين على محاربة الدستور المؤقت - وإذا نجحوا يكونون قد خربوا خطط المحافظين الجدد لتحميل الحكومة العراقية القادمة بالقوانين المفصلة عليهم. مع إغلاق الصحيفة كان بريمر يقول رأيه: "إنه لن يتفاوض مع هذا الشاب بلإنه يفضل أن يتخلص منه بالقوة".

عندما وصلت إلى مكان التظاهرة كانت الشوارع مليئة بالرجال الذين يرتدون السواد والذين سيتحولون فيما بعد إلى جيش المهدي. وقد خطر لي في حينها أن محمود إذا فقد وظيفته كحارس في مصنع الصابون فإنه قد ينظم إلى هؤلاء الشباب. وهؤلاء هم جنود الصدر: شباب تم إقصاؤهم من خطة المحافظين الجدد في العراق والذين لا يرون أية إمكانية للعمل والذين لم ير جيرانهم تحقيق وعود إعادة البناء. لقد خيب بريمر آمال هؤلاء الشباب وأينما فشل بريمر نجح مقتدى الصدر. في مناطق الشيعة الفقيرة من بغداد إلى البصرة انتشرت شبكة من مكاتب الصدر تقوم بأعمال إعادة الأعمار في الظل فمن خلال التبرعات كانت المكاتب تكلف الكهربائيين بإصلاح الكهرباء وخطوط التليفون وتنظم جمع القمامة وتضع مولدات طوارئ وتنظم المرور حين تتعطل الإشارات الضوئية. وأيضاً نظمت المكاتب الميليشيات. التقط الصدر ضحايا بريمر لإصلاحاته الاقتصادية وألبسهم زياً أسود وسلمهم كلاشينكوف صدئة. كانوا يقومون بأعمال حراسة الجوامع ومصانع الدولة وفي بعض المناطق ذهبوا إلى أبعد من ذلك. حاولوا فرض

القوانين الإسلامية بإحراق محلات الخمر وإجبار النساء على ارتداء الحجاب. أن انتشار الأصولية التي يمثلها الصدر كان رد فعل في مواجهة العلاج بالصدمة الذي طبقه بريمر.

وفي الوقت الذي كان فيه أنصار الصدر يهتفون "تسقط أمريكا" خارج أبواب المنطقة الخضراء، كان شيء آخر يجري في جزء آخر من البلاد سيغير كل شيء. قتل أربعة جنود مرتزقة أمريكيان في الفلوجة وأحرقوا وعلقت جثثهم مثل الغنائم فوق نهر الفرات. كانت هذه الحادثة ضربة قاصمة لن يفيق منها المحافظون الجدد. ومع صور هذه الجثث لم يعد الاستثمار في العراق فجأة (حلم الرأسمالي). وإنما أصبح كابوسا شنيعا.

وكان اليوم الذي غادرت فيه بغداد أسوأ الأيام. كانت الفلوجة تحت الحصار والجنرال كيميت يهدد بـ"تدمير جيش المهدي" وفي النهاية قتل حوالي ٢٠٠٠ عراقي في هاتين الحملتين. أنزلت عند نقطة تفتيش تبعد أميالا عن المطار ثم شحنت في حافلة مكتظة بالمقاولين الذين كانوا يسحبون وراءهم حقائب رصوها بعجالة. ورغم أن أحدا لم يصف الوضع ولكن مارأيته كان "جلاء": ففي خلال الأسبوع التالي غادر العراق ١٥٠٠ مقاول وبعض الحكومات بدأت ترسل طائرات لإخلاء مواطنيها. في الحافلة لم يتكلم أحد. كنا صامتين نستمتع إلى أصوات الهاون وتلفتت برؤوسنا لنرى الوميض الأحمر. رجل يحمل حقيبة مطبوع عليها رمز شركة KPMG قرر أن

يلطف الجو فقال "إذن! هل هناك درجة رجال الأعمال على هذه الرحلة؟" القى بسؤاله في الحافلة الصامتة. إجابة أحدهم من الخلف "ليس بعد". بالتأكيد سيمر وقت طويل قبل أن تكون هناك فعلا درجة رجال أعمال في العراق. عندما هبطنا في عمان علمنا إننا خرجنا في الوقت الحاسم.

في ذلك الصباح اختطف ثلاثة يابانيين وكان خاطفوهم يهددون بحرقهم أحياء. بعد يومين فقد نيكولاس بيرغ ولم يظهر مرة أخرى إلا في فيلم ذبحه، الذي كان رسالة أخرى أكثر إرعابا للمقاولين الأميركيين من الجثث المتفحمة في الفلوجة. كان ذلك بدء موجة خطف وقتل الأجانب وأغلبهم رجال أعمال من طيف واسع من الدول: كوريا الجنوبية وإيطاليا والصين ونيبال وباكستان والفلبين وتركيا. في نهاية حزيران قتل أكثر من ٩٠ مقاول في العراق. وعندما خطف سبعة مقاولين أتراك في حزيران طلب خاطفوهم من الشركة التي يعملون بها أن تلغي عقودها وتنسحب من العراق. وتوقفت الكثير من شركات التأمين عن بيع وثائق التأمين على الحياة إلى المقاولين وشركات أخرى بدأت تطلب أقساطا عالية تصل إلى ١٠٠٠٠ دولار أسبوعيا لمدير غربي واحد - وهو نفس الثمن الذي قيل أن بعض المقاومين يدفعونه لمن يقتل أمريكي.

في هذه الأثناء، أقام منظمو معرض بغداد التجاري DBX معرضهم في المدينة السياحية التركية الجميلة ديار بكر على بعد ٢٥٠ كم من حدود

العراق وهي تشبه أجواء وتضاريس العراق ولكن بدون العراقيين المرعبين. وبعد ثلاثة أسابيع لم يحضر مؤتمرا إقامته وزارة التجارة الأمريكية في ميشغان حول الاستثمار في العراق سوى ١٥ شخصا وقد حاول راعي المؤتمر عضو الكونغرس الجمهوري مايك روجرز تطمين الجمهور قائلا إن العراق لا يختلف عن أي مكان في أمريكا. ولكن يبدو أن ذلك لم يقنع المستثمرون الأجانب الذين قدمت لهم كل إجراءات السوق الحرة التي يمكن تخيلها فلم يظهروا حتى الآن. وقد عبر كيث كرين وهو كبير خبراء الاقتصاد في مؤسسة راند وقد عمل لفترة في سلطة الائتلاف عن الوضع بكل وضوح قائلا: "لا أعتقد أن مجلس إدارة أي شركة يمكن الموافقة على استثمارات كبيرة في هذه الظروف. إذا كان الناس يطلقون الرصاص على بعضهم البعض فمن العسير القيام باستثمارات." وقد قال لي حامد جاسم خميس مدير أكبر مصنع تعبئة قناني مشروبات غازية في المنطقة بأنه لم يستطع إيجاد أي مستثمر. وأنه حتى حين عرض حقوقا احتكارية لإنتاج البيبسي في وسط العراق تقدم إليه كثري من الناس من أجل الاستثمار في المصنع ثم بدأوا يترددون الآن. وقال خميس إنه لا يستطيع أن يلومهم فهو نفسه في خلال خمسة أشهر قد نجا من محاولة اغتيال وسرقة سيارة وقنبلتين زرعتا في مدخل مصنعه واختطاف ابنه.

ورغم أن بنك HSBC قد منح أول رخصة لبنك أجنبي في العراق في خلال أربعين عاما فإنه لم يفتح أي فرع لحد الآن وهو قرار قد يعني فقدانه

الرخصة. وقد أوقفت بروكتور آند جامبل مشروعها المشترك وكذلك جنرال موتورز. كما تجمد مشروع إنشاء فندق ستاروود وسحبت شركة سيمنز معظم موظفيها من العراق. ولم يدق الجرس في بورصة بغداد بعد - في الواقع أنك حتى لا تستطيع أن تستعمل بطاقات ائتمان في اقتصاد العراق الذي يعتمد على المبالغ النقدية. أما شركة نيو بروج ستراتيجيز التي تفاخرت بأن "أسواق ولمارت سوف تستولي على البلاد"، فلا صوت يسمع لها الآن. كما قال ايد روجرز شريك في شركة ماكدونالد لصحيفة واشنطن بوست: "إن الشركة لا تفكر بفتح فرع قريبا".

وقد أعلنت صحيفة فاينانشال تايمز أن العراق "أخطر مكان في العالم بالنسبة للاستثمار". ياله من إنجاز! حين اراد المحافظون الجدد خلق أفضل مكان في العالم للاستثمار لم يتمكنوا إلا من خلق أسوأ مكان".

لم ينجح العنف في طرد المستثمرين وإنما أجبر بريمر قبل أن يغادر أن يتخلى عن الكثير من سياساته الاقتصادية الرئيسية. التخصخصة أصبحت خارج الموضوع وبدلاً منها عرضت عدة شركات حكومية للإيجار، ولكن فقط في حالة إذا وافق المستثمر على ألا يطرد عاملاً واحداً. وقد أعيد توظيف آلاف العاملين في الدولة الذين سرحهم بريمر سابقاً وقد زادت الرواتب والأجور بشكل عام. كما أن خطط التخلص من نظام بطاقة التموين

قد انتهت، فليس الوقت مناسباً لحرمان ملايين العراقيين من التغذية الوحيدة التي يستطيعون الحصول عليها.

الضربة الأخيرة لحلم المحافظين الجدد جاءت في الأسابيع التي سبقت تسليم السلطة. كان البيت الأبيض وسلطة الائتلاف يجاهدان من أجل استصدار قرار من مجلس الأمن يصادق على خطة التسليم. وقد تم لوي الاذرع من أجل إعطاء المنصب الرئيسي لعميل المخابرات الأمريكية السابق إياد علاوي، وهي حركة كانت ستضمن أن العراق سيصبح على أقل تقدير محطة التمويل للقوات الأمريكية حسب رؤية جاي جارنر الأصلية، ولكن إذا كان المستثمرون الرئيسيون سوف يأتون إلى العراق مستقبلاً فإنهم سيحتاجون إلى ضمان يؤكد أن قوانين بريمر مازالت سارية. كان في طريق ذلك عقبة واحدة: يجب على مجلس الأمن أن يصادق على الدستور المؤقت مما يضمن استمرار قوانين بريمر طوال الفترة الانتقالية. ولكن السيستاني عارض مرة أخرى قائلًا إن الدستور قد رفضه معظم الشعب العراقي. في ٨ حزيران أقر مجلس الأمن قراراً يصادق على خطة التسليم ولكنه لم يشر إلى الدستور. وفي وجه هذه الهزيمة الكبيرة احتفل جورج بوش بالقرار وهو في قمة الثمانية في جورجيا باعتباره نصراً تاريخياً يستحق صورة انتخابية.

ومع الشلل الذي أصاب قوانين بريمر بدأ الوزراء العراقيون يتحدثون علنا حول إلغاء العقود التي وقعتها سلطة الائتلاف وقد رفض مشروع قروض سيتي جروب باعتباره استغلالا للعوائد النفطية. وهدد وزير الاتصالات بإعادة التفاوض على حول عقود الشركات الثلاثة التي تولت عملية إدخال الهاتف النقال التي لم تقدم سوى خدمات بئسة في هذا المجال. كما تم إعلان الشركتين اللبنانية والأمريكية اللتين تعاقدتا على إدارة شبكة التلفزيون العراقي بأنهما قد تفقدان رخصتهما لأن الشركتين ليستا عراقيتين (وكأن كل شيء آخر عراقي في العراق الجديد - المترجمة)، وقال عن ذلك حميد الكفائي الناطق بلسان مجلس الحكم: "سوف نرى إذا كنا نستطيع تغيير العقد. فالموجودون حاليا ليس لديهم فكرة عن العراق".

لا بد أن الكفائي كان يفكر بصفته - إعلاميا - أن يدير هو التلفزيون - المترجمة). وبالنسبة لكثير من المستثمرين فإن هذا التخبط يجعل من الاستثمار في العراق مخاطرة كبيرة.

ولكن في حين أن المقاومة العراقية نجحت في إفزاز الوجبة الأولى من الشركات الغازية فهناك قليل من الشك في عودتها. فمهما يكن شكل الحكومة العراقية المقبلة: قومية أو إسلامية أو سوف حرة - سوف ترث دينا باهضا يبلغ ١٢٠ بليون دولار. وعنداك ومثل كل الأقطار الفقيرة حول العالم

سوف يظهر على باب العراق رجال من صندوق النقد الدولي ببزات زرقاء داكنة وهم يحملون قروضا ووعودا لازدهار اقتصادي بشرط إجراء بعض التعديلات الهيكلية التي سوف تكون طبعا مؤلمة في أول الأمر ولكنها في النهاية تستحق التضحية. في الواقع أن هذا الإجراء قد بدأ فعلا: حيث يستعد صندوق النقد للموافقة على قروض بقيمة ٢،٥ - ٤،٢٥ بليون دولار مشروطة. وبعد سلسلة من المواقف الشجاعة الأخيرة والكثير من الضحايا سوف ينضم العراق إلى قائمة الدول الفقيرة يحكمه سياسيون مصممون على تطبيق سياسات ترفضها أغلبية الشعب فيضطرون إلى إجراءات توفيقية فاشلة. وسوف تأتي السوق الحرة إلى العراق بدون شك ولكن حلم المحافظين الجدد بتحويل البلاد إلى يوتوبيا سوق حرة انتهت إلى غير رجعة، وذلك قربانا لحلم أكبر وهو فترة رئاسية ثانية لجورج بوش.

إن المفارقة التاريخية الكبيرة للكارثة في العراق هو أن إصلاحات العلاج بالصدمة التي كان من المفترض أن تخلق ازدهارا اقتصاديا يساعد في إعادة بناء العراق، قد غدت مقاومة يستحيل معها إعادة البناء. لقد اطلقت إصلاحات بريمر (الأوقع أن نقول تخريبات بريمر - المترجمة) قوى لم يتوقعها المحافظون الجدد ولا يستطيعون السيطرة عليها من العمال المسلحين داخل المصانع إلى عشرات الألوف من الشباب العاطلين الذين يسلحون انفسهم. لقد حولت هذه القوى السنة صفر في العراق إلى مرآة مضادة لرؤى المحافظين الجدد، حيث أصبح مجرد الذهاب إلى اجتماع

عمل بسيط مخاطرة كبيرة تعرضك للقتل أو الحرق أو الذبح. وبسبب ضخامة هذه الأخطار تراجعت الرأسمالية العالمية من العراق، على الأقل في الوقت الحاضر. وبالنسبة للمحافظين الجدد لا بد أن هذا كان بمثابة تطور صادم: أن إيمانهم الأيديولوجي بالجشع البشري كان أقوى من الجشع نفسه.

كان العراق بالنسبة للمحافظين الجدد مثل أفغانستان لطالبان. المكان الوحيد على الأرض الذي يمكن أن تجبر الجميع على أن يعيشوا بالتفسير الحرفي الحازم لنصوصهم المقدسة. والمرء قد يتوقع أن نتائج هذه التجربة الدموية سوف تتسبب في أزمة إيمان: في البلاد التي كانت تحت سيطرتهم مباشرة حيث ليس هناك حكومة محلية يمكن إلقاء اللوم عليها وحيث فرضت الإصلاحات الاقتصادية بشكل صادم ومتكامل ولكنهم خلقوا، بدلا من السوق الحرة النموذجية، دولة فاشلة لن يقترب منها أي مستثمر عاقل. ومع ذلك لم يناقش المحافظين الجدد في المنطقة الخضراء وأسيادهم في واشنطن جوهر معتقداتهم بحين يجابه المتزمتون بالحقائق يغمضون أعينهم ويكثرون من الصلاة.

وهو بالضبط ما فعله توماس فولبي فقد ترك (رئيس هيئة تنمية القطاع الخاص) العراق وهي البلاد التي قال عنها إنها (أم التحولات)، وقبل عملا تحوليا آخر كرئيس مساعد في لجنة إعادة انتخاب بوش في ولاية كونكتكت. في ٣٠ نيسان في واشنطن كان قد خطب في جمهور من

المستثمرين حول فرص الاستثمار في بغداد، وقد كان ذلك الصباح بداية يوم صعب لإلقاء خطب في حين كانت الصور الأولى لفضيحة التعذيب في أبو غريب تملأ وسائل الإعلام، خاصة صورة العراقي المقنع وأطرافه المربوطة بأسلاك الكهرباء. كان نوعاً آخر من العلاج بالصدمة ولكن نوعاً أكثر ليبرالية مما استطاع فولبي تطبيقه في بغداد ولكن ليس بعيد الصلة به. كان فولبي يقول للحشد: "أي شيء ترونه ليس بهذا السوء فعلاً. كل ما عليكم أن تفعلوه هو أن تصدقوا ذلك على سبيل الثقة".

مجلة هاربر - عدد أيلول/سبتمبر ٢٠٠٤

ترجمت في ١١/٤/٢٠٠٥

- تركت استخدام الكاتبة لكلمة (ائتلاف) في اسم (سلطة الائتلاف المؤقتة) بدلا من تحويلها الى احتلال كما نستخدمها نحن الذين نصطف خلف المقاومة وذلك تحرياً للمصادقية في الترجمة. ولكن للعلم ان الكاتبة من جانب آخر كانت تستخدم مصطلح (مقاومة عراقية) بدلا من (متمردين).
- مسلحين (الخ) - المترجمة

- نعومي كلاين: كندية. مؤلفة كتاب (No Logo) حول شركات العولمة وكاتبة ومنتجة فيلم (The Take) وهو فيلم وثائقي حول المصانع المحتملة في الأرجنتين.

تشكيل العراق الجديد

نيل ماكي

لقد تحول العراق إلى خراب هذا الصباح. قصفت مدنه وأحرقت مبانيه ونهبت حوانيته ومستشفياته ومصانعه ومنازله. هذه السنة رقم صفر للعراق. سقط النظام السابق وسوف تبني الولايات المتحدة البلاد من نقطة الصفر.

ومنذ بداية السنة، كانت أمريكا قد وضعت خطة إعادة البناء. سوف يتولى العميد المتقاعد جي غارنر تحت إمرة قائد القيادة المركزية الجنرال تومي فرانكس، عملية إعادة بناء العراق، وسوف يساعده سلسلة من المتشددین العسکریین والدبلوماسیین ورجال الحزب الجمهوری الذین سیسأهمون مع الولايات المتحدة فی خلق (عراق حر) بمساعدة العراقیین فی المنفی الذین یهرعون للحصول علی حصتهم من الغنائم.

لقد قامت صحيفة صنداي هيرالد ببحث خاص في شبكة رجال المال والسياسيين المستفيدين والمحسوبة والمصالح الذاتية والأيدلوجية الشريرة التي كانت أساس خطة إعادة الإعمار برمتها.

إن الولايات المتحدة تنكر أن رجالا مثل غارنر هم في الواقع الموجة الأولى من الاحتلال العسكري. فإدارة بوش تصر على أنها تريد من هؤلاء الرجال إنهاء أعمالهم بأسرع وقت ممكن. البعض ذكر ثلاثة أشهر كحد أقصى للعمل في العراق والبعض الآخر، وهم الأكثر واقعية، ذكروا خمس سنوات كوقت محتمل بعد المقارنة مع فترة الاحتلال الأمريكي لليابان بعد الحرب العالمية الثانية. أن أمريكا سوف تظل متورطة في هذه الأمة لعشرات السنين القادمة. لقد بدأت عملية الاستعمار لتوها.

في هذا التحقيق، تتبعنا آثار جذور مسيرة إعادة الإعمار إلى أصولها الأيدلوجية - المحافظين الجدد الذين يشكلون عصب الحكومة الأمريكية الحالية الذين ابتكروا هذه الخطة. يرى هؤلاء الناس أن القوات الأمريكية بمثابة (حراس على الحدود الأمريكية الجديدة)، وكانوا يريدون (تغيير نظام صدام) منذ فترة طويلة وقبل أن يأتي بوش إلى الحكم وكانوا يحملون دائما بوجود أمريكي دائم في الخليج. كما أنهم كانوا في منتهى الصراحة حول هدفهم الحقيقي وهو وضع اليد على نفط العراق.

إن الأيدلوجيات هي أيدلوجيات، ولكن النظرية السياسية للحكومة الأمريكية تتوافق مع عالم الأعمال الكبيرة. أن الهدف النهائي للأفكار الشامخة للفقور الجمهوريين الذين يرسمون مفاهيم النظام العالمي الجديد هو الاستحواذ على الأموال. والعالم الآن لا يشهد انتشار نظرية سياسية في العراق وإنما يشهد غزو قام به عالم المال الكبير ومن أجل أغراضه ومصالحه. أن مصطلح (اتحاد العسكر والصناعة) يوحي بنظريات المؤامرة ولكن دعونا نتأمل المصطلح مرة أخرى، كل شركة من الشركات التي استحوزت على عقود إعادة بناء العراق هي، أما شركات ممولة لحملات الحزب الجمهوري وأما هناك أعضاء في الحكومة يعملون لصالح هذه الشركات. أن التبرعات للحزب الجمهوري وكذلك لجورج بوش نفسه - بالملايين.

هل أن أوان رد الفضل وتسديد الديون؟ في المملكة المتحدة تحتل مثل هذه الارتباطات بين عالم الأعمال والسياسيين الصفحات الأولى من الجرائد لفترة طويلة. ولكنها ليست كذلك في أمريكا.

إن مانشهده هنا هو شيء أكثر من مجرد تبرعات لحملات انتخابية وغيرها، ولكن الأمريكيان يسمونه (بنك الأفضال) ونحن نسميه ببساطة (محسوبة) أن العلاقة بين المسؤولين عن إعادة الإعمار تثير الدهشة! إذا لم

يكن هؤلاء الناس في نفس الخانة الفكرية معا فهم يعملون في نفس الشركات أو يرتبطون ببعضهم بالصدافة والمصالح.

انظر إلى نموذج واحد - تحت خانة سماسرة السلطة
powerbrokers

ستجد اسم اندرو ناتسيوس. أنه رئيس وكالة التنمية الأمريكية الدولية (USAID) وهي الهيئة الحكومية التي توزع عقود إعادة إعمار العراق. هل يدهشك أن تجد أن ناتسيوس يرتبط بشركة بيكتل التي أخذت أكبر العقود؟ ثم هناك شركة IRG التي حصلت على أحد العقود الثمانية التي وزعتها الحكومة بدون مناقصات. هل يصدمك أن تعلم أن هذه الشركة لها اربعة نواب رئيس و ٢٤ موظفا عملوا في وقت من الأوقات مع USAID ؟ ثم هناك تلك الشركة (KBR) فرع هالبرتون شركة النفط العملاقة التي كان يديرها ديك تشيني (نائب الرئيس) والتي ستحصل على ٥٠٠ مليون دولار من إعادة الإعمار.

وباستثناءات قليلة، هناك (نار وراء الدخان) لكل أولئك الذين يضطعون بعملية إعادة الإعمار. سواء كان مقعدا في مجلس إدارة شركة أو سهما فيها أو تسديد دين هنا أو هناك، وهذا يضع مصداقية وحيادية رجال السلطة تحت الشبهات ويدفع إلى التساؤل حول مستوى المصالح

الشخصية خلف عملية إعادة بناء العراق. ويبدو أن العراق سيكون أكثر دولة مربحة في العالم في المستقبل المنظور بالنسبة لصقور الولايات المتحدة على الأقل.

العصابة التي تحكم العالم

المحافظون الجدد

بول وولفowitz Paul Wolfowitz

(يهودي) نائب وزيرالدفاع وهو المنظر لإدارة بوش والمهندس الرئيسي في البنتاغون لخطط إعادة إعمار العراق.

ومثل الكثير من المسؤولين عن إعادة الإعمار فإن وولفowitz العرب، كما يسمى، هو عضو مهم في الزمرة المفكرة التي ابتدعت مشروع القرن الأمريكي الجديد (PNAC) الذي دعا لتغيير النظام في العراق قبل فترة طويلة من مجيء بوش إلى الحكم. وهو مثل الآخرين في هذا الفريق، عضو بارز في الجنسنا (JINSA) أو المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي وهو هيئة يمينية متطرفة تضع إسرائيل وأمنها في قلب السياسة الخارجية الأمريكية. والكثير من المسؤولين عن إعادة إعمارالعراق -الذين يطلق عليهم لقب أناس وولفي أو المؤمنون المخلصون - تم اختيارهم من قبل وولفowitz شخصيا. وهو الحلقة الأيديولوجية في فريق خطة بوش. وكان - وما يزال - تفكيره محوريا بالنسبة للحرب وما أعقبها.

لويس لي Lewis Libby

(يهودي) نائب رئيس أركان ديك تشيني هو وجه قديم في البنتاغون، عمل في وزارة الدفاعه أيام رئاسة بوش الأب. هو صديق حميم لولوفوفنز ورفيقه في زمرة المحافظين الجدد وعضو مؤسس لمشروع القرن الأمريكي الجديد. وهو عضو مجلس إدارة مؤسسة راند وهي مؤسسة للبحث والتطوير ترتبط بالبنتاغون بعدد هائل من العقود. ومن المعروف أن زلاي خليلزاد موفد بوش الخاص للمعارضة الأفغانية ثم العراقية كان موظفا في راند .

لي يملك اسهما في شركات سلاح وله مصالح نفطية كثيرة. يعمل مستشارا في شركة نورثروب جرونمان (للسلاح) ولهذه الشركة صوت مؤثر في مجلس السياسة الدفاعيةDPB أي العقول المفكرة في البنتاغون. ومؤسسة راند التي حصلت على عقود من البنتاغون بمبلغ ٨٣ مليون دولار مرتبطة مجلس السياسة الدفاعية.

دونالد رامسفيلد Donald Rumsfeld

عضو مؤسس في مشروع القرن الأمريكي الجديد وهو واحد من أفضل الرجال ذوي العلاقات القوية والمنتشعبة في عالم السياسة الأمريكية. وهو الذي رسم خريطة غزو العراق شخصيا. وكل تفاصيل عملية إعادة الإعمار في العراق يجب أن يوافق عليها أولا وزير الدفاع. وكل محافظ جديد في البنتاغون يدين بفضل توظيفه إلى رامسفيلد. وهناك حقيقة واحدة لا يرغب

رامسفيلد بأن يذكره أحد بها، وهي زيارته إلى بغداد في عام ١٩٨٣ حين كان الحرب الإيرانية العراقية في أوجها وكان هناك أفاويل بأن العراقيين يستخدمون موادا كيميائية ضد الإيرانيين، وذهب رامسفيلد بحجة أنه سيكلم العراقيين في ذلك، ولكنه قضى معظم وقته محاولا إقناع الرئيس العراقي صدام حسين بالموافقة على مد انبوب لشركة بيكتل من الجنوب إلى العقبة. كان وزير خارجية ريجان في ذلك الوقت هو جورج شولتز نائب الرئيس السابق لشركة بكتيل. وبيكتل كما هو معروف إحدى أوائل الشركات الأمريكية التي حصلت على عقود ضخمة في إعمار العراق.

دوجلاس فيث Douglas J Feith

(يهودي) وكيل وزارة البنتاغون للشؤون السياسية. هو الذي يختار أعضاء مجلس السياسة الدفاعية وهو في مجلس أمناء الجنسا. وبصفته محاميا، يمثل فيث شركة نورثورب جرومان (انظر خانة الدفاع). كان يعمل في البنتاغون منذ أن كان ريتارد بيرل مساعد وزير الدفاع في الثمانينات وقد عين مايكل موبس Michael Mobbs ليعمل في شركته القانونية (فيث اند زيل) وهو متحمس للإسرائيل ومعجب إعجابا عميقا بأحمد الجلبي (انظر العرب) كما يعجب به بيرل ورامسفيلد. أما العراقيون الآخرون الذين يسعون إلى جلب انتباهه فهم: جلال الطالباني (الاتحاد الوطني الكردستاني) وتوفيق الياسري (التحالف الوطني العراقي) ومسعود بارزاني (الحزب

الديمقراطي الكردستاني) وإياد علاوي (الوفاق الوطني العراقي) والشريف علي بن حسين (حزب الملكية الدستورية) وعبد العزيز الحكيم (شقيق باقر الحكيم ولرئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق) وسعد العبيدي (الرئيس السابق للحرب النفسية العراقية).

ريتشارد بيرل Richard Perle

(يهودي) ويسمى أمير الظلام وهو عضو مهم في الجنسا وعضو بارز في معهد المشاريع الأمريكي American Enterprise Institute الذي تعمل فيه أيضا لين زوجة ديك تشيني (الذي أطلق عليه الرئيس السابق رونالد ريجان بأنه أهم مؤسسة فكرية أمريكية يمينية مؤثرة). كما أنه عضو في مؤسسة الدفاع عن الديمقراطية وهي مؤسسة فكرية يمينية أيضا ويعمل معه فيها جيمس ولسيالذي قيل إنه سيدير وزارة الإعلام العراقية (قبل إلغائها).

ويعمل بيرل مستشار في شركة دوجلاس فيث - وكيل وزارة الدفاع للشؤون السياسية. وكان أيضا رئيسا لمجلس السياسة الدفاعية قبل أن يستقيل بعد فضيحة مالية بسبب مصالحه الخاصة. ومع ذلك فهو مازال من أعضاء مجلس السياسة الدفاعية. ويقوم حاليا بالاستئذان من لجنة الاستثمار الأجنبي التي يرأسها دونالد رامسفيلد من أجل أن يدير أعمال اتصالات هاتفية في آسيا. وهو أيضا عضو مؤسسات فكرية يمينية مثل معهد المشاريع

الأمريكية وعمل سابقا كمساعد لوزير الدفاع الإسرائيلي اليميني السابق بنيامين نتياهو .

ديك تشيني Dick Cheney

نائب الرئيس وأحد صقور البيت الأبيض وهو عضو مؤسس لمشروع القرن الأمريكي الجديد وكان أحد أمناء الجنس. وقد كان وزير دفاع بوش الأب كان يطالب برأس صدام منذ عقد من السنين. كان رئيس مجلس إدارة شركة النفط العملاقة هالبرتون. وقد فازت الشركة وفرعها KBR على أكبر العقود في العراق. وهو أمين معهد المشاريع الأمريكي وله العديد من المصالح النفطية. فهو يرتبط بشركة شيفرون أيضا وبالنيابة عنها كان يفاوض لإنشاء أنبوب نفط من بحر قزوين. وقد كانت كوندليزا رايس مستشارة الأمن القومي مديرة لشركة شيفرون حتى عام ٢٠٠١ - وقد أطلق اسمها على إحدى الناقلات الضخمة. وخلال رئاسة رايس للشركة قال كينيث دير أحد التنفيذيين في الشركة (أن العراق يمتلك احتياطات هائلة من النفط والغاز أحب أن تضع شيفرون يديها عليها) وزوجة ديك تشيني (لين) عضو في مجلس إدارة شركة لوكهيد مارتن التي تصنع صواريخ كروز.

مايكل جويس Michael Joyce

الرئيس السابق لمؤسسة برادلي. إحدى أكبر المنظمات اليمينية والأكثر تأثيرا في أمريكا. وهي التي أسست مشروع القرن الأمريكي الجديد

بقيادة وليام كريستول. وتعتبر صحيفة كريستول (ويكلي ستاندارد) في واشنطن بمثابة الصحيفة الخاصة لفريق بوش. ويمول هذه الصحيفة روبرت مردوخ. وقد قال جويس ذات مرة أن البارزين في فريق بوش مثل تشيني ورامسفيلد وولفوفتزر (متأثرون بوضوح بفكر مؤسسة برادلي). ويقال إن الصديق الحميم لجويس وهو وليام بنيت وزير التعليم في حكومة ريجان سوف يكون مسؤولاً عن نظام التعليم في العراق. كما أن هناك شائعات أن نيل بوش شقيق الرئيس بوش سيكون ضمن فريق مستشاري التعليم في العراق. ويعمل جويس مع جيمس ولسي مستشارين لجماعة اسمها "أمريكان من أجل النصر على الإرهاب) وهي جماعة تسعى من أجل خنق أي اعتراضات على العضلات العسكرية الأمريكية.

جيمس ولزي James Woolsey

(يهودي) من مؤيدي الحرب على العراق منذ أمد بعيد وعضو في الجنسا وفي مشروع القرن الأمريكي الجديد. ومدير سابق لووكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وكان قد سمي باعتباره وزير الإعلام في العراق (قبل أن تلغى الوزارة). وتشمل قائمة مصالحه المالية: شركة السلاح **BritishAerospace** ومؤسسة تيتان التي توفر مترجمين عسكريين، وشركة دينكوروب التي تعمل في مجال الأمن الخاص. وهي الشركة التي وجهت لها تهمة عديدة في الاشتراك بتجارة الرقيق والجيس في البوسنة

وتجارة المخدرات في كولومبيا وهناك قضايا مرفوعة ضدها لانتهاكات حقوق الإنسان والبيئة في الإكوادور والنصب والاحتفال في أمريكا. وكان شريكا في شركة قانونية وهي (شيا وجاردنر) التي تعمل وكلاء أجنب للمؤتمر الوطني العراقي الذي يرأسه الجلبي. وهو نائب رئيس شركة استشارية هي بوز الين هاملتون بفازت بعقد لبناء نموذج كومبيوتر للمجتمع العراقي بعد حرب الخليج الأولى. وهذه الشركة مرتبطة بقوة مع مجلس السياسة الدفاعية. ومن آرائه (إن الخوف وحده هو الذي يعيد لنا احترام العرب، نحتاج إلى شيء من السياسة الميكيفيلية) و(نحن حقا لانحتاج الأوربيين. ولكن على أية حال سيكونون أول من يربت على أكتافنا بعد النصر ويقولون إنهم كانوا يؤيدوننا طوال الوقت) .

ترجمت ٢٠٠٣/٤/١٥ المصدر: **Sunday Herald**

- نيل ماكي - صحفي أسكتلندي، رئيس تحرير الصنداي هيرالد منذ ٢٠١٥ .

خطط البنتاغون للمدن المقاومة

كورت نمو

لقد أصبح الأمر رسميا - الولايات المتحدة لاتتعلم من التاريخ. أن نصيها هو أن تعيد الأخطاء مرات ومرات.

في عام ١٩٦٢ أدخل نظام القرية الاستراتيجية إلى فيتنام وقد أعد اقتباسا من البرنامج البريطاني لمكافحة التمرد (المقاومة) في الملايا من ١٩٤٨ إلى ١٩٦٠. وفي محاولة يائسة من أجل منع جبهة التحرير الوطنية من (التأثير على) الفلاحين في فيتنام الجنوبية، حولت الولايات المتحدة قرى إلى معسكرات اعتقال - أقاموا جدراننا فاصلة وجابت دورياتهم المسلحة القرى. وطبقا للأرقام التي جمعتها الولايات المتحدة، أجبر ٣٩ بالمائة من سكان فيتنام الجنوبية على العيش في هذه القرى محددة الإقامة ٤٠٧٧ قرية استراتيجية أنجزت من مجموع ١١١٨٢ في الخطة.

وكما هو متوقع فإن البرنامج كان فشلا ذريعا، لأن الفلاحين عارضوا الحياة في معسكرات اعتقال بعيدا عن أراضي أجدادهم. وكما مذكور في (أوراق البنتاغون) كان الفلاحون (يساقون بقوة من بيوتهم) ويقفل عليهم داخل مايسمى بالقرى الاستراتيجية في حين (أحرق منازلهم القديمة ومعها الكثير من ممتلكاتهم)، وحسب رؤية البنتاغون فإن (البرنامج فشل بسبب سوء التنفيذ) وليس بسبب حقيقة أن الناس لا يحبون أن يقفل عليهم في معسكرات اعتقال وسوف يقاومون ويستمرون في المقاومة حتى تتغير الأمور. ولكن أيضا كما يوضح التاريخ كان هناك الكثير من (الخبراء) الذين شغلوا مناصب في البنتاغون خلال حرب الفيتنام وعلى ما يبدو خلال السنوات الأربعين الأخيرة لم يتغير شيء كثير.

نقلة سريعة إلى الحاضر. في حطام الفلوجة بالعراق سوف تقوم الولايات المتحدة بتطبيق برنامج القرية الاستراتيجية مرة أخرى مع وجود اختلافات مهمة. بموجب الخطة الجديدة كما نشرت صحيفة بوسطن جلوب (سوف توجه القوات الفلوجيين إلى مايسمى مراكز معالجة المواطن في أطراف الفلوجة من أجل جمع قاعدة بيانات حول هوياتهم من خلال فحص DNA ومسح الشبكية. سوف يستلم السكان باجات تبين عناوين بيوتهم التي يجب أن يضعوها على صدورهم كل الوقت. وسوف تأخذهم الحافلات إلى المدينة حيث يحظر استخدام السيارات الخصوصية (فهي أداة التفخيخ) في فيتنام أجبر الفلاحون على بناء سجونهم في حين أن

المواطنين الذكور في الفلوجة سوف ينظمون بفرق شبيهة بالفرق العسكرية واعتمادا على مهاراتهم سوف تناط بهم أعمال في البناء وأشغال المياه وإخلاء الأنقاض. بكلمات أخرى سوف ينظم الفلوجيون ويجبرون على تنظيف مخلفات جرائم الولايات المتحدة التي ارتكبتها في مدينتهم. ولسبب ما إما أن البنتاغون لا يدرك أو لايهتم بالغضب والمقاومة التي سيسببها مثل هذا الإذلال.

ويقول اللفتنانت كولونيل جيف بيلون وهو ضابط استخبارات عسكرية لصحيفة جلوب: عليك أن تقول "هذه هي القواعد"، وعليك أن تكون حازما وعادلا. وهذا يعكس الاستقرار.

وقد أكد بيلون أن محاولات سابقة جرت لكسب ثقة العراقيين الذين يشكون في مقاصد الولايات المتحدة ولكنها عكست ضعفا، وذلك بسؤال العراقيين: "ما احتياجاتكم؟ ما احتياجاتكم العاطفية؟ وما إلى ذلك من أشياء تصلح لبرنامج اوبرا ونفري أنهم يريدون أن يعرفوا ما العشيرة المسيطرة ليقولوا لها نحن معك. إننا نحتاج أن نكون العشيرة المحسنة المسيطرة.

لا يريد البنتاغون المزيد من أشياء (أوبرا). بدلا من ذلك يعتقد أنه يستطيع أن يتظاهر بأنه العشيرة القائدة المسيطرة - نوعا من نسخة مؤمركة من صدام - وهكذا نكسب ثقة أو خوف العراقيين. أن هذا خطأ تاريخي وثقافي من شأنه أن يزيد العداوة من جانب العراقيين ويبعث القوة في المقاومة. ويدرك بيلون أن معظم العراقيين سوف يستمرون في كراهية

الولايات المتحدة بسبب غزوها اللاشعري للعراق وذبح ١٠٠ ألف عراقي
وأكثر ولكنه يأمل أن يسود (احترام متبادل)، ما كيف يمكن أن يكون تهديم
الفلوجة واصطياد النساء والأطفال الجوعى برصاص القناصة واستخدام
أسلحة محرمة مثل النابالم والقنابل الانشطارية والفسفورية وقذائف اليورانيوم
المنضب وقتل الأطباء ومرضى المستشفيات وسحق الجرحى تحت عجلات
الدبابات سوف يخلق (احتراما متبادلا) فهو ما لا نفهمه.

ومثل فصل من مسرحية غرائبية يعلن البنتاغون أن تحويل بقايا أنقاض
الفلوجة وسكانها المدنيين إلى معسكرات اعتقال
concentration camps- مع أحدث تكنولوجيا بدلا من الجدران
العازلة في محاولة لخلق (مدينة نموذجية). بتعبير آخر يخطط البنتاغون
وصنائه العراقيون لاستخدام (إجراءات قسرية) في المدن السنية الأخرى.
أقصد سوف يقصفون ويغزون ويقتلون آلاف الناس ثم (يعيدون بناء) الحطام
ليكون شبيها بشيء ليس من هذا العالم، وإنما من أفلام هوليوود الخيالية
العلمية مع محطات فحص الشبكية والحمض النووي مع حكومة بوليسية
تهيمن على كل ناحية من نواحي الحياة.

يقول الميجور جنرال ريتشارد ناتونسكي الذي قاد هجوم الفلوجة
ويشرف على إعادة بنائها: "أن الحكومة العراقية المؤقتة هي التي تأتي بهذه
الأفكار"، وهو يتحدث عن خطط باجات الهوية وفرق العمل. ومن الطبيعي

أنا نعرف أن "الحكومة العراقية المؤقتة" لا تنحني لربط حذائها في الصباح بدون إذن بوش والبن تاغون. على أية حال، إن التظاهر بأن علاوي وجماعته المعينين من قبل الولايات المتحدة والمكروهين من قبل كل العراقيين تقريبا، هم الذين يأمرهم، يبدو جيدا خاصة مع اقتراب الانتخابات. ولكن العراقيين طبعاً يعرفون كل شيء حتى إذا كان الجمهور الأمريكي الغافل المسؤول عن جرائم الإبادة والقتل التي يرتكبها قاداته المنتخبون - لا يعرف شيئا عن حقيقة ما يجري.

ومن الطبيعي أن هذه (اليد الحازمة) كما وصف اللفتنانت كولونيل ليونارد ديفرانتشيسي الخطة المدبرة للفلوجة، سوف تفضّل فشلاً ذريعاً كما فشل برنامج القرية الاستراتيجية في فيتنام. إذا كان البن تاغون يعتقد أنه يستطيع أن يمنع دخول المقاومة ويجبرها على الاتجاه إلى الصحراء حيث يصفىها بسهولة وانتظام بطائرات بي ٥٢ والمدفعية فإنه واهم وهما خطيراً. لن يوقف المقاومة في العراق إلا قتل كل مواطن ذكر في سن التجنيد. وتعكس هندسة مذبحة الفلوجة أن البن تاغن كان يفكر في إمكانية مثل هذا الاحتمال .

ترجمت في ٢٠٠٤/١٢/٩

- موقع: يوم آخر في الإمبراطورية **another day in the empire** وهو في نفس الوقت عنوان كتاب أصدره كورت نمو، وهو أديب وشاعر وناقد وموسيقي ومصور أمريكي.

- أوبرا وينفري مقدمة برنامج شهير في أمريكا تستضيف فيه أصحاب المشاكل وتحاول أن تجد حلولاً لهم. ويتضمن البرنامج بطبيعة الحال الكثير من دموع الحزن ودموع الفرح حين تنتهي المشكلة على خير.

كعب أخيل الجيش الأمريكي في العراق

باتريك لانج

ضابط سابق بالاستخبارات العسكرية الأمريكية يفضح كعب أخيل في جيش الاحتلال. كيف يمكن إيقافه وتدميره. إلى مزيد من الضربات الموجعة بأبطال العراق لنقطة الضعف القتالة هذه

من أقوال نابليون "الجيش يزحف على بطنه" يعني أن تموين الجيش مسألة حيوية تمس وجود القوات ذاته. وجنود جيش القرن الواحد والعشرين "يحرقون" كمية هائلة من المؤن الاستهلاكية ويحتاجون باستمرار إلى إصلاح المعدات إضافة إلى العلاج الطبي. وبدون مصدر وفير معتمد عليه من الوقود والطعام والذخيرة، تتعثر القوة العسكرية. تتوقف عن الحركة أولاً ثم تجوع وبالتالي تصبح غير قادرة على مقاومة العدو.

في عام ١٩١٥ على سبيل المثال، حدث ذلك للقوات البريطانية التي غزت أرض الرافدين. توغلت قوة هندية بريطانية على خط نهر دجلة ووصلت الكوت جنوب شرق بغداد. وقد حوصرت القوة هناك بعد أن قطع خط تموينها وهكذا استسلم حوالي ١١ ألف من القوة بعد أن تكبد الحلفاء ٢٣ ألف قتيل في محاولة لانقاذهم.

تموين القوات الأمريكية في أنحاء وسط وشمال العراق بوقود وطعام وذخيرة يتم بواسطة قوافل شاحنات من قاعدة تموين تبعد مئات الأميال في الكويت. كل تموين جنودنا ماعدا كمية صغيرة تأتي إلى العراق عبر طرق تمر خلال الجنوب العراقي الذي يهيمن عليه الشيعة.

حتى الآن كان العرب الشيعة في العراق يخضعون لأوامر زعمائهم الذين يطلبون منهم عدم المساس بالقوات الأمريكية. ولكن تصاعد التوتر بين إيران والولايات المتحدة يمكن أن يغير ذلك بين ليلة وضحاها. أكثر من ذلك، يمكن للحرب الأهلية المتصاعدة في العراق أن تغير تحالفات القوات هناك بشكل غير متوقع.

جنوب العراق مخترق تماماً من قبل قوات العمليات الخاصة الإيرانية التي تعمل بالتنسيق مع الميليشيات الشيعية مثل جيش المهدي وفيلق بدر. ويمكن للتوترات بين إيران والولايات المتحدة أو تغير في وجهة النظر تجاه

القوات الأمريكية من جهة حكومة بغداد أن يجعل من طريق المؤن "ميدان رماية" طوله ٤٠٠ - ٨٠٠ ميل.

في الوقت الحاضر، يقود قوافل الشاحنات التي تمون قواتنا في العراق مديون - أما من جنوب آسيا أو تركيا. فإذا تحول الطريق فعلا إلى ميدان رماية لن يستمر هؤلاء السائقون المديون أو سيحتاجون إلى حماية أمريكية.

سيكون عندئذ من الضروري قيادة الشاحنات عبر أرض معركة ومن خلال الأفخاخ على الطرق. هذا احتمال وشيك. إن الشاحنات المحملة بالبضائع لاقوة أو حيلة لها ضد أنواع الأسلحة مثل الهاون والأسلحة الخفيفة والعبوات الناسفة. أضمن الصعب حماية هدف طويل ممتد مثل قافلة شاحنات ضد مقاتلين غير نظاميين يعملون في أو حول مديونهم.

ولهذا سيتم تخفيض حجم القوافل في مثل هذه الظروف وأي تخفيض في المؤن يعني انخفاضا في القدرة العملية. وهذا قد يؤدي إلى انهيار القوة ضد المتمردين والمليشيات. سيكون هذا خطرا كبيرا على قواتنا.

هل هناك بدائل لخط التموين القادم من الكويت؟ قد يكون هناك بدائل ولكنها غير منظورة حتى الآن.

خط تموين يعني طريق ومرافق وإنشاءات في كلا نهايتيه. خط التموين الحالي ينبع من الكويت بموانئها ومخازنها.. إلخ.

وإذا أنشئ خط تموين جديد من تركيا أو الأردن فيجب أن يكون هناك مرافق مماثلة. تركيا لم تكن متعاونة جدا في هذه الحرب، أما خط التموين من الأردن فلا بد أن يمر عبر محافظة الأنبار وهي قلب (التمرد العربي السني). وإنشاء مرافق جديدة في هذين البلدين سيكون ممكنا ولكنه صعب سياسيا وسوف يستغرق وقتا.

قليل من المتطلبات الدائمة لتموين مستمر يمكن أن يأتي من الاقتصاد المحلي، ولكن العراق يفتقر إلى الاحتياطي في هذه البضائع ولن يكون ثمة "متبقيات" كافية ليعيش عليها جنودنا.

ماذا عن التموين الجوي؟ يبدو أن فقط من ٥ إلى ١٠% من الواردات العسكرية اليومية تأتي للعراق من خلال الجو. داخل العراق يتم الاعتماد على النقل الجوي أكثر فأكثر. في الظروف الصعبة يمكن زيادة الكميات المنقولة جوا، ولكن نظرا لوزن وحجم التموين المطلوب لا يبدو أن التموين الجوي يمكن أن يتجاوز ٢٥% من المتطلبات اليومية. وهذا لن يكون كافيا لتموين القوات.

ويرافق هذا الخطر المحدق لخط التموين من الكويت، خط آخر تتبعه سفن الشحن القادمة إلى الكويت. تفرض الجغرافية أن تمر كل هذه السفن من خلال مضيق هرمز ثم تتجه إلى الموانئ في الطرف الآخر من الخليج.

واولئك الذين يعرفون سجل إيران ضد السفن الكويتية في الحرب الإيرانية العراقية سوف يشعرون بالقلق حول هشاشة هذا الطريق البحري.

ومن بين الأعداء على طول خط التمويل الكثير من الضباط السابقين ذوي الخبرة القتالية الجيدة ونحن على يقين من أنهم يدركون ضعف موقفنا هذا وهم يعملون على تخريب خط التمويل باستمرار.

وهذا الخطر الذي يحقق بنخط التمويل يعرفه قادتنا العسكريون ولكن لسوء الحظ هذه إحدى المشاكل في العراق التي لم تعالج بشكل كاف بسبب قلة عديد القوات.

يجب أن نبدأ في بناء خط تمويل آخر يدعم الخط الرئيسي ويجب أن نفعل ذلك بسرعة .

ترجمت في ٢٢/٧/٢٠٠٧

-باتريك لانج رئيس سابق لقسم جمع الاستخبارات البشرية في الشرق الأوسط التابع لوكالة الاستخبارات العسكرية.

- عن ساينس كريستيان مونيتور.

الأجندة الحقيقية في غزو العراق

بول كريج روبرتس

منذ ٢٠٠٣ والجنود الأمريكيون يقاتلون ويموتون في العراق دون أن يعرف الشعب الأمريكي سبب ذلك .

كل الأسباب التي قدمها الرئيس بوش للحرب كانت كاذبة. لقد قال إنه غزا العراق "لنزع سلاح الدمار الشامل، لإنهاء دعم صدام حسين للإرهاب ولتحرير الشعب العراقي".

نعلم الآن أن كل ذلك كان مزاعما كاذبة. لقد صاغت الأكاذيب حول العراق وحدة خاصة داخل البنتاغون أدارها رامسفيلد وولفوفتزر وفايث. كانت الوحدة تعمل خارج قنوات الاستخبارات الطبيعية للوكالة المخابرات المركزية ووكالة الاستخبارات العسكرية. وكان هدفها تأليف معلومات مضللة لتمكن بوش من شن الحرب على العراق.

هل كان الرئيس بوش يعلم أن تلك المزاعم التي وضعها الكتاب في خطبه كانت مزيفة؟

من أمر كتاب خطب بوش أن يستخدموا أكاذيب مفضوحة في خطب الرئيس؟

لماذا كذب نائب الرئيس تشيني ووزير الخارجية ومستشارة الأمن القومي ووزير الدفاع على الشعب الأمريكي والعالم أجمع؟

ما الأجندة الحقيقية؟

لقد توصل ملايين الأميركيين إلى استنتاجاتهم الخاصة فيما يتعلق بالأسباب الحقيقية لغزو العراق:

١ - النفط: الحكومة الأمريكية تريد أن تهيمن ببسط سيطرتها على النفط ويريد بوش وتشيني مكافأة أصدقائهم في شركات النفط.

٢ - المجمع الأمني العسكري: وكالات الأمن تجذب الحرب لتوسيع نفوذها والصناعات العسكرية تريد الحرب كوسيلة لزيادة أرباحها.

٣ - أيديولوجية المحافظين الجدد: الذين يؤمنون بالـ "الفرادة الأمريكية" ويزعمون بأن فضيلة أمريكا تعطي الحكومة الأمريكية الحق والالتزام لفرض هيمنة أمريكية على بقية العالم خاصة الشرق الأوسط، حيث تعارض الدول الإسلامية المستقلة سرقة إسرائيل لفلسطين.

٤ - كارل روف (مستشار بوش): استخدم دور "رئيس الحرب" لإنقاذ بوش من هجوم الديمقراطيين كرئيس غير شرعي انتخب من قبل المحكمة الأمريكية العليا.

٥ - الرغبة الأمريكية في الانتقام بعد أحداث ١١ أيلول.

كل هذه الأسباب اجتمعت لتشكيل حربا وحشية على شعب بريء. ربما تكون هناك أسباب أخرى لا نعلمها.

وطالما علمنا أن كل مبرر للحرب كان كاذبا أو غير شرعي، السؤال هو: لماذا يصر بوش على الاستمرار في حرب مكلفة، وبعد أن اتضح أن الأسباب المعلنة لم تكن صحيحة؟ لم تكن هناك أسلحة دمار شامل ولا علاقات مع القاعدة وقد نصب بوش حكومة عراقية عميلة لا تستطيع أن تجازف بالذهاب إلى خارج المنطقة الخضراء المحمية من قبل الأمريكان. أن الحكومة العراقية لا تحكم على شيء.

الحرب بدون سبب، تصبح جريمة وليست حربا.

أن يصر بوش على الاستمرار في حرب لا يستطيع تقديم مبرر شرعي لها يؤشر على أن هناك أجندة سرية أخفيت على الشعب الأمريكي.

هل نمر بعملية خصخصة الحكومة الأمريكية من قبل وكالات الأمن والمجمع الأمين العسكري واللوبي الإسرائيلي؟

أن يستمر الشعب الأمريكي ونوابه المنتخبين في تقبل حرب قتلت وشوهت آلاف من جندودنا ودمرت البنى التحتية لدولة وقتلت مئات الألوف من المدنيين العراقيين، وخلفت ٤ ملايين لاجئ بدون سبب معروف، يشير عدة أسئلة خطيرة حول أخلاق الشعب الأمريكي.

هل إن عجز حركة السلام يرجع لقوة اللوبي الإسرائيلي أم هل تدهورت أخلاقيات الشعب الأمريكي كما يؤكد المعلقون بشكل متزايد؟

أحد المؤشرات على ذلك هو وجهة نظر المرشحين الرئاسيين في الحرب الخاسرة. أن ماشاهدناه في مناظرة المرشحين الرئاسيين من الحزب الجمهوري في يوم ٥ حزيران لا يتفق مع كرامة الشعب الأمريكي. كل المرشحين الجمهوريين الرئيسيين صادقوا بوضوح وعلى الملأ على استخدام أسلحة نووية ضد إيران، إذا لم تتخل عن حقها في تخصيب اليورانيوم بموجب معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية، التي وقعت عليها إيران (على عكس دولة إسرائيل المدججة بالسلح النووي والهند وباكستان العميلة للولايات المتحدة).

ما الانحدار الأخلاقي إذا لم يكن السماح بأسلحة نووية لقتل أعداد هائلة من المدنيين الأبرياء ونشر الإشعاع المميت على مساحات واسعة من أجل إجبار إحدى البلاد على الخضوع لنا؟ إذا لم تكن هذه بربرية، فما هي

البربرية؟ هل يدرك الشعب الأمريكي بأن المتنافسين الجمهوريين للرئاسة هم وحوش يريدون قتل شعوب لم تفعل لنا شيئاً.

بعد خمس سنوات من حرب لم تحقق اي غرض نبيل أو اي هدف صالح، إلا ربما تحقيق هدف أسامة بن لادن في إشعال صراع في الشرق الأوسط، كيف يمكن للجمهوريين التصفيق والتهليل لمرشحين ينادون بتوسيع الحرب واستخدام السلاح النووي ضد شعب أعزل؟

هل أن الموافقة على المرشحين الرئاسيين الجمهوريين الراغبين في استخدام السلاح النووي لترهيب الشعوب الاسلامية، مؤشر على أن الشعب الأمريكي قد تحول إلى وحوش لا إنسانية؟

إذا لم يكن الجواب بنعم، فماذا يعني ذلك؟ هل هو تطرف غبي؟ بارانوياس؟ كراهية عمياء؟ أم الإيمان بأنه لا قيمة لأي إنسان إذا لم يكن أمريكياً؟

لمدة ست سنوات ونصف اعتمد نظام بوش على التخويف والترهيب والحرب والتهديد بالحرب. وقد استبعدت الدبلوماسية والنوايا الطيبة، بل إن سعي النظام إلى الحروب بعث من جديد سباق التسلح. فالصين وروسيا تنظران إلى سعي أمريكا للهيمنة على العالم بحذر كبير. وقد وضعت الصين رؤوساً حربية نووية على منصات متحركة لحمايتها في حالة هجوم أمريكي.

وروسيا طورت رؤوسا حربية متعددة الأغراض يمكنها أن تخرق أي نظام دفاعي صاروخي كما طورت صواريخ كروز يقول عنها بوتين أنها ستوجه إلى أوروبا إذا أصرت الولايات المتحدة على احتواء روسيا داخل جدار عسكري عدواني.

إن الإدارة التي تحيي التهديد بالإبادة النووية من أجل زيادة أرباح أصدقائها في شركات السلاح والأمن هي إدارة شر بدون منافس.

- بول كريج روبرتس: وزير مالية سابق في عهد ريغان ورئيس تحرير ومؤلف ثمان كتب وأستاذ جامعة وعضو عدة مراكز أبحاث .
- الأصل الإنجليزي للمقالة في:

www.informationclearinghouse.info

خطة الدول الكبرى

استنزاف أمريكا حتى الانهيار

نيكولاس بييري

في أيام (إمبراطورية الشر) اتبعت الولايات المتحدة ماسمى باستراتيجية الاستنزاف تجاه الاتحاد السوفيتي. مثلاً كان رد فعلها على غزو السوفيت لأفغانستان، أن قررت إدارة ريجان مثل إدارة كارتر قبلها بافلاس موسكو كأفضل طريقة لكسب الحرب الباردة.

سوف يتم استنزاف الاتحاد السوفيتي مالياً.

بفرض المقاطعة الاقتصادية على كوبا وفيتنام، سوف يضطر الاتحاد السوفيتي لضخ أموال طائلة لهذين البلدين الموالين من أجل إدامة نظاميهما. وتزويد المجاهدين الأفغان بالسلاح سوف يضع عبئاً ثقيلاً على الاحتلال.

كما كانت خطة ريجان (حرب النجوم) وسيلة فعالة لاستمرار الاتحاد السوفيتي في تخصيص حصص كبيرة من ثروته القومية في التسليح.

وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي هلك كثير من الأمريكيين لاستراتيجية الاستنزاف كسبب رئيسي للنصر في الحرب الباردة.

لقد انتصر ريجان! وظل هذا الاعتقاد ساريا لدى أنصار ريجان في أمريكا. واستراتيجية الاستنزاف معروفة دوليا كما كان يعرفها الكثير من المسؤولين والمفكرين الروس.

الآن الحذاء في القدم الأخرى!

من أحاديثنا مع المسؤولين الروس والأوروبيين والصينيين تأكد لدينا أن استراتيجية الاستنزاف تستخدم حاليا ضد أمريكا تحت إدارة بوش.

وليس سرا أن قادة هذه الدول الكبيرة ترى الحروب الاستباقية والحرب على الإرهاب وتحدي أنظمة (محور الشر) واحتقار بوش للأمم المتحدة والقانون الدولي وبناء الترسانة العسكرية الهائلة بضمنها نظام الدفاع الصاروخي، هي ضد مصالح هذه الدول. والرئيس فلاديمير بوتين وهو جنناو وجاك شيراك والآخرون يفضلون تعدد القطبية على انفراد أمريكا بالقطب الأوحده.

وبما أن هؤلاء الرؤساء يجدون صعوبة في تحويل بوش إلى الطريق القويم، طريق التعاون الدولي، فإنهم ينتهزون الفرص لتحويل مسار السياسة الخارجية الأمريكية ويبدو أنهم يتبعون في ذلك ثلاثة طرق:

الاول: أن أفق بوش الضيق يسمح لهم بأن يرضوا الولايات المتحدة بالانخراط في الحرب على الإرهاب ثم يتراجعون إلى الخلف بالموافقة على حرب العراق بشكل تكتيكي.

وفي هذه الحالة يكون بوش حرا في اتباع أجندته الضيقة، ويترك بقية العالم حرا في اتباع أجنداتهم الخاصة بدون تدخل كبير من الولايات المتحدة. فروسيا تتحرك لإعادة إقامة مجال تأثيرها وتنضم إلى أوروبا. والصين تطور في اقتصادها وتأثيرها الإقليمي في مسارها نحو أن تكون قوة عظمى. والاتحاد الأوروبي يركز على التوسع والاتحاد وحتى التعاون العسكري.

الثاني: القوى الكبرى وآسيا ترى في استراتيجية بوش العظمى كعامل إضعاف للقوة الأمريكية تقريبا بشكل يومي. وهي القوة التي يرونها طائشة ومضرة، وهذا الإضعاف شيء جيد.

مع ملاحظة أن الولايات المتحدة استخدمت استراتيجية الاستنزاف لإحداث عدم استقرار وتفتيت الاتحاد السوفيتي، فإن القوى الكبرى الآن

راضية بترك الولايات المتحدة تستنزف نفسها. ولم تقدم لها هذه الدول سوى النزر اليسير للمساعدة في احتلالها المكلف للعراق.

وقد صممت الاعتراضات على نظام الدفاع ضد الصواريخ المكلف (والمشكوك في فائدته)، ولهذا يستمر هذا البرنامج. في الوقت نفسه تقوم الصين والاتحاد الأوروبي وروسيا واليابان بإقراض الولايات المتحدة أموالا تقترب من ٢ بليون دولار يوميا، وهكذا يساعدون في استقرار عجز الميزانية الرهيب الذي سيعتصر في النهاية طاقة واشنطن في مواصلة مشروعها الإمبريالي. وتزداد فوائد القروض الواجب دفعها إلى دول أخرى وبهذا يزداد الدولار ضعفا.

وهذا الاستنزاف يجعل الولايات المتحدة غير قادرة على شن حروب أخرى في وقت واحد كما ترغب مثلا ضد كوريا الشمالية وإيران. وهو يزيد من عبء الولايات المتحدة وهكذا يقلل من فرص بوش في التدخل في الشؤون الداخلية للدول المقرضة سواء في مجالات حقوق الإنسان أو الانتخابات أو إعادة الهيكلة الاقتصادية وهكذا يفسح لهذه الدول المجال للتحرك على أكثر من صعيد سياسي.

الثالث: بسبب عدم إمكانية بوش الحفاظ طويلا على هذه الاستراتيجية بسبب تكاليفها الباهظة، وفشلها في التعامل مع عدد متنوع من القضايا المهمة، فإن الدول الكبرى ترى أن خطة بوش للتفرد بالقطبية لن تطول.

فسيأتي وقت أما يتغير بوش أو يسقط هو وسياسته في الانتخابات. فالبوشية مثل البونابرتية لاتدوم إلى الأبد. سوف تعود الولايات المتحدة إلى الدبلوماسية العادية، وتخفيف الأعباء العسكرية وسوف تعود إلى دعم القانون الدولي والمنظمات، وليس هناك حاجة إلى ترويح الاستنزاف للتعجيل بانتهاء أمريكا لأن بوش يقوم بذلك بنفسه بشكل جيد.

– مدير موقع Foreign Policy Forum.com

مصدر المقالة: موسكو تايمز ٢٣/١٢/٢٠٠٣

الجيش لم يتعلم من دروس فيتنام

توماس ركس

قال الخبير العسكري لبول بريمر "سيدي السفير هذه بعض برامج نفعت في فيتنام!" فانفجر بريمر صارخا "فيتنام؟ فيتنام! لا أريد الكلام عن فيتنام. هذه ليست فيتنام. هذه العراق"، وهكذا أثبت الأمريكان أنهم لا يتعلمون من الدروس.

الحرب الحقيقية في العراق - الحرب التي ستقرر مستقبل البلاد - بدأت في ٧ آب ٢٠٠٣ حين انفجرت مفخخة خارج السفارة الأردنية وقتلت ١١ وأصابت ٥٠ جاء ذلك التفجير تقريبا بعد أربعة شهور من اعتقاد الجيش الأمريكي أنه قد سيطر على العراق وقد انطلقت بعدها المقاومة، والحرب الدموية مع مقاتلي حرب العصابات التي ربطت الولايات المتحدة إلى القاع حتى يومنا هذا. (١)

هناك دلائل على أن حكومة صدام حسين أدركت أنها لن تستطيع كسب الحرب التقليدية وتشير بعض الوثائق التي تم العثور عليها أن الحكومة عازمت على إطلاق حملة مقاومة (الصفوف الخلفية للجيش العراقي) ضد الاحتلال. وكان تجميع الأسلحة وتوزيع شحنات أسلحة على القواعد الشعبية لحزب البعث ونقل الأموال والناس إلى سوريا أما قبل أو خلال الحرب يشير إلى تخطيط للمقاومة.

ولكن هناك أيضا دلائل قوية تستند إلى مراجعة آلاف الوثائق العسكرية ومئات الحوارات مع الشخصيات العسكرية أن مقارنة الولايات المتحدة لإخضاع العراق في الأشهر التي تلت الاحتلال أطلقت شعلة المقاومة وساعدت على نموها وانتشارها.

إن شكل الوجود الأمريكي عرقل تنفيذ المهمة. كان تسلسل القيادة مبهما ولم يكن هناك شخص واحد مسؤول عن الجهد الأمريكي الكلي في العراق، وهذه الهيكلة ادت إلى تضارب بين المسؤولين العسكريين والمدنيين.

في ١٦ آيار ٢٠٠٣ أصدر بول بريمر رئيس سلطة التحالف المؤقتة وهي هيئة الاحتلال التي تديرها الولايات المتحدة، قراره الأول "اجتثاث البعث في المجتمع العراقي" وقد جادله بشدة رئيس محطة السي آي إي في بغداد ضد هذه الحركة الراديكالية مستنتجا أنه "عند حلول الليل سوف تدفع

ب ٣٠ ألفاً إلى ٥٠ ألفاً بعثي للعمل تحت الأرض وفي ستة شهور سوف تندم على هذا القرار".

وقد ثبت أن كلامه كان صحيحاً وقد عمل قرار بريمر هذا وقراره الثاني بحل الجيش والشرطة العراقيين إلى خلق طبقة جديدة من قادة التمر..

وقد سرع تأثير هذا القرار اختلاط الجيش الأمريكي مع السكان المدنيين، فاستناداً إلى الخبرة في البوسنة وكوسوفو، اعتقد الجيش أنه يستطيع أن "يهيمن" بإظهار وجوده - أي يبين الجنود للعراقيين أنهم موجودون بالقيام بدوريات في المنطقة.

يقول أحد جنرالات الجيش: "نفذنا عادة اكتسبناها من البلقان" وفي البوسنة كانت الدوريات كثيفة حتى أن الضباط كانوا يسمونها اختصاراً (DAB) أي Driving around bosnia التجول بالمركبة حول البوسنة.

والتعبير العسكري لهذا هو (البساطيل على الأرض) أو بشكل رسمي (مهمة التواجد). ولم يكن هناك أساس رسمي لهذا في الكتيبات أو التدريبات العسكرية التي تهيء الجيش لعملياته ولكن الفكرة تسللت إلى مرادفات الضباط الكبار.

مثلاً، في إيجاز لكتيبة الهندسة في الفرقة الأولى المسحلة نص على أن أحد مهامهم الرئيسية ستكون (دوريات تواجده) وأمر قائد الفرقة في حينه

الميجور جنرال ريكاردو سانشيز أحد قواد الكتيبة "أغرق منطقتك، اذهب إلى هناك وفكر بما عليك أن تفعله"، وكان جالسا في خيمة القيادة المترية خارج قصر في المنطقة الخضراء في آيار ٢٠٠٣ وأضاف: "مهمتك ضمان الإحساس بحضور الجندي الأمريكي وليس المرور السريع للأمريكان".

خطأ هذه المقاربة كما لاحظ فيما بعد اللفتنانت كولونيل كريستوفر هولشيك وهو ضابط الشؤون المدنية أنه بعد أن تغير الرأي العراقي العام ضد الأمريكان وبدأوا يرونهم كمحتلين "أصبح عندئذ تواجد القوات.. عكسي التأثير".

كانت الحملة الأمريكية في العراق تتكون من وحدات قتالية نظامية بدلا من أن تكون وحدات قوات خاصة اصغر واقل ظهورا. وفي عام ٢٠٠٣ فعل معظم القادة التقليديين ما يعرفون عمله: إرسال أعداد كبيرة من القوات والمركبات في مهمات قتالية تقليدية.

نادرا ما كان الجنود الأمريكيان يفهمون أهمية الكرامة العراقية وقد أغفل هذا الجيش الغربي تأثير إهانة الرجال العراقيين. كانت الدوريات على الأرجل في بغداد تلاقأحيانا تحيات مقتضبة ومتجهمه من العجائز وهتاف من الأطفال، ولكن مع نظرات حاقدة من عيون الشباب العراقي.

ومما عقّد الجهد الأمريكي كان عدم إقرار المسؤولين الكبار بما يحدث في العراق. في أول الأمر كان وزير الدفاع دونالد رامسفيلد صارفا

النظر عن النهب الذي أعقب دخول القوات الأمريكية ثم لعدة أشهر رفض أن يقر بأن تمردا قد اندلع. وقد ضغط عليه أحد الصحفيين في أحد أيام ذلك الصيف سائل إياه: ألستم تواجهون حرب عصابات؟

رد رامسفيلد: "أعتقد أن السبب أنني لا أستخدم مصطلح "حرب عصابات" إنه ليس هناك مثل هذه الحرب"، بعد عدة أسابيع خلف الجنرال جون أبي زيد الجنرال تومي فرانكس كقائد عسكري أمريكي أعلى في الشرق الأوسط. وقد استخدم أول مؤتمر صحفي له كقائد لتوضيح الارتباك الاستراتيجي حول ما يحدث في العراق. قال: "أعداء الوجود الأمريكي يديرون حملة شبيهة بحرب العصابات الكلاسيكية أنها حرب مهما كان وصفك لها".

في ذلك الحريف أصبحت تكتيكات القوات الأمريكية أكثر عدوانية. وكان هذا طبيعيا أو حتى معقولا كرد فعل للهجمات المتزايدة ضد القوات الأمريكية وسلسلة الهجمات الانتحارية. ولكن يبدو أنها قوضت استراتيجية الحكومة الأمريكية طويلة المدى.

يقول كولونيل الجيش المتقاعد روبرت كيلبرو وهو محارب قديم من القوات الخاصة في حرب الفيتنام: "حين تواجه حرب عصابات إذا كانت استراتيجية صحيحة ولكن التكتيكات خاطئة فيمكنك تصحيحها. أما إذا

كانت الاستراتيجية خاطئة والتكتيكات صحيحة في البداية فمهما صححت من التكتيكات، سوف تخسر الحرب. هذا هو ما فعلناه في فيتنام".

وهذا ما فعله الأمريكان أيضا في العراق في خلال أول عشرين شهرا أو أكثر من الاحتلال.

ويقول ضابط كبير في القوات الخاصة أحد الأيام في بغداد حين ازداد العنف: "ماتراه هنا هو حرب غير تقليدية نقاتل فيها بشكل تقليدي". ويضيف أن التكتيكات التي يستخدمها الجنود ساهمت أحيانا في إحباط الأهداف الأمريكية.

أفكار متشددة للاستجواب

في صباح ١٤ آب/ أغسطس ٢٠٠٣ أرسل الكابتن وليام بونس وهو ضابط في "خلية تنسيق الاستخبارات البشرية" في مقر القيادة الأمريكية في العراق مذكرة إلى قيادات تابعة يسألهم عن أساليب الاستجواب التي يقترحون استخدامها.

قال لهم: "لقد انتزعنا القفزات (٢) فيما يخص هؤلاء المحتجزين" وكانت رسالته وردود الأفعال التي أثارته من أعضاء مجتمع الاستخبارات العسكرية في أنحاء العراق خير دليل على عقلية الجيش الأمريكي خلال هذه الفترة.

كتب بونس "أن ضحايانا يتراكمون ونحتاج إلى بدء جمع معلومات للمساعدة في حماية رفاقنا الجنود من أية هجمات أخرى. قدموا لنا (قائمة التمنيات) لأساليب الاستجواب بحلول ١٧ آب ٢٠٠٣".

بعض الاستجابات كانت حماسية. فبعد ١٤ ساعة فقط أوصى جندي في فوج الفرسان الثالث المدرع وبدقة فائقة أن يستخدم المستجوبون "لطمات على الوجه براحة اليد من مسافة لا تزيد على قدمين ولطمات بظهر الكف على البطن من مسافة حوالي ١٨ انج"، وقال أيضا: "يبدو أن الخوف من الكلاب والأفاعي يعمل بشكل جيد".

وبعد ثلاثة أيام أجابت عمليات الاستخبارات في فرقة المشاة الرابعة باقتراح أن يُضرب المعتقلون بقبضات مضمومة وأيضا تعريضهم إلى "كهربة منخفضة الفولتية".

ولكن لم يكن الجميع في تفاؤل هاتين الوحدتين فقد حذر ميجور من كتيبة الاستخبارات العسكرية ٥٠١ التي ساندت عمليات الفرقة الأولى المدرعة في العراق "نحتاج إلى أن نأخذ نفسا عميقا ونتذكر من نحن. أن هذا يمس معايير الخطأ والصواب وهي شيء لا يمكن أن نغفله حين لا يناسبنا الأمر مثل أن نعلن أننا "لن نأخذ أي سجناء".

ولهذا يجب إطلاق النار على من يستسلم لنا ببساطة، لأنه لا يناسبنا أن نأخذ سجناء.

وكان تلقيم النظام الاستجوابي مهمة رئيسية ضغط بها القادة الأمريكيان من أجل الإحاطة بالعراقيين. وكان مفتاح العمل الاستخباراتي بالنسبة لكثيرين هو القيام بحملات اعتقال كبيرة واستجواب العراقيين. وأحيانا كانت الوحدات تتصرف بناء على بلاغات، ولكنهم كانوا يقومون أحيانا باعتقال كل الذكور القادرين جسديا وفي عمر القتال في مناطق يعرف عنها العداء للأمريكان.

كانت هذه الخطوات تعتبر داخل الجيش علامات على النجاح الكبير. وكانوا يصورونها هكذا للصحفيين. المشكلة كانت أن الجيش الأمريكي الذي تدرب على أن يعمل في بيئة صديقة نوعا ما (لأنهم أعتقدوا أن العراقيين سيرحبون بهم)، لم يكن مدربا على القيام بجهد هائل يستدعي مطاردة واعتقال واستجواب العراقيين ثم لتحليل المعلومات المنتزعة ثم التصرف بموجبها.

في تقرير عسكري رسمي بعد سنة من ذلك كتب اللفتنانت جنرال انطوني جونز: "فيما كان القادة من كل المستويات يسعون للحصول على الاستخبارات العملية أصبح من الواضح أن الهيكل الاستخباراتي كان ينقصه العاملون والأدوات والتنظيم الصحيح لعمليات مكافحة التمرد".

وقد قدر كبار ضباط الاستخبارات الأمريكية في العراق فيما بعد أنه حوالي ٨٥ ٪ من عشرات الألوف من المعتقلين كانوا بلا قيمة استخباراتية،

ولكن بما أنهم سلموا إلى سجن أبو غريب فقد غص السجن بهم وكان عليهم أن ينتظروا أسابيع من أجل استجوابهم وخلال هذا الوقت كان من الممكن تجنيدهم من قبل المتمردين المتشددين الذين لم يحتجزوا في معزل عن السجناء الآخرين.

وفي محاولة ابتكار وتطوير رد الفعل على عمليات التمرد، بذلت القوات الأمريكية جهدها وحققت بعض النجاح، ولكن كان غالباً يقود القوات قادة لم تعد لهم لمهامهم مؤسسة لم تأخذ من حرب فيتنام إلا درس عدم التورط في حرب عصابات لئلا تقع في كثير من الفوضى. وقد أهملت نصائح أولئك الذين درسوا التجربة الأمريكية هناك.

في ذلك الصيف، أرسل البنتاغون إلى بغداد كولونيل المارينز غاري اندرسون وهو خبير في الحروب الصغيرة من أجل تقديم النصيحة في كيفية القضاء على التمرد المتنامي، التقى بريمر في بداية تموز وقال له:

"سيدي السفير هذه بعض برامج نفعت في فيتنام!"

وكانت الكلمة الخطأ التي تنطق بحضرة بريمر الذين انفجر صائحا "فيتنام؟ فيتنام! لا أريد الكلام عن فيتنام. هذه ليست فيتنام. هذه العراق".

وكانت هذه إحدى الإشارات الأولية لرفض المسؤولين الأميركيين التعلم من الماضي في الوقت الذي يحاولون فيه إدارة العراق.

أحد أهم كتيبات مكافحة التمرد ألفه في ١٩٦٤ ديفد غالولا وهو ضابط فرنسي، ولد في تونس، وشهد حرب العصابات في ثلاث قارات وتوفي في ١٩٦٧.

حين ذهبت الولايات المتحدة إلى العراق لم يكن كتابه (حرب مكافحة التمرد: النظرية والتطبيق) معروفا داخل الجيش حتى أنه يمكنك أن تفتح نص غالولا عشوائيا على أية صفحة لتجد مبادئ مكافحة التمرد التي فشل الأمريكان في اتباعها.

حذر غالولا بشكل خاص ضد العمليات التقليدية واسعة النطاق التي شنتها الولايات المتحدة بألوية وكتائب حتى لو كانت تحمل إغراء الحصول على مكاسب معلوماتية سريعة.

لقد أصر على أن القوة النارية يجب النظر إليها بشكل مختلف عن الحرب الاعتيادية.

كتب يقول: "في الحرب الاعتيادية إذا أطلقت النار على جندي ولم يرد عليها بكل سلاح متاح لديه سيكون مذنبا بإهمال واجبه. العكس في حالة مكافحة حرب العصابات، حيث القاعدة هي استخدام أقل كمية من النيران".

الجيش الأمريكي اتخذ مقاربة مختلفة في العراق. فقد استخدم قوة نارية هائلة خلال المواجهات في خريف ٢٠٠٣ وفي معركتي الفلوجة في السنة التالية.

وأحد أسباب هذه المقاربة هو الاستراتيجية المرتبكة للقادة الأمريكيين في العراق. وقد ذعر ضباط الشؤون المدنية حين وجدوا أن القادة العسكريين يميلون إلى أن يروا الشعب العراقي مثل ملعب كبير يجري عليه مسابقة ضد المتمردين. من وجهة نظر غالولا أن الشعب هو الجائزة.

يقول غالولا: "السكان يصبحون هدف مكافحة التمرد كأنهم العدو".

ومن هذه الملاحظة تندفق طريقة مختلفة تماماً للتعامل مع المدنيين في وسط حرب عصابات. "طالما أن استعداد السكان لن يفيد. فمن الضروري أن تقلل المشقة في حياة السكان، وكذلك الإجراءات المتسارعة من جانب القوات".

وقد أعاق جهل الأمريكيين بقواعد حرب مكافحة التمرد الجيش الأمريكي خلال ٢٠٠٣ وجزء من عام ٢٠٠٤ ومع سياسة أفراد أدت إلى سحب كل القوات المدربة في بداية ٢٠٠٤ واستبدالها بقوات جديدة لم يكن مفاجئاً أن الجهد الأمريكي كان يشبه جهد سيزيف الملك في الأسطورة الإغريقية الذي حكم عليه إلى الأبد أن يدحرج صخرة إلى أعلى التل وحين يكاد يصل تنحدر إلى السفح مرة أخرى.

مرة بعد أخرى في ٢٠٠٣ و ٢٠٠٤ و ٢٠٠٥ و ٢٠٠٦ شنت القوات الأمريكية عمليات جديدة لتأكيد وإعادة تأكيد السيطرة على الفلوجة والرمادي وسامراء والموصل، ويعلق اللفتنانت كولونيل ماثيو موتين رئيس التاريخ العسكري في ويست بوينت، في ٢٠٠٤ "يجمع الباحثون على أن القوات التقليدية غالبا تخسر الحروب غير التقليدية، لأنها تفتقر إلى استيعاب مفهوم الحرب التي يخوضونها".

حين درس الميجور جريجوري بيترسون لبضع أشهر فيما بعد في كلية فورت ليفنوورث للدراسات العسكرية المتقدمة وهي كلية للصفوة تدرب المخططين العسكريين والستراتيجيين، وجد أن التجربة الأمريكية في العراق في ٢٠٠٣-٢٠٠٤ متماثلة مع الحرب الفرنسية في الجزائر في الخمسينات من القرن العشرين. كلاهما اشتملت على قوى غريبة تحاول الهيمنة على دول عربية وكلا القوتين جابهتا متمردين يناهضون تلك الهيمنة وكلا الحربين كانتا مثار جدل في الوطن (فرنسا وأمريكا).

أهم ما خرج به تحليل بترسون، هو أن كلا الجيشين الفرنسي والأمريكي لم يكونا مستعدين للمهمة التي هما بصددتها ويختتم قائلاً: "حاليا الجيش الأمريكي لا يملك عقيدة صحيحة لمكافحة التمرد يفهمها كل الجنود أو تدرس في كليات الخدمة العسكرية".

كيسي ينفذ تكتيكا جديدا

في منتصف ٢٠٠٤ خلف الجنرال جورج كيسي الجنرال سانشير للقيادة الأمريكية في العراق. أحد مستشاري كيسي وهو كالف سيب لاحظ في دراسة اجراها في ذلك الخريف أن الجهد الأمريكي في العراق كان قد انتهك الكثير من مبادئ مكافحة التمرد مثل التأكيد على قتل المتمردين بدلا من الاشتباك مع السكان.

بعد سنة ولشعوره بالإحباط من فشل الجيش في تغيير تدريبه لحرب العراق، أقام كيسي أكاديمية خاصة به في معسكر التاجي بالعراق من أجل تعليم مبادئ مكافحة التمرد للضباط الأمريكيان فور وصولهم إلى البلاد. وجعل الالتحاق بالدورة شرطا لقيادة وحدة في العراق.

يقول ضابط الاحتياط اللفتنانت كولونيل جو رايس في بداية ٢٠٠٦ "لقد بدأنا نقوم بالشيء الصحيح ولكن مانفعله قليل جدا وبعد فوات الآوان".

واحد من القادة القلائل الناجحين في العراق في السنة الأولى من الاحتلال كان اللفتنانت جنرال ديفد بترايوس، وقد جعل من دراسة مكافحة التمرد شرطا في كلية القيادة ورئاسة الأركان في فورت ليفنيوورث حيث يتدرب الضباط.

وفي السنة الدراسية التي انتهت في الشهر الماضي تخصص ٣١ من ٧٨ طالبا في كلية الدراسات العسكرية المتقدمة لعمليات مكافحة التمرد أو الاستقرار مقارنة باثنين فقط قبل سنتين. وكان كتيب غالولا "حرب مكافحة التمرد: النظرية والتطبيق" أكثر الكتب مبيعا في مكتبة ليفنوورث.

الهوامش

- ١- نختلف في اعتباره هذا الحادث هو انطلاق المقاومة والواقع أنها انطلقت من أول الغزو.
- ٢- نزع القفازات: انتهى وقت التعامل بلطف.

المقالة الأصلية في موقع واشنطن بوست وهي جزء من كتاب للمؤلف توماس ركس بعنوان "فشل المغامرة الأمريكية في العراق" من دار بنجوين.

- توماس ركس - مراسل واشنطن بوست في وزارة الدفاع وشؤون الجيش، وحائز على جائزة بولتزروي حاضري الكليات العسكرية وعضو المجلس الاستشاري الاعلى في جامعة هارفارد لمشروع العلاقات المدنية العسكرية الامريكية . وهو مؤلف عدة كتب رائجة.

القرن الأمريكي الجديد

أرونداتي روي

في كانون الثاني / يناير ٢٠٠٣ تجمع الألو ف من من أنحاء العالم في بورتو اليجر في البرازيل، وأعلننا أن (عالما آخر ممكنا) وعلى بعد آلاف الأميال، في واشنطن، كان جورج بوش ومساعدوه يفكرون في الشيء ذاته.

كان موضوعنا (المنتدى الاجتماعي العالمي)، وكان موضوعهم توسيع ما يسميه الكثيرون مشروع القرن الأمريكي الجديد.

في المدن العظيمة في أوروبا وأمريكا، حيث كان مثل هذه الأشياء لا تقال - قبل بضع سنوات - إلا همسا، والآن يتحدث الناس علنا حول الجوانب الحسنة من الإمبريالية والحاجة إلى إمبراطورية قوية لتحقيق الأمن في العالم الفوضوي.

والمبشرون الجدد يريدون النظام على حساب العدالة. والانضباط على حساب الكرامة. والهيمنة بأي ثمن. وبين حين وآخر يدعى بعضنا لـ(مناقشة) القضية على منابر (حيادية)تقدمها الشركات المحتركة للإعلام. أن مناقشة الإمبريالية تشبه إلى حد ما مناقشة حسنات ومساوئ الاغتصاب .

وفي كل الأحوال فإن الإمبريالية الجديدة تجثم علينا، وهي نسخة معدلة مما عرفناه سابقا. ولأول مرة في التاريخ، يكون لإمبراطورية منفردة تملك ترسانة أسلحة يمكن أن تمحو العالم في ساعات، هيمنة كاملة أحادية القطبية اقتصادية وعسكرية. وهي تستخدم أسلحة مختلفة من أجل فتح أسواق مختلفة. وليس هناك بلاد في أرض الله الواسعة لم تطالها صواريخ كروز الأمريكية أودفتر صكوك صندوق النقد الدولي. خذ الأرجنتين مثالا، إذا أردت أن تكون مندوب إعلانات رأسمالية للبرالية الجديدة، أما إذا كنت البطة السوداء فالعراق هو النموذج. والدول الفقيرة التي لها أهمية استراتيجية جيوبولتيكية أو لديها (سوقا) من أي حجم أو بنى تحتية صالح للخصخصة أو لاسمح الله موارد طبيعية لها قيمة مثل النفط أو الذهب أو الألماس أو الكوبالت أو الفحم، يجب أن تفعل مايراد منها وألا تكون أهدافا عسكرية.

وكلما ازدادت احتياطات الثروة الطبيعية لدولة من هذه الدول زاد تعرضها للخطر. ومالم تسلم كل مواردها طواعية لماكنة الشركات، فسوف تطبخ لها قلاقل مدنية أو تشن حرب عليها.

في هذا العصر الجديد للإمبراطورية حيث لاشيء يبدو كما هو حقيقة، يسمح لرؤساء الشركات بالتأثير على قرارات السياسة الخارجية. وقد وجد مركز المصادقية الحكومية في واشنطن أن ٩ على الأقل من الأعضاء الثلاثين في هيئة سياسة الدفاع التابعة لإدارة بوش لهم صلات وثيقة بالشركات التي منحت عقودا عسكرية بمبلغ ٧٦ بليون دولار بين عامي ٢٠٠١ و ٢٠٠٢. فجورج شولتز وزير الخارجية السابق كان رئيس مجلس إدارة لجنة تحرير العراق. وهو أيضا عضو مجلس إدارة مجموعة بكتيل. وعندما سئل عن صراع المصالح في قضية حرب العراق قال (لا أعرف إن كانت بكتيل سوف تستفيد من الحرب. ولكن لو كان هناك عمل يجب أن ينجز فشركة بكتيل هي القادرة على ذلك، ولكن لا أحد ينظر إلى هذا الأمر بعين الفائدة)، وفي نيسان / أبريل ٢٠٠٣ وقعت بكتيل عقدا بمبلغ ٦٨٠ مليون دولار لإعادة الإعمار.

وقد استخدمت هذه الطبعة الزرقاء من الخطة مرات ومرات في أنحاء أمريكا اللاتينية وفي أفريقيا ووسط وجنوب شرق آسيا. وتسببت في فقدان ملايين الأرواح. ولسنا في حاجة للتأكيد على أنه في كل مرة تشن الإمبراطورية حربها تسميها (حربا عادلة).

وهذا في جانب كبير منه، يعود إلى دور شركات الإعلام الاحتكارية. ومن المهم أن نفهم أن الإعلام الاحتكاري هذا ليس مجرد داعم لمشروع

الليبرالية الجديدة، أنه هو مشروع الليبرالية الجديد. وهذا ليس موقفا شكليا وإنما هيكليا وجوهريا.

وبما أن أغلب الأمم لديها أسرار داخلية شنيعة. هذا ليس من الضروري أن تكذب وسائل الإعلام دائما. إنه أمر يتعلق بتحرير المادة: ماذا تهمل وماذا تؤكد. لناخذ مثلا الهند لو أصبحت هدفا لحرب (مبررة أخلاقيا). هناك حقيقة أن ٨٠٠٠٠ من شعبها قد قتل في كشمير منذ ١٩٨٩ وأغلبهم من المسلمين على أيدي قوات الأمن الهندية (مما يجعل المعدل السنوي ٦٠٠٠ قتيل كما هناك حقيقة أنه في شباط/فبراير ومارس ٢٠٠٢ ذبح أكثر من ٢٠٠٠ مسلم في شوارع كوجرات، واغتصبت نساؤهم جماعيا وأحرق أطفالهم أحياء وشرد ١٥٠٠٠٠ من بيوتهم على مرأى من الشرطة والإدارة التي كانت تشارك بهمة ونشاط احيانا، وحقيقة أنه لم تتم معاقبة أي شخص على هذه الجرائم، وأن الحكومة التي حدث ذلك في عهدا أعيد انتخابها. كل ذلك قد يصنع عناوين عريضة في صحف دولية أثناء التحضير للحرب.

والشيء التالي الذي سنشهده هو تسوية مدننا بالأرض بواسطة صواريخ كروز وتعزل قرانا بالأسوار الشائكة، وتجوب شوارعنا دوريات أمريكية، وسيعتقل قادتنا مثل راريندرا مودي وبرافين توجوديا ويعرضون على شاشات التلفزيون كما فعلوا بصدام حسين.

ولكن طالما (أسواقنا) مفتوحة وطالما أطلقت أيدي شركات مثل اينرون وبكتل وهاليرتون وارثور اندرسون، لانتزاع مرافق البنى التحتية ووظائفنا. فيمكن لزعمائنا (المنتخبين ديمقراطيا) أن يمحوا بدون خوف الخط الفاصل بين الديمقراطية والفاشية.

إن رغبة حكومتنا المحمومة للانسلاخ من تراث (عدم الانحياز) الذي نعز به، واندفاعها لتكون على رأس طابور الانحياز الكلي (أحدث تسمية شائعة حاليا هي: الحليف الطبيعي- فالهند وإسرائيل والولايات المتحدة حلفاء طبيعيين) كل ذلك سمح لحكومتنا أن تتحول إلى نظام استبدادي.

إن ضحايا الحكومة هم ليسوا من تقتلهم أو تعتقلهم. يجب أن نضم إلى هؤلاء، أولئك المشردين والمسلوبين والمحكومين مدى الحياة بالجوع والحرمان. لقد ساهمت مشاريع (التنمية) بانتزاع ما يملكه ملايين من البشر. في السنوات الخمسة والخمسين الماضية، شردت السدود والضخمة وحدها بين ٣٣ مليونا و ٥٥ مليونا في الهند. وفي السنتين الأخيرتين كانت هناك سلسلة من الحوادث فتحت فيها الشرطة النار على متظاهرين سلميين أغلبهم من طبقة ايدفاسي وداليت. وعندما يمس الأمر الفقراء خاصة من مجتمعات الداليت واديفاسي فإنهم يقتلون إذا تعدوا على أراضي الغابات ويقتلون إذا دافعوا عن الغابات من تعدي السدود والمصارف والمصانع ومشاريع (التنمية) الأخرى. وفي كل مرة تفتح فيها الشرطة النار، كانت

استراتيجية الحكومة أن تقول إن إطلاق النار كان رداً على أعمال عنف. ويسمى الذين يقتلون بأنهم مقاتلون.

وفي أرجاء البلاد، تم اعتقال ألوف الأبرياء بضمنهم قاصرون بموجب قانون منع الإرهاب لمدد طويلة بدون محاكمة. وفي عهد الحرب على الإرهاب، يقرن الفقر بالإرهاب. والآن تقول المحكمة العليا في الهند إن الإضراب جريمة. ونقد المحكمة أيضاً جريمة طبعاً، أنهم يسدون جميع المنافذ.

مثل الإمبريالية القديمة، تعتمد الإمبريالية الجديدة في نجاحها على شبكة عملاء - الصفوة الفاسدة المحلية الذين يخدمون الإمبراطورية. وكلنا نعرف حكاية اينرون في الهند. كانت حكومة مهاراشترا السابقة قد وقعت عقداً من انرون لشراء الطاقة الكهربائية، وكان العقد يعطي انرون أرباحاً تصل إلى ٦٠% من ميزانية التنمية الزراعية كلها في الهند. مما يعني شركة أمريكية واحدة تضمن أرباحاً تساوي ميزانية تنمية البيئة التحتية لحوالي ٥٠٠ مليون إنسان!

وعلى عكس الأيام الماضية، لا تحتاج الإمبريالية الجديدة إلى التغلغل في الأحراش الاستوائية مجازفة بحياة جنودها بالإصابة بالمalaria والإسهال وألالموت المبكر. يمكن إدارة الإمبريالية الجديدة من خلال البريد

الإلكتروني. إن شكل العنصرية البغيضة في الإمبريالية القديمة قد مضى زمانها، وحجر الزاوية في الإمبريالية الجديدة هو العنصرية الجديدة.

إن أفضل رمز للعنصرية الجديدة هو تقليد (غفران الديك الرومي) في الولايات المتحدة. كل عام منذ ١٩٤٧ يقدم اتحاد الديك الرومي الوطني ديكا روميا لرئيس الولايات المتحدة هدية في (عيد الشكر). وفي كل عام وبشهادة استعراضية، يبقى الرئيس على حياة ذلك الديك (ويأكل واحدا آخر). وبعد أن يحظى الديك بالغفران الرئاسي يرسل إلى حديقة الحيوان في فرجينيا ليعيش حياة طبيعية. أما بقية الخمسين مليون ديكا روميا فإنهم يذبحون ويلتهمون في يوم عيد الشكر. وتقول شركة كوناغرا للأغذية التي حصلت على عقد الديك الرئاسي: إنها تدرب الطيور المحظوظة لتكون اجتماعية وحسنة السلوك مع كبار القوم وأطفال المدارس والصحافة (غير بعيد أن يتعلموا الإنجليزية أيضا!).

هكذا تعمل العنصرية الجديدة في عهد الشركات هذا. ديوك رومي محظوظة - وهم الصفوة المحلية للدول المختلفة، مجتمع المهاجرين الأثرياء، المصرفيين الاستثماريين، أحيانا أشخاص مثل كولن باول وكوندليزا رايس، بعض المغنين، بعض الكتاب (مثلي) يمنحون الغفران وميزة الحياة في حديقة الحيوانات، أما بقية الملايين فإنهم يفقدون وظائفهم ويطردون من منازلهم وتقطع عنهم الكهرباء والماء ويموتون بمرض الإيدز. إنهم أساسا

مهيؤون للطبخ. ولكن الطيور المحظوظة تعيش في حديقة الحيوان على مايرام. بعضهم يعمل في صندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية - فمن يستطيع أن يتهم هذه المنظمات بأنها ضد الديكة الرومية؟ بعضهم يخدم كأعضاء في مجلس إدارة لجنة اختيار الديك الرومي - فمن يستطيع أن يقول أن الديكة الرومية ضد عيد الشكر؟ أنهم يشاركون فيها! من يستطيع أن يقول إن الفقراء ضد العولمة؟ القطيع يتسابق للوصول إلى حديقة الحيوانات فماذا إذا نفق البعض في الطريق إليها؟

وكجزء من مشروع العنصرية الجديدة لدينا أيضا الإبادة الجديدة. إن الإبادة الجديدة في عصر الاعتماد الاقتصادي هذا يمكن تنفيذها بواسطة العقوبات الاقتصادية. والإبادة الجديدة تعني خلق ظروف تؤدي إلى موت جماعي وأنت جالس في مكانك. وقد استخدم دنيس هاليداي (منسق الأمم المتحدة الإنساني في العراق بين ١٩٩٧ و ١٩٩٨) (بعدها استقال احتجاجا) استخدم المصطلح (جينوسايد- إبادة) لوصف العقوبات على العراق التي حصدت أكثر حياة نصف مليون طفل .

في العصر الجديد، تصبح سياسة الابارتهايد (العزل العنصري) غير ضرورية. فإن أدوات التجارة والمال الدوليين يتكفلان بنظام معقد من قوانين التجارة متعددة الجنسيات والاتفاقيات المالية التي تحاصر الفقراء في مواطنهم. وهدف هذه القوانين والاتفاقيات هو تأسيس أو تشريع اللامساواة.

وإذا لم يكن الأمر كذلك، لماذا إذن تفرض الولايات المتحدة ضرائب على قطعة ملابس مصنوعة في بنغلاديش عشر أضعاف ماتفرضه على القطعة المماثلة المصنوعة في بريطانيا؟ ولماذا تفرض ضرائب مهولة على الدول التي تنتج حبوب الكاكاو مثل ساحل العاج وغانا وتحاول تحويلها إلى شيكولاتة، فتضطرها على الخروج من السوق؟ لماذا لا تنتج الدول التي تزرع ٩٠% من حبوب الكاكاو سوى ٥% من شيكولاتة العالم؟ ولماذا إذن تنفق الدول الغنية بليون دولار يوميا كإعانة مالية لمزارعيها، في الوقت الذي تطالب به الدول الفقيرة مثل الهند أن تسحب كل الإعانات الزراعية، بضمنها الكهرباء المدعمة؟ لماذا إذن بعد أن قامت الدول المستعمرة بنهب مستعمراتها لأكثر من نصف قرن، تصبح المستعمرات مدينة لنفس تلك الأنظمة ويجب عليها أن تسدد لها أكثر من ٣٨٢ بليون في العام؟

لكل تلك الأسباب كان مهما بالنسبة لنا في كانبون أن نفسد اتفاقيات التجارة. ورغم أن حكوماتنا ادعت الفضل في ذلك، ولكننا نعرف أن ذلك كان نتيجة سنوات من الصراع الذي شارك فيه ملايين الناس في أقطار كثيرة كثيرة. أن الدرس الذي تعلمناه في كانبون هو أنه من أجل إلحاق ضرر حقيقي وجسيم ومن أجل الدفع باتجاه تغيير جذري فمن الضروري أن تتحالف الحركات المقاومة المحلية مع الاتحادات والمنظمات العالمية. من كانبون تعلمنا أهمية عولمة المقاومة.

لا يستطيع أي شعب أن يجابه بمفرده مشروع العولمة الاقتصادية. وفي كل مرة شاهدنا أنه حين يتعلق الأمر بمشروع الليبرالية الجديدة، يختفي أبطالنا فجأة. أولئك الرجال الأبطال، عمالقة المعارضة، عندما يستولون على السلطة ويصبحون الحكام الجدد، تجدهم بلا حول أو قوة على المسرح الكوني. أفكر الآن بالرئيس لولا في البرازيل. لولا كان بطل المنتدى الاجتماعي العالمي في العام الماضي. وفي هذا العام وجدناه مشغولا بتنفيذ أوامر صندوق النقد الدولي، بتقليل منافع التقاعد واجتثاث الراديكاليين من حزب العمال. وأفكر أيضا برئيس جنوب أفريقيا السابق نيلسون مانديلا، ففي خلال سنتين من توليه المنصب في ١٩٩٤ سجدت حكومته خاشعة في معبد السوق. وقد شرعت برنامجا واسعا للخصخصة والتعديل الهيكلي الذي خلف ملايين من المشردين والعاطلين والمحرومين من الماء والكهرباء.

لماذا يحدث ذلك؟ لا طائل من لطم صدورنا أو الإحساس بالخيانة. أن لولا ومانديلا هما رجلان رائعان بكل المقاييس، ولكن في اللحظة التي يعبران فيها الطريق من المعارضة إلى الحكومة يصبحان رهائن طيف من التهديدات - الأكثر شناعة بين هذه التهديدات هو خطر هروب رأس المال، الذي يمكن أن يدمر أي حكومة بين ليلة وضحاها. وإذا تصورت أن الجاذبية الشخصية والتاريخ النضالي قد يوقف عجلة كارتيال الشركات، فليس لديك فكرة عن الرأسمالية أو كيف تعمل السلطة. أن التغيير الجذري لا يمكن أن تفاوض عليه مع الحكومات، وإنما يفرضه الشعب فرضا.

في المنتدى الاجتماعي العالمي تتجمع بعض أفضل العقول في العالم لتبادل الرأي حول ما يحدث حولنا ومن شأن هذه الحوارات أن تنضج رؤيتنا عن العالم الذي ننشده والذي نناضل من أجله. وهذا شيء مهم يجب إلا نقلل من شأنه. على أية حال، إذا كانت كل طاقاتنا موجهة إلى هذه العملية على حساب الفعل السياسي الحقيقي فإن المنتدى الاجتماعي العالمي الذي لعب دورا مهما في الحركة المطالبة بالعدالة الكونية، يصبح في خطر أن يتحول إلى رصيد لأعدائنا. مانحتاج مناقشته بشكل عاجل هو استراتيجية المقاومة. نحتاج إلى استهداف أهداف حقيقية، نشن معارك حقيقية ونسبب أضرارا حقيقية. أن مسيرة الملح التي قادها غاندي لم تكن مسرحية سياسية. فعندما سار الوف الهنود، في عمل مقاوم بسيط، إلى البحر واستخرجوا ملحهم الخاص، كسروا بذلك قوانين ضريبة الملح. كان إضرابا مباشرا على الهيمنة الاقتصادية للإمبراطورية البريطانية. كان شيئا حقيقيا. وبينما كسبت حركتنا بعض الانتصارات المهمة، يجب إلا ندع المقاومة السلمية تضمحل في مسرحيات سياسية غير فاعلة سوى أنها تشعرنا بالرضا عن النفس. أن المقاومة السلمية سلاح يجب أن نسنه دائما ولايمكن أن نسمح له بأن يتحول إلى مجرد مشهد للتصوير الاعلامي.

كان شيئا رائعا ماحدث يوم ١٥ شباط/ فبراير من العام الماضي في مشهد يدل على إنسانية وأخلاق البشر، أن يخرج ١٠ ملايين منهم في خمس قارات ضد الحرب على العراق. كان شيئا رائعا ولكنه لم يكن كافيا.

كان يوم ١٥ شباط/فبراير يوم عطلة. لم يجازف أحد بتفويت يوم عمل. أن احتجاجات العطلات لا توقف الحروب. وجورج بوش يعرف ذلك. أن الثقة التي طوح بها برأي الجماهير يجب أن يكون درسا لنا كلنا. بوش يؤمن بأن العراق يمكن احتلاله واستعماراه مثل أفغانستان والتبت ومايحدث في الشيشان وكما كانت تيمور الشرقية ومايحدث في فلسطين. أنه يعتقد أن كل مايجب عليه أن يفعله هو أن ينحني وينتظر حتى تمر العاصفة التي سببها الإعلام الذي توغل في هذه المسألة حتى العظم وبعد ذلك سيتركها إلى مسألة أخرى. وجميع الجماهير الغاضبة سوف تفقد الاهتمام بمرور الوقت. أو هذا ما يأمله.

إن حركتنا تحتاج إلى نصر كوني كبير. ليس كافيا أن نكون على حق. أحيانا وحتى من أجل اختبار عزمنا، من المهم أن نكسب شيئا ومن أجل أن نكسب شيئا يجب أن نتفق أولا على هذا الشيء الذي ليس من الضروري أن يكون أيديولوجية جامدة نحشر أنفسنا فيها، ولا التزاما بشكل أو آخر من أشكال المقاومة مع إقصاء ماعداه. هذا الشيء يمكن أن يكون جدول أعمال صغير.

إذا كان جميعنا حقا ضد الإمبريالية وضد مشروع الليبرالية الجديدة، إذن دعونا نوجه أنظارنا إلى العراق. إن العراق هو ذروة الاثنين. لقد تراجع الكثير من الناشطين المناهضين للحرب بارتباك بعد اعتقال صدام حسين. وهم يتسائلون: أليس العالم أفضل بدون صدام حسين؟

دعونا إذن نواجه هذه المسألة مرة واحدة وإلى الأبد. إن الترحيب باعتقال الجيش الأمريكي لصدام حسين تبرير لغزو واحتلال العراق.

إذن إذا كنا ضد الإمبريالية، هل نتفق على أننا ضد الاحتلال الأمريكي وأن على الولايات المتحدة أن تنسحب من العراق وتدفع تعويضات للشعب العراقي للإضرار التي سببتها له الحرب؟

كيف نبدأ مقاومتنا؟ دعونا نبدأ بشيء صغير فعلا. أن المسألة ليست في دعم المقاومة في العراق ضد الاحتلال ومناقشة من يشكل المقاومة (البعثيون أم الإسلاميون المتطرفون؟) علينا نحن أن نكون المقاومة الكونية للاحتلال.

يجب أن تبدأ مقاومتنا برفض قبول شرعية احتلال الولايات المتحدة للعراق. يعني أن نتصرف بحيث يكون من المستحيل ماديا على الإمبراطورية تحقيق أهدافها. يعني أن الجنود يجب أن يرفضوا القتال ويرفض الاحتياطيون الخدمة، ويرفض العمال شحن السفن والطائرات بالأسلحة. وبالتأكيد يعني هذا أن نمنع في دول مثل الهند وباكستان خطط الولايات المتحدة للضغط لإرسال جنود هنود أو باكستانيين إلى العراق لينظفوا وراءهم.

أقترح أن نختار بطريقة ما اثنين من الشركات الرئيسية التي تترجح من خراب العراق. ويمكن أن نضع قائمة بكل مشروع يشتركون به. يمكننا أن نعرف مواقع مكاتبهم في كل مدينة وبلد في أنحاء العالم، ونستهدفهم.

نستطيع أن نجبرهم على الإغلاق. إنها مسألة أن نوحّد خبرتنا الماضية لنحمل على هدف واحد. إنها مسألة الرغبة في الانتصار.

إن مشروع القرن الأمريكي الجديد يسعى إلى إدامة اللامساواة وتأسيس الهيمنة بأي ثمن. والمنتدى الاجتماعي العالمي ينشد العدالة والبقاء.

ولهذه الأسباب يجب أن نعتبر أنفسنا في خضم حرب.

المصدر [the nation](#) ترجمت ٢٣/١/٢٠٠٤

- أرونداتي روي - روائية هندية وناشطة في مناهضة العولمة.

قوة الجماهير في عصر الإمبراطورية!

أرونداتي روي

عندما تذيب اللغة وتنزف معانيها، كيف يمكن أن نفهم "قوة الجماهير"؟ إذا كانت الحرية تعني الاحتلال والديمقراطية تعني رأسمالية الليبرالية الجديدة والإصلاح يعني القمع، وعندما تسري في جسدك قشعريرة لدى سماعك كلمات مثل "تمكين" و"حفظ السلام" - لماذا إذن يمكن أن يعني مصطلح "قوة الجماهير" ماتريده أن يعنيه. لهذا كله سوف أعرف "قوة الجماهير"، من خلال هذه المقالة بأسلوب "اخدم نفسك" الذي أجيده.

في الهند أصبحت كلمة (بابلك - جماهير) كلمة هندية. وهي تعني الشعب. في اللغة الهندية لدينا ساركار وبابلك: الحكومة والشعب. ويتضمن

هذا الاستخدام للكلمتين الافتراض أن الحكومة والشعب منفصلان. ويعود هذا التمييز إلى نضال الهند في سبيل التحرر الذي لم يكن - رغم عظمتها - ثوريا. لقد انزلت الصفوة الهندية بيسر وأناقة في أحذية المستعمرين البريطانيين. وأصبح المجتمع المدقع والاقطاعي دولة مستقلة حديثة. وحتى يومنا هذا، وبعد خمسة وسبعين عاماً من الاستقلال، مازالت تنظر الطبقات المسحوقة إلى الحكومة باعتبارها الراعي والمعيّل. أما الأكثر تطرفاً، أولئك الذين مازالت بطونهم تفور ناراً، فهم ينظرون إلى الحكومة باعتبارها لصاً وناهباً لكل شيء.

وفي كل الحالات، يعتبر معظم الهنود السركار منفصلاً عن البابلك. وعلى أية حال، كلما صعّدت في السلم الاجتماعي الهندي، يغيّم الفرق بين الحكومة والشعب. فإن الصفوة الهندية مثل أية صفوة في أي مكان في العالم، تجد أنه من الصعوبة عليها فصل ذاتها عن الحكومة. فهي ترى مثل الحكومة وتفكر مثل الحكومة وتتحدث مثل الحكومة .

في الولايات المتحدة، من جانب آخر، تغلغل الضباب الذي يحيط السركار والشعب في أعماق المجتمع. وهذا قد يكون علامة على حيوية الديمقراطية ولكن لسوء الحظ أن الأمر أكثر تعقيداً وأقل جمالاً من ذلك. فمن بين أشياء أخرى، للأمر علاقة بالشبكة المعقدة للبارانويا التي خلقتها حكومة الولايات المتحدة ونسجتها مؤسسات الإعلام وهوليوود. لقد

استغل الأمريكيون العاديون لدفعهم إلى التصور أنهم شعب تحت الحصار وملاذهم وحاميهم الوحيد هو الحكومة. فإذا لم يكن الخطر من الشيوعيين فهو من القاعدة، وإذا لم تكن كوبا فهي نيكاراغوا. نتيجة لذلك، فإن أقوى أمة في العالم - بترسانتها المتفوقة من الأسلحة وتاريخها في شن ورعاية حروب لانهاية لها، والأمة الوحيدة في التاريخ التي استخدمت فعلا القنابل النووية - يسكنها مواطنون يتلبسهم الرعب من ظلالهم. شعب يرتبط بالدولة لا بسبب الخدمات الاجتماعية أو الرعاية الصحية أو ضمانات العاطلين وإنما بسبب الخوف.

ويستغل هذا الخوف المصنوع من أجل الحصول على موافقة الشعب لارتكاب أعمال العدوان. وهكذا يستمر الحال، هستريا لولبية تضبط الحكومة الأمريكية رسميا درجاتها بإنذاراتها الملونة المدهشة: الفوشيا والتركواز والوردي المدخن.

بالنسبة للمراقب الخارجي، فإن هذا الاندماج بين السركار والشعب في الولايات المتحدة يجعل من الصعب فصل أفعال حكومة الولايات المتحدة عن الشعب الأمريكي. وهذا الخلط هو الذي يزكي العداء للأمريكان في العالم. وهذا العداء تستغله الحكومة الأمريكية وتضخمه في منافذ وسائلها الإعلامية. وأنت تعرف الروتين: "لماذا يكرهوننا؟ إنهم يكرهون حريتنا" إلخ. وهذا يزيد من الشعور بالعزلة بين الشعب الأمريكي ويجعل التصاقهم بالحكومة أشد. مثل أن تبحث ذات القلنسوة الحمراء في الحكاية الشعبية عن الحنان في سرير الذئب.

إن استخدام التخويف من خطر خارجي من أجل اصطفااف الشعب وراء الحكومة هو حصان عجز مرهق امتطاه السياسيون للاستحواذ على السلطة منذ قرون، ولكن إلا يمكن أن يكون الأناص العاديون قد ضجروا من الحصان العجز المرهق ويبحثون عن شيء آخر مختلف؟ هناك أغنية في أحد الأفلام الهندية تقول: يا بابلك هاي، يا ساب جانتي هاي. (الجماهير، أنها تعرف كل شيء). أأن يكون شيئاً جميلاً أن تكون الأغنية على حق والسياسيون على خطأ؟

قبل غزو واشنطن اللاشرعي للعراق، أظهر استطلاع للرأي أجراه معهد جالوب الدولي بأن موافقة الدول الأوروبية على شن حرب أحادية كانت بنسبة ١١ ٪. وفي ١٥ شباط/فبراير ٢٠٠٣ في الاسابيع التي سبقت الغزو خرج أكثر من عشرة ملايين شخص في مسيرة ضد الحرب في القارات المختلفة بضمنها أمريكا الشمالية. ومع هذا فإن حكومات عدد من الدول المفترض أن تكون ديمقراطية اصرت على شن الحرب.

السؤال هو: هل مازالت "الدول الديمقراطية" ديمقراطية؟

هل تشعر الحكومات الديمقراطية أنها مسؤولة امام الشعب الذي اختارها؟ وبشكل أكثر دقة، هل الجماهير في الدول الديمقراطية مسؤولة عن أفعال حكوماتها؟

إذا فكرت في الأمر، فإن المنطق خلف الحرب على "الإرهاب" والمنطق خلف "الإرهاب" هو ذاته. كلاهما يجعلان المواطن العادي يدفع ثمن أفعال حكوماته. القاعدة جعلت شعب الولايات المتحدة يدفع حياته مقابل أخطاء حكومته في فلسطين والسعودية والعراق وأفغانستان. وحكومة الولايات المتحدة جعلت شعب أفغانستان يدفع بآلاف الضحايا ثمن أفعال طالبان وشعب العراق يدفع مئات الألوف ثمن أفعال صدام حسين.

الفرق المهم هو أنه لا أحد انتخب القاعدة أو طالبان أو صدام حسين. ولكن رئيس الولايات المتحدة كان منتخبا (حسنا.. بتعبير ما).

كما انتخب رؤساء وزراء إيطاليا وإسبانيا والمملكة المتحدة. هل يمكن إذن القول أن مواطني هذه الدول أكثر مسؤولية عن أفعال حكوماتهم عن العراقيين أو الأفغان؟

ربّ من الذي يقرر ماهي (الحرب العادلة) وماهي الحرب غير العادلة؟ مرة قال جورج بوش الأب: "لن أعتذر عن الولايات المتحدة. لاتهمني الوقائع"، عندما لايهتم رئيس أقوى دولة في العالم بالوقائع، فلا بد أن نكون على يقين من أننا دخلنا عصر الإمبراطورية.

إذن ماذا تعني "قوة الجماهير" في عصر الإمبراطورية؟ هل تعني أي شيء إطلاقا؟ بل هل توجد أصلا؟

في هذه الأزمات الديمقراطية افتراضا، تسود الفكرة السياسية التقليدية بأن الجماهير تمارس قوتها من خلال التصويت. وعشرات الأمم في هذا العالم سوف تذهب إلى صناديق الاقتراع هذا العام. معظمها (وليس كلها) سوف تحصل على الحكومات التي صوتوا لها. ولكن هل سيحصلون حقا على الحكومات التي ارادوا؟

في الهند هذا العام صوتنا لصالح إخراج القوميين الهندوس. ولكن حتى ونحن نحتفل كنا نعرف أنه في قضايا القنابل النووية والليبرالية الجديدة والخصخصة والرقابة والسدود الكبيرة - كل قضية كبيرة غير تلك المتعلقة بالقومية الهندوسية الصريحة - لم يكن للمؤتمر والبي جي بي (حزب بهاراتيا جاناتي) اختلافات ايديولوجية كبيرة. نعرف أن إرث الخمسين سنة من حزب المؤتمر هو الذي مهد الأرض ثقافيا وسياسيا لأقصى اليمين. وكذلك كان حزب المؤتمر الذي فتح أسواق الهند للعولمة.

وفي حملته الانتخابية أشار حزب المؤتمر إلى أنه مستعد لإعادة التفكير بسياساته الاقتصادية السابقة. وهكذا جاء الملايين من أفقر جماهير الهند للتصويت في الانتخابات. وكان مشهد الديمقراطية الهندية العظيمة يذاع حيا على شاشات التلفزيون - المزارعون الفقراء والشيوخ والعجزة والنساء المبرقعات وهن يرتدين حليهن الفضية الجميلة.. كل هؤلاء كانوا يقومون برحلات مضيئة إلى مراكز الانتخاب على الفيلة والجمال والعربات.

وبخلاف توقعات كل خبراء الهند، فاز المؤتمر باصوات أكثر من أي حزب آخر. وقد فازت الأحزاب الشيوعية بأكثر حصة من التصويت في تاريخها. كان من الواضح أن فقراء الهند صوتوا ضد الإصلاحات الاقتصادية الليبرالية الجديدة والفاشية المتنامية. وفور عد الأصوات، أهملتهم وسائل الإعلام وكأنهم كومبارس تافهون في طاقم فيلم. وكانت قنوات التلفزيون تصور شاشات مقسومة نصف الشاشة يبين الفوضى خارج بيت سونيا غاندي زعيمة المؤتمر حيث كان يجري ترقية حكومة التحالف.

أما النصف الآخر فقد كان يظهر فزع سماسة البورصة المتجمهرين خارج بورصة بومباي وهم يضعون أيديهم على قلوبهم من أن ينفذ حزب المؤتمر وعوده للناخبين. رأينا مؤشر الأسهم يرتفع أعلى وأسفل وإلى الجانبين. وكانت وسائل الإعلام التي هبطت أسهمها نفسها، تبث تقاريراً عن انهيار سوق الأسهم وكأن باكستان أطلقت قنابلها النووية على نيو دلهي.

حتى قبل تحليف الحكومة الجديدة، انطلقت تصريحات السياسيين الكبار في حزب المؤتمر يطمئنون المستثمرين والاعلام بأن خصخصة مرافق الدولة سوف تستمر. وفي هذه الأثناء بدأ حزب (بي جي بي) بشكل يثير السخرية في معارضة الاستثمارات الأجنبية المباشرة وفتح الأسواق الهندية.

هذا هو منطق الديمقراطية الانتخابية الزائف.

أما بالنسبة للفقراء الهنود فالمطلوب منهم طالما أنهوا واجبهم الانتخابي أن ينصرفوا إلى منازلهم. فإن تقرير السياسات سيكون رغما عنهم.

وماذا عن الانتخابات الأمريكي؟ هل يملك الناخبون الأمريكيان اختيارا حقيقيا؟

عندما يصبح جون كيري رئيسا لابد أن يتغير بعض حيطان رأس المال والمتعصبين المسيحيين في البيت الأبيض، والقليل من الناس سوف يأسفون لرؤية عرض أكتاف ديك تشيني أو دونالد رامسفيلد أو جون اشكروفت بلصوصيتهم الوقحة، ولكن الخوف الحقيقي هو أن تستمر سياساتهم في الإدارة الجديدة. أن يكون لدينا بوشية بدون بوش.

إن أصحاب السلطة الحقيقية - المصرفيين ورؤساء مجالس الشركات لا يتغيرون مع الانتخابات (وعلى أية حال هم الذين يمولون الطرفين).

ولسوء الحظ انحدرت قيمة الانتخابات الأمريكية إلى نوع من تنافس الشخصيات. نزاع على من يدير شؤون الإمبراطورية بشكل أفضل. وجون كيري ليس أقل حماسا عن جورج بوش في مسألة الإيمان بالإمبراطورية.

لقد صمم النظام السياسي الأمريكي بحيث يضمن ألا يصعد إلى السلطة من لا يؤمن بأهمية تركيبة الجيش - الصناعة - الشركات الكبرى.

وإذا أدركت هذا، لن تدهش إذا عرفت أنه سيكون لدينا في هذه الانتخابات اثنان من خريجي جامعة ييل وكلاهما عضوان في جمعية الجمجمة والعظام السرية وكلاهما من أصحاب الملايين وكلاهما يدعوان للحرب بل إنهما يتجادلان مثل الأطفال عمن يكون الأفضل بقيادة الحرب على الإرهاب.

ومثل الرئيس بيل كلنتون قبله، سوف يستمر كيري بتوسيع التغلغل الأمريكي الاقتصادي والعسكري في العالم. أنه يقول إنه كان سيصوت لصالح الموافقة لبوش على شن الحرب على العراق حتى لو كان يعرف أن العراق لا يملك أسلحة دمار شامل. وهو يعد بإرسال المزيد من القوات إلى العراق. وقد قال مؤخرًا إنه يدعم سياسات بوش نحو إسرائيل وإريل شارون مائة بالمائة. ويقول إنه سوف يستبقي على ٩٨٪ من استقطاعات ضرائب بوش.

إذن تحت غطاء تبادل الاتهامات الحاد هناك توافق تام. ويبدو أنه حتى لو انتخب الأمريكيان كيري سيكون لديهم بوش. الرئيس جون كيريوش أو الرئيس جورج بيري.

إنه ليس اختيارًا حقيقيًا. بل اختيار الموجود. مثل اختيار نوع من المنظفات. سواء اشتريت ماركة (إيفوري سنو) أو (تايد) فكلاهما من شركة واحدة هي بروكتور اند جامبل.

هذا لا يعني أن حزب المؤتمر وبي جي بي والعمال الجديد والمحافظين والديمقراطيين والجمهوريين متماثلون. أنهم ليسوا كذلك بطبيعة الحال. ولا منظم تايد يشبه ايفوري سنو: "تايد" حاد الفعالية في حين أن "ايفوري سنو" منظم ناعم.

في الهند هناك فرق بين حزب فاشي بشكل علني (بي جي بي) وحزب يحرض بخبث طائفة ضد أخرى (المؤتمر) ويبذر بذور الطائفية التي يحصدها باقتدار حزب بي جي بي .

هناك فرق في مستوى القسوة بين مرشحي الرئاسة الأمريكيين لهذا العام. لقد قامت الحركة المناهضة للحرب في الولايات المتحدة بعمل خارق بفضح الأكاذيب التي قادت إلى غزو العراق رغم الإعلام الدعائي والترهيب الذي واجهته.

لم تكن هذه الخدمة للشعب هنا فقط وإنما لكل العالم. ولكن الآن إذا دعت هذه الحركة بشكل علني لانتخاب كيري سوف يعتقد بقية العالم أن الحركة توافق على سياساته الداعية إلى إمبريالية حساسة. هل تكون الإمبريالية الأمريكية أفضل إذا ساندتها الأمم المتحدة والدول الأوروبية؟ هل تكون الإمبريالية أفضل إذا ناشدت الأمم المتحدة والجنود الهنود والباكستانيون للقيام بأعمال القتل والموت في العراق بدلا من الجنود الأمريكيين؟ هل الفرصة الوحيدة التي يترجها العراقيون هو أن تشارك الشركات الفرنسية والألمانية والروسية في غنائم احتلال بلدهم؟

هل هذا حقاً أفضل أو أسوأ لنا الذين نعيش في أمم مستعمرة؟ هل من الأفضل للعالم أن يكون لديه إمبراطور أذكى أم أغبي؟ هل هذا هو الاختيار الوحيد المتبقي لنا؟

أعتذر لأن هذه أسئلة قاسية وغير مريحة، ولكنها يجب أن تطرح.

الحقيقة هي أن الديمقراطية الانتخابية أصبحت عملية استغلال. فهي توفر لنا فسحة سياسية ضئيلة جداً. ومن السذاجة الاعتقاد أن هذه الفسحة تشكل اختياراً حقيقياً.

إن أزمة الديمقراطية الحديثة عميقة.

على المسرح الكوني، بعيداً عن سلطات الدول ذات السيادة، فإن الأدوات العالمية للتجارة والمال تشرف على نظام مركب من القوانين والاتفاقيات متعددة الجنسيات التي رسخت نظاماً للاستيلاء يخزي الكولونيالية. يسمح هذا النظام بالدخول والخروج غير المقيد لمبالغ ضخمة من رأس المال - أموال ساخنة - داخل وخارج دول العالم الثالث، ثم إملأ السياسة الاقتصادية على هذه الدول. باستخدام التهديد بهروب رأس المال، ويتغلغل رأس المال الدولي داخل اقتصادات هذه الدول. أن الشركات العملاقة العابرة للقارات تهيمن على البنى التحتية الضرورية والموارد الطبيعية: المعادن و المياه والكهرباء. وفي النهاية، فإن منظمة التجارة العالمية والبنك

الدولي وصندوق النقد الدولي ومؤسسات مالية أخرى مثل بنك التنمية الآسيوي هم الذين يرسمون خطة السياسة الاقتصادية والتشريع البرلماني. وبمزيج قاتل من العطرسة والقسوة يرفعون مطارقهم على المجتمعات الهشة والمعقدة تاريخيا ويدمرونها.

كل هذا يجري تحت الراية الخفاقة لـ"الإصلاح".

ونتيجة لهذا الإصلاح في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، أفلست الألوف من المشاريع والصناعات الصغيرة وفقد ملايين العمال والعائلات أعمالهم وأراضيهم.

وفي هذه الأثناء تطمئننا صحيفة السيكتاتور في لندن بأننا "نعيش في العصر الأكثر سعادة وصحة وأمنا في تاريخنا البشري"، ويتساءل الملايين: من هو "أنا"؟ أين يعيش؟ ما اسمه؟

الشيء الواجب فهمه هو أن الديمقراطية الحديثة أصبحت في عرف الأمم وكأنها دين راسخ، ولكن عولمة الشركات ليست كذلك. ولا رأس المال السائل، ولذلك حتى إذا كان رأس المال يحتاج إلى قوى الأمة لإطفاء الثورات في أقسام الخدم، فإن هذا الترتيب يضمن عدم إمكانية قيام أي أمة منفردة بمعارضة عولمة الشركات وحدها.

إن التغيير الجذري لا يمكن أن تتفاوض عليه الحكومات ولن يحدث ذلك. لا يمكن إلا أن يفرضه الشعب. الجماهير التي تستطيع أن تضع أيديها بأيدي بعضها عبر الحدود الوطنية.

إذن عندما نتكلم عن "قوة الجماهير في عصر الإمبراطورية" آمل إلا يكون من الوقاحة افتراض أن الشيء الوحيد الجدير بالمناقشة الجادة هو قوة جماهير معارضة. جماهير تعارض جوهر مفهوم الإمبراطورية. جماهير وضعت نفسها في مجابهة مع السلطة المنصبة - حكومات ومؤسسات دولية أو وطنية أو إقليمية تدعم وتخدم الإمبراطورية.

ما سبل الاحتجاج المتاحة للجماهير الراغبة في مقاومة الإمبراطورية؟ بالمقاومة، لا أعني التعبير عن المعارضة فقط ولكن أعني بها فرض التغيير. الإمبراطورية تستخدم عدة أسلحة لفتح أسواق مختلفة بالعنوة. وتعرفون تلك الوسائل: دفتر الشيكات وصواريخ كروز.

بالنسبة للجماهير الفقيرة في كثير من البلدان، لاتظهر الإمبراطورية بشكل صواريخ كروز ودبابات كما في العراق أو أفغانستان أو فيتنام. أنها تتجسد في حياتهم بصور محلية جدا: فقدان وظائفهم أو استلام فواتير كهرباء يعجزون عن سدادها، أو قطع المياه عنهم أو اخلائهم من منازلهم وطردهم من أراضيهم. وكل ذلك بإشراف الآلة القاهرة للدولة والشرطة

والجيش والقضاء. أنها عملية تفكير مستمرة يعرفها الفقراء منذ زمن بعيد.
ماتفعله الإمبراطورية هو فرض وتعميق اللامساواة القائمة.

حتى وقت قريب جدا كان من الصعب على الناس أن يروا أنفسهم كضحايا غزوات الإمبراطورية. ولكن المقاومة المحلية الآن بدأت ترى بوضوح هذا الدور. وقد تبدو هذه الكلمات كبيرة ولكنهم في الواقع يجابهون الإمبراطورية معتمدين على أنفسهم بأشكال مختلفة. مختلفة في العراق وفي جنوب أفريقيا والأرجنتين ومختلفة أيضا في شوارع أوروبا والولايات المتحدة.

لقد اتفقت حركات المقاومة والناشطون الفرديون والصحفيون والفنانون وصانعو الأفلام على تجريد الإمبراطورية من بريقها. لقد وضعوا النقاط على الحروف. وبينوا كيف أن مشروع الليبرالية الجديدة كلف الناس بيوتهم وأراضيهم وأعمالهم وكرامتهم. لقد جعلوا مما لا يفهم مفهوما.

إن هذا نصر كبير. صنعه التنسيق بين الجماعات السياسية اليائسة بأشكال مختلفة من الاستراتيجية. ولكنهم جميعا وضعوا هدفا واحدا لغضبيهم ونشاطهم وعنادهم. وهذه كانت البداية للعولمة الحقيقية. عولمة الرفض.

بشكل عام هناك نوعان من حركات المقاومة الجماهيرية في دول العالم الثالث اليوم: حركة الناس الذين لا أرض لهم في البرازيل وحركة المناهضين للسد في الهند والزباباتيستا في المكسيك ومنتدى ضد الخصخصة في جنوب أفريقيا والمئات من الحركات الأخرى التي تقاتل حكوماتها ذات

السيادة التي هي في الواقع حكومات وكيلة لمشروع الليبرالية الجديدة. ومعظم هذه الحركات راديكالية تحارب لتغيير هيكل ونموذج "التنمية" في بلادهم.

وهناك أيضا أولئك الذين يقاثلون الاحتلالات الرسمية والوحشية للكولونيبالية الجديدة في أراض متنازع عليها والتي رسمت حدودها عادة في القرن الماضي من قبل القوى الاستعمارية. في فلسطين والتبت والشيشان وكشمير وعدة أقاليم في جنوب شرق الهند، والناس هنا يحاربون من أجل تقرير المصير.

العديد من هذه الحركات كانت راديكالية وحتى ثورية في بداياتها ولكن غالبا بسبب وحشية القمع الذي واجهته تحولت إلى حركات محافظة وحتى رجعية حيث تستخدم نفس استراتيجيات العنف واللغة الدينية والثقافة القومية التي تستخدمها الحكومات التي تريد هذه الحركات الحلول محلها.

وكثير من المناضلين في هذه الحركات سيجدون، مثل أولئك الذين حاربوا الابارتهايد في جنوب أفريقيا، إنهم ما أن يتخلصوا من الاحتلال الصريح حتى يدخلوا معركة أخرى لمحاربة الكولونيبالية الاقتصادية المتخفية.

وفي هذه الأثناء، عندما تزداد الهوة بين الأغنياء والفقراء وتزداد حدة المعركة من أجل الهيمنة على موارد العالم، تعود الكولونيبالية الاقتصادية من خلال العدوان العسكري الرسمي.

والعراق اليوم هو نموذج مؤلم على هذا. غزو لا شرعي. احتلال وحشي باسم التحرير. إعادة كتابة القوانين التي تسمح بالاستيلاء المخزي على ثروة وموارد البلاد من قبل الشركات التابعة للاحتلال والآن مسرحية "الحكومة العراقية" المحلية.

لهذه الأسباب فمن السخافة إدانة المقاومة للاحتلال الأمريكي للعراق باعتبارها من تخطيط إرهابيين أو متمردين أو موالين لصدام حسين. فعلى أي حال لو كانت الولايات المتحدة قد تعرضت لغزو هل سيكون كل من يقاوم هذا الغزو هو إرهابي أو متمرّد أو موال لبوش؟

إن المقاومة العراقية تحارب في جبهة المعركة ضد الإمبراطورية. ولهذا فإن هذه المعركة هي معركتنا.

ومثل معظم حركات المقاومة، تتشكل المقاومة العراقية من أطراف مختلفة.. بعثيين سابقين وليبراليين وإسلاميين ومتعاونين انقلبوا على الاحتلال وشيوعيين إلخ. ومن الطبيعي أن تتلى المقاومة أيضا بالانتهازية والمنافسة المحلية والدماجوجية والتصرفات الإجرامية، ولكن إذا كنا سندعم الحركات النقية فقط فلن تكون هناك مقاومة جديرة بنقائنا.

ليس معنى هذا أننا يجب إلا ننتقد حركات المقاومة، الكثير منها يفتقد الديمقراطية ومن تأليه زعمائهم ومن نقص الشفافية ومن افتقاد الرؤية

والاتجاه، ولكن أكثر من أي شيء تعاني هذه الحركات من تشويه السمعة والقمع وقلة الموارد.

وقبل أن نعظ المقاومة العراقية في كيفية توجيه معركتها، علينا أن نقوم بدورنا نحن في مقاومة الولايات المتحدة وحلفائها وحثها على الانسحاب من العراق.

كانت أول مجابهة في الولايات المتحدة بين حركات العدالة العالمية والليبرالية الجديدة في مؤتمر منظمة التجارة العالمية في سياتل في كانون الأول /ديسمبر ١٩٩٩. وبالنسبة لكثير من حركات الجماهير في الدول النامية التي كانت تحارب وحدها لمدة طويلة، كانت سياتل أول علامة سارة على أن ثمة أناس من الدول الإمبريالية يشاطرونهم الآن غضبهم ورؤيتهم لعالم جديد .

في كانون الثاني /يناير ٢٠٠١ في بورتو اليجرا في البرازيل تجمع ٢٠٠٠٠ من الناشطين والطلاب وصانعي الأفلام - بعضهم من أفضل العقول في العالم - من أجل تبادل التجارب والأفكار حول سبل مواجهة الإمبراطورية. كان ذلك ميلاد المنتدى العالمي الاجتماعي. كان أول تجمع رسمي لنوع جديد من "قوة الجماهير" .. مثيرة وفوضوية وغير مؤدجلة. وكان شعار المنتدى "عالم آخر ممكن"، وقد أصبح منبرا لمئات المحادثات

والمناقشات والندوات التي سعت لصياغة رؤية حول ماهية العالم الذي نريده.

بحلول كانون الثاني / يناير ٢٠٠٤ عندما عقد المنتدى الرابع في مومباي في الهند اجتذب ٢٠٠٠٠٠ من المشاركين. لم أكن في حياتي جزءا من تجمع أكثر جاذبية. كان علامة على نجاح المنتدى الاجتماعي الذي أغفلته تمامًا وسائل الإعلام شبه الرسمية، ولكن الآن المنتدى مهدد بسبب نجاحه. لقد أتاح جو المنتدى الأمن والمفتوح للسياسيين والمنظمات غير الحكومية المندمجة مع الأنظمة السياسية والاقتصادية التي يعارضها المنتدى أن تشارك وتتحدث فيه.

الخطر الثاني هو أن المنتدى الاجتماعي العالمي الذي لعب دورا مهما في حركة العدالة العالمية يتعرض لخطر أن يصبح غاية بحد ذاته. فإن مجرد تنظيمه كل سنة يستهلك طاقات بعض أفضل الناشطين. وإذا حل الحديث عن المقاومة محل العصيان المدني الحقيقي، عندها يصبح المنتدى رصيذا لأولئك الذين تأسس المنتدى لمعارضتهم. يجب الحفاظ على المنتدى ويجب أن ينمو، ولكن علينا أن نجد طرقا لتحويل أحاديثنا فيه إلى أفعال حقيقية.

وبما أن حركات المقاومة بدأت تمتد أذرعها عبر الحدود الوطنية وتشكل خطرا حقيقيا، طورت الحكومات استراتيجياتها الخاصة بالتعامل مع تلك الحركات، التي تتراوح بين الاحتواء والقمع.

سوف أتحدث عن ثلاثة من الأخطار المعاصرة التي تجابه حركات المقاومة: صعوبة إيجاد نقطة التقاء بين الحركات الجماهيرية والإعلام، أخطار تحويل المقاومة إلى منظمات غير حكومية، والمجابهة بين حركات المقاومة والحكومات القمعية.

إن نقطة التقاء الإعلام مع الحركات الجماهيرية أمر معقد.

لقد تعلمت الحكومات أن الإعلام الذي تسوقه الأزمات لا يملك أن يستقر على موضوع واحد لمدة طويلة. فهو مثلما تحتاج المشاريع التجارية إلى مدد مالي نقدي، فإن الإعلام يحتاج إلى مدد أزمات. دول كاملة تصبح أخبارا قديمة. فهي تختفي عن الوجود ويصبح الظلام أكثر عتمة مما كان قبل أن يشع الضياء عليها لبرهة وجيزة. لقد رأينا ذلك يحدث في أفغانستان عندما انسحب السوفيت والآن بعد الحرب عليها وتنصيب وكالة المخابرات المركزية حامد كرزاي، قذفت بأفغانستان إلى زعماء الحرب مرة أخرى.

وعميل آخر لوكالة المخابرات المركزية وهو ايداد علاوي جرى تنصيبه في العراق ولهذا ربما يكون قد حان الوقت لتحول الإعلام عن العراق أيضا.

وفي حين أن الحكومات تشحذ فن انتظار الأوقات المواتية لعبور الأزمات، تقع حركات المقاومة دائما في فخ دوامة صنع الأزمات وهي تحاول إيجاد طرق لصناعتها بأشكال مهضومة ومفهومة للجمهور.

كل حركة شعبية تحترم نفسها، كل "قضية" يفترض أن يكون لها منطاد خاص بها يرتفع في الجو ويعلن عن هويتها وأهدافها.

لهذا السبب، فإن الموت بسبب الجوع يعتبر إعلانا أكثر تأثيرا في التعبير عن الفقر من ملايين الناس الذين يعانون من أمراض نقص التغذية، وكذلك السدود لاتعتبر مادة إخبارية حتى تحدث أضرارا بالغة يجعلها جديرة بشاشات التلفزيون (وعندها يكون قد فات الأوان).

فيما مضى، كان الوقوف لأيام طويلة وسط الماء الذي يتصاعد داخل خزان وأنت تراقب بيتك وممتلكاتك وهي تعوم مبتعدة، طريقة ناجعة للاحتجاج على بناء سد ضخم، ولكن لم يعد الأمر كذلك. بل إنه يصيب الإعلام بملل قاتل. وهكذا فليس أمام مئات الألوف من الناس الذين تشردهم السدود سوى ابتكار حيل جديدة أو التخلي عن المعركة.

التظاهرات الملونة ومسيرات نهاية الأسبوع وحدها ليست كافية لإيقاف الحروب. لا يوقف الحروب سوى أن يرفض الجنود القتال ويرفض العمال

شحن الأسلحة في السفن والطائرات ويقاطع الشعب المخافر الاقتصادية للإمبراطورية التي تمتد عبر الكون.

إذا أردنا أن نحتفظ بمكانة العصيان المدني، ينبغي علينا أن نحرر أنفسنا من طغيان إعلان الأزمات وخوفه مما يجري على أرض الواقع. ينبغي أن نستخدم خبرتنا وخيالنا وإبداعنا لنسائل الوسائل الحكومية التي تضمن بقاء "الأوضاع الطبيعية" كما هي: قاسية وغير عادلة وغير مقبولة. علينا أن نفضح السياسات والعمليات التي تجعل من الأشياء الاعتيادية: الطعام والماء والملجأ والكرامة - حلما بعيد المنال للناس العاديين. أن الضربة الوقائية الحقيقية هي أن نفهم أن الحروب هي نهاية طبيعية لسلام ناقص وغير عادل.

ويقدر تعلق الأمر بحركات المقاومة الجماهيرية، فإن الحقيقة هو أنه ليس هناك تغطية إعلامية تستطيع أن تعادل قوة الجماهير على الأرض. ليس هناك بديل في الواقع للتحريك السياسي التقليدي القاصم للظهر.

لقد وسعت شركات العولمة الهوة بين أولئك الذين يصنعون القرارات وبين الذين عليهم أن يعانون نتائج هذه القرارات. وفي متنتديات مثل المنتدى الاجتماعي العالمي يمكن لحركات المقاومة المحلية من تقليل تلك الهوة والاتصال بنظائرهم في البلاد الغنية. وهذا التحالف مهم وهائل. مثلاً، عندما كان بينى أول سد خاص في الهند، وهو سد ماهيشوار، عملت التحالفات بين نرمادا باتشاو اندولان ومنظمة اورجوالد الألمانية وإعلان بيرن في سويسرا

وشبكة الأنهار الدولية في بركلي، عملت معاً لإخراج سلسلة من البنوك والشركات الدولية من المشروع. ولم يكن هذا ممكناً لو لم يكن هناك حركة مقاومة راسخة على الأرض. وقد ضخم المؤيدون على المسرح العالمي صوت تلك الحركة المحلية، مما أخرج المستثمرين وأجبرهم على الانسحاب.

إن عدداً لا محدوداً من تحالفات مماثلة تستهدف مشروعات معينة وشركات معينة سوف يساعد على خلق عالم أفضل. يجب أن نبدأ بالشركات التي تعاملت مع نظام صدام حسين والآن تترجح من غزو واحتلال العراق.

الخطر الثاني الذي يواجه الحركات الجماهيرية هو تحويل المقاومة إلى منظمات غير حكومية. سيكون من السهل حرف ما أقوله إلى تجريم كل المنظمات غير الحكومية. وهذا ليس صحيحاً. في المياه المعتمة للمنظمات غير الحكومية الزائفة التي تنشأ لاستنزاف أموال المنح أو لمرأعة الضرائب، من الطبيعي أن تجد إلى جانبها منظمات غير حكومية تقوم بعمل عظيم. ولكن من المهم النظر في ظاهرة المنظمات غير الحكومية في إطار سياسي وسع.

في الهند، مثلاً، بدأت ظاهرة ازدهار المنظمات غير الحكومية الممولة في أواخر الثمانينات والتسعينات. وقد واکب ذلك انفتاحاً في الأسواق الهندية نحو الليبرالية الجديدة. في ذلك الوقت، كانت الحكومة الهندية،

تماشياً مع متطلبات التعديل الهيكلي، تنسحب من تمويل التنمية الزراعية والزراعة والطاقة والنقل والصحة العامة. ومع تخلي الدولة عن دورها التقليدي، دخلت المنظمات غير الحكومية لتحل محلها في هذه المجالات. الفرق، طبعاً، أن الأموال المتاحة للمنظمات كانت جزءاً ضئيلاً جداً من الاقتراع الفعلي للنفقات العامة. ومعظم المنظمات غير الحكومية الكبيرة تمولها وترعاها هيئات الإغاثة والتنمية والتي بدورها تمول من الحكومات الغربية والبنك الدولي والأمم المتحدة وبعض الشركات متعددة الجنسية. ورغم أنها قد لا تكون نفس الهيئات ولكنها بالتأكيد جزء من نفس التشكيلة السياسية الفضاضة التي تشرف على المشروع الليبرالي الجديد التي تطالب بتر الدعم الحكومي للجماهير.

لماذا تمول هذه الهيئات المنظمات غير الحكومية؟ هل يمكن أن يكون ذلك هو نفس الدافع التبشيري القديم؟ أم الشعور بالذنب؟ أن الأمر يتجاوز ذلك بقليل. تعطي المنظمات غير الحكومية الانطباع بأنها تملأ الفراغ الذي ينشأ بتراجع دور الدولة. وهي كذلك، ولكن بطريقة غير مترابطة واقعيًا. إن مساهمتهم الحقيقية هي نزع فتيل الغضب السياسي وتوفير الحقوق الأساسية للمواطن وكأنها صدقات وإحسان.

إنهم يغيرون النفسية الجماهيرية. فهم يحولون الناس إلى ضحايا معتمدين عليهم ويشلمون شفرات المقاومة السياسية. تعمل المنظمات غير

الحكومية كمخفف للصدمات بين الحكومة والشعب. بين الإمبراطورية ورعاياها. لقد أصبحت هذه المنظمات الوسيط والمترجم وميسر الأمور.

وفي نهاية المطاف تقف المنظمات غير الحكومية مسؤولة أمام ممولائها وليس أمام الشعب الذي تعمل وسطه. ويبدو أنه كلما كان الخراب الذي تسببه الليبرالية الجديدة اعظم كانت انطلاقة المنظمات غير الحكومية أكبر. لاشيء يوضح هذا أكثر دقة من ظاهرة تحضير الولايات المتحدة لغزو دولة وفي نفس الوقت اعداد المنظمات غير الحكومية للذهاب وتنظيف الخراب.

ومن أجل أن تضمن هذه المنظمات عدم تعرض تمويلها إلى الخطر وأن الحكومات التي تعمل في دولها سوف تسمح لهم بالعمل، تضطر المنظمات غير الحكومية إلى تقديم اعمالها في اطار ضحل مجرد تقريبا من أي مضمون سياسي أو تاريخي.

إن تقارير الكوارث السياسية عن الدول الفقيرة ومناطق الحروب تجعل من الشعوب (داكنة البشرة) في تلك الدول وكأنها ضحايا اوبئة.. هندي ناقص التغذية آخر، إثيوبي آخر يموت جوعا، معسكر لاجئين أفغاني آخر، سوداني معوق آخر.. يحتاجون إلى مساعدة الرجل البيض. إنهم يؤكدون الأنماط العنصرية ويبرزون إنجازات ومساعدات وتعاطف الحضارة الغربية. إنهم المبشرون العلمانيون في العصر الحديث.

وفي النهاية - وعلى نطاق أصغر ولكن أكثر مكرًا - فإن رأس المال المتاح للمنظمات غير الحكومية يلعب نفس الدور في السياسة البديلة كرأس المال المضاربي الذي يتدفق داخل وخارج اقتصادات الدول الفقيرة. يبدأ في إملاء الأجندة. ويحول المجابهات إلى مفاوضات. أنه يفقد المقاومة موقفها السياسي. وهو يتدخل مع الحركات الشعبية المحلية التي كانت دائما ذاتية الاعتماد، وتملك المنظمات غير الحكومية أموالا يمكنها من تشغيل الناس المحليين الذين قد يتحولون - بعكس ذلك - إلى ناشطين في حركات المقاومة، ولكنهم الآن يشعرون أنهم يقومون بعمل جيد مباشر ومبدع (ويكسبون عيشهم وهم يفعلون ذلك). والمقاومة السياسية الحقيقية لا تقدم مثل هذه الطرق السريعة المثمرة.

إن تحويل الحركات السياسية إلى منظمات غير حكومية يهدد بخطر تحول المقاومة إلى وظيفة ثابتة، مهذبة ومعقولة وبأجر جيد وبشيء من المتعة. المقاومة الحقيقية لها نتائج حقيقية وبدون أجر.

وهذا يقودنا إلى الخطر الثالث الذي أود الحديث عنه هذه الليلة: الطبيعة القاتلة للمجابهة الحقيقية بين حركات المقاومة والحكومات القمعية. بين قوة الجماهير وعملاء الإمبراطورية.

ما إن تبدي المقاومة المدنية أقل علامة على تطورها من فعل رمزي إلى أي شيء يهدد بأقل خطر، يبدأ الضرب العنيف وبدون رحمة. لقد رأينا ما حدث للتظاهرات في سياتل وميامي وجوئسبرج وجنوة.

في الولايات المتحدة، لديك قانون الوطني الأمريكي الذي أصبح الطبعة الزرقاء لكل القوانين المضادة للإرهاب التي سنتها الحكومات في انحاء العالم. كبح الحرية باسم حماية الحرية. وطالما سلمنا حرياتنا، لن نسترجعها إلا بثورة.

لبعض الحكومات خبرة واسعة في كبح الحريات مع احتفاظها برائحة عطرة. وحكومة الهند وهي ذات يد طويلة بهذه اللعبة، تقود بها هذا الطريق.

على مدى السنوات شرعت الحكومة الهندية مجموعة من القوانين التي تسمح لها بأن تتهم أي شخص بأنه إرهابي أو متمرّد أو مسلح. عندنا قانون السلطات الخاصة للقوات المسلحة، وقانون الأمن العام وقانون أمن المناطق الخاصة وقانون العصابات وقانون المناطق الإرهابية والممزقة والقانون الأحدث وهو قانون منع الإرهاب وهو المضاد الحيوي الأشمل لمرض المعارضة.

هناك خطوات أخرى تتخذ، مثل احكام المحاكم التي تكبح حرية الرأي وحق عمال الحكومة في الإضراب وحق الحياة والمعيشة. لقد بدأت المحاكم في الهند تدير حياتنا. وانتقاد المحاكم جريمة جنائية.

ولكن نعود مرة أخرى إلى إجراءات مكافحة الإرهاب، فخلال العقد الماضي كان عدد الناس الذين قتلتهم الشرطة وقوات الأمن يصل إلى

عشرات الألوف، في ولاية اندرا براديش (مدللة شركات العولمة في الهند) كل عام يقتل في المتوسط حوالي ٢٠٠ (متطرف) فيما يسمى (المواجهات). وتفخر شرطة بومباي بعدد (رجال العصابات) الذين قتلتهم في (عمليات إطلاق النار) في كشمير، في وضع يكاد يصل إلى حالة حرب، قتل مايقارب ٨٠٠٠٠ شخص منذ عام ١٩٨٩. واختفى الألوف. أما في الأقاليم الشمالية الشرقية فالوضع لا يختلف.

في السنوات الأخيرة فتحت الشرطة الهندية النار على أناس عزل. والأسلوب المفضل هو قتلهم ثم تسميتهم ارهابيين. والهند ليست وحدها فقد رأينا أوضاعا مشابهة في دول مثل بوليفيا وتشيلي وجنوب أفريقيا. في عصر الليبرالية الجديدة الفقر جريمة والاحتجاج ضده صار يعرف بأنه إرهاب.

في الهند يسمى الناس قانون منع الإرهاب "قانون إنتاج الإرهاب". أنه قانون متعدد الاستعمالات يمكن تطبيقه على أي شخص من عضو بالقاعدة إلى محصل الأتوبيس المتشكي. وكما في كل القوانين المكافحة للإرهاب، فإن عبقرية هذا القانون هو أنه يصلح لأي شيء تريده الحكومة. بعد مذبحه ٢٠٠٢ المنظمة التي شاركت فيها الحكومة في ولاية كوجارات قتل حوالي ٢٠٠٠ مسلم بوحشية من قبل رعا ع هندوس وشرذ حوالي ١٥٠٠٠٠ من بيوتهم، ولكن اعتقل ٢٨٧ بموجب قانون منع الإرهاب ومن هؤلاء ٢٨٦ مسلم وواحد من السيخ!!

والقانون يسمح بانتزاع الاعترافات في مراكز الشرطة لتقدم باعتبارها أدلة قضائية. ولهذا فإن التعذيب يحل محل الاستجوابات. ويسجل مركز توثيق حقوق الإنسان في جنوب آسيا أن الهند لديها أعلى رقم في وفيات التعذيب والاحتجاز في العالم. وتبين سجلات الحكومة أنه كان هناك ١٣٠٧ وفاة في احتجاز قضائي في ٢٠٠٢ وحدها.

منذ عدة أشهر، كنت عضوة في محكمة الشعب حول قانون منع الإرهاب. وفي خلال يومين استمعنا إلى شهادات مرعبة عما يحدث في بلادنا الديمقراطية الرائعة. كل شيء: من إجبار الناس على شرب بولهم إلى تجريدهم من الثياب إلى إذلالهم وصعقهم بالكهرباء وحرقتهم بأعقاب السجائر إلى إدخالخوازيق حديدية في الشرج إلى الضرب والركل حتى الموت.

وقد وعدت الحكومة الجديدة بالغاء القانون. ستصيني الدهشة إذا حدث ذلك قبل أن يشرع في مكانه قانون مشابه ولكن تحت مسمى آخر.

عندما تغلق كل السبل للمعارضة السلمية، وكل من يحتج ضد انتهاك حقوقه الإنسانية يسمى إرهابيا، هل يدهشنا حقا إذا اكتسح أجزاء شاسعة من البلاد أولئك الذين يؤمنون بالمقاومة المسلحة دون أن تستطيع الدولة السيطرة عليهم: في كشمير وفي الاقاليم الشمالية الشرقية وأجزاء كبيرة من

ماديا براديش وتشاتسجارث وجرخند واندرا براديش. والناس العاديون في هذه المناطق محصورون بين عنف الجماعات المسلحة والدولة.

في كشمير، يقدر الجيش الهندي أن هناك ما بين ٣٠٠٠ و٤٠٠٠ مسلح. ومن أجل السيطرة عليهم تنشر الحكومة حوالي ٥٠٠٠٠٠ جندي. ومن الواضح أن الجيش لا يقصد أن يسيطر على المسلحين فحسب وإنما كل السكان المهانين والتعساء الذين يرون في الجيش الهندي قوة احتلال.

ويسمح قانون السلطات الخاصة للقوات المسلحة ليس للضباط وحدهم وإنما حتى الضباط الصغار في الجيش باستخدام القوة وحتى قتل أي شخص بمجرد الاشتباه بأنه يسبب تكديرا للأمن العام. وقد فرض لأول مرة في بعض المناطق في ولاية مانيبور عام ١٩٥٨. اليوم يطبق تقريبا في كل مناطق الشمال الشرقي وفي كشمير. أن وثائق أمثلة التعذيب والاختفاءات والموت والاعتصاب والإعدام الفوري الذي تقوم بها القوات الخاصة كاف لإصابتك بالغثيان والقيء.

في اندرا براديش، في قلب الهند، قامت جماعة الحرب الشعبية الماركسية اللينينية المسلحة - التي انخرطت لسنوات في نزاع مسلحة وكانت الهدف الرئيسي لكثير من "المواجهات" المزيفة لشرطة اندرا - بعقد اجتماعها الأول منذ سنوات في ٢٨/٧/٢٠٠٤ في مدينة وارانجال.

وحضر الاجتماع مئات الألوف من الناس الذين اعتبروا جميعا إرهابيين بموجب قانون منع الإرهاب. هل يمكن اعتقالهم جميعا في غونتنامو هندي؟
وجميع سكان الشمال الشرقي ووادي كشمير على حافة الغليان والانفجار. ماذا سوف تفعل الحكومة بكل هذه الملايين من البشر؟
ليس هناك الآن في العالم جدل أكثر أهمية من ذلك الذي يدور حول استراتيجيات المقاومة. واختيار الاستراتيجية ليس كليا في أيدي الجماهير. أنه أيضا في أيدي السركار.

فعندما غزت الولايات المتحدة العراق بالأسلوب الذي نفذته، بقوة عسكرية كاسحة، هل كان يمكن أن نتوقع من المقاومة أن تكون جيشا تقليديا؟ (طبعاً حتى لو كان تقليديا، فسوف يقال عنه أنه إرهابي). ومن المفارقة أن تجعل ترسانة الحكومة الأمريكية من الأسلحة وقوة النيران والطيران المتفوقة، من الإرهاب رد فعل لا يمكن تفاديه. فما يفتقده الناس من الثروة والقوة يعوضوه بالتخفي والاستراتيجية.

في هذه الأيام القلقة واليائسة، إذا لم تعمل الحكومات كل ما بوسعها للاعتراف بالمقاومة السلمية، فإنها تقدم صنيعا لأولئك الذين يتحولون إلى العنف. ولن تكون ثمة صدقية لإدانة الحكومة للإرهاب إذا لم تبين أنها تفتح صدرها للمعارضة السلمية.

ولكنها بدلا من ذلك تسحق حركات المقاومة السلمية. وكل نوع من انواع التحريك السياسي الجماهيري أما يشتري أو يسحق أو يهشم .

وفي هذه الأثناء، تغدق الحكومات والإعلام ولا تنسوا صناعة الأفلام، كل وقتهم واهتمامهم وتقنياتهم وأبحاثهم وإعجابهم على الحرب والإرهاب. العنف يجابه بالعنف.

الرسالة التي يبعثها هذا المفهوم خطيرة وتثير القلق: إذا أرادت الجماهير أن تعلن عن مظلمة أصابتها فإن العنف أكثر فعالية من اللاعنف.

وفيما تزداد الهوة بين الأغنياء والفقراء، وفيما تصبح الحاجة إلى السيطرة على موارد العالم لإطعام الماكنة الرأسمالية الهائلة أكثر إلحاحا، سوف يتصاعد الاضطراب في العالم.

وبالنسبة لنا نحن الذين على الجانب الخاطئ من الإمبراطورية، لقد تجاوز الإذلال الاحتمال.

كل طفل عراقي قتلته الولايات المتحدة هو طفلنا. كل سجين عذب في ابو غريب هو رفيقنا. صرخاتهم هي صرخاتنا، وإهانتهم إهانة لنا. والجنود الأميركيين الذين يحاربون في العراق - معظمهم متطوعون في تجنيد الفقر من مدن صغيرة وازقة فقيرة - هم ضحايا مثل العراقيين تماماً لذات العملية المريعة التي تطلب منهم أن يموتوا من أجل نصر لن يكون لهم.

رؤساء الشركات العملاقة، المصرفيون، السياسيون، القضاة، الجنرالات.. ينظرون إلينا من عليائهم ويهزون رؤوسهم قائلين بحدة: "ليس ثمة بديل"، ويطلقون علينا كلاب الحرب.

ثم من إطلال أفغانستان ومن انقراض العراق والشيشان ومن شوارع فلسطين المحتلة وجبال كشمير ومن تلال وسهول كولومبيا وغابات اندرا براديش واسام يأتي الجواب الرهيب: "ليس هناك بديل سوى الإرهاب" الإرهاب، الكفاح المسلح، التمرد. سمه ماتشاء.

إن الإرهاب بشع يجرد مرتكبه وضحيته على السواء من صفة الإنسانية. ولكن كذلك تفعل الحرب أيضا. يمكنك القول أن الإرهاب هو خصخصة الحرب. "الإرهابيون" هم أناس لا يؤمنون باحتكار الدولة لشرعية استخدام العنف.

إن المجتمع البشري يتجه نحو مصير رهيب.

ولكن بالطبع هناك بديل "للإرهاب".. اسمه العدل.

وقد حان الوقت للاعتراف بأنه لا الأسلحة النووية أو الهيمنة المطلقة أو أدوات التعذيب أو مجالس الحكم أو اللويا جركا يمكن أن تشتري السلام على حساب العدل.

إن شوق البعض إلى الهيمنة والتفوق سيقابله توف الآخريين إلى الكرامة والعدل.

أما شكل المعركة القادمة، هل تكون جميلة أو دموية.. هذا يعتمد علينا .

-أرونداثي روي ولدت في الهند ١٩٥٩ (في بعض المراجع ١٩٦١) ودرست العمارة في نيودلهي حيث تعيش الآن وعملت في تصميم الأفلام والتمثيل وكتابة المسرحية. وفازت أول رواية لها (إله الأشياء الصغيرة) بجائزة بوكر عام ١٩٩٧ وهي أفضل جائزة بريطانية. وبيعت من هذه الرواية ٦ ملايين نسخة وترجمت إلى ٢٠ لغة. والفت كتباً أخرى عديدة في غير مجال الرواية. ومنها: دفتر الشيكات وصاروخ كروز، تكاليف المعيشة، وسياسة القوة، ودليل الشخص العادي إلى الإمبراطورية.

-خطابها الذي ألقته في سان فرانسيسكو بكاليفورنيا في ١٦/٨/٢٠٠٤.

-موقع الديمقراطية الآن ١٦/٨/٢٠٠٤.

عملية الانسحاب الخادع

نورمان سولومون

قبل عدة أيام أطلق البيت الأبيض مرحلة جديدة من حصاره الدعائي للحرب على العراق.

طلقة الافتتاحية كانت في ٢٧ تموز ٢٠٠٥ حين قال قائد القوات الأمريكية بالعراق أن استمرار الاتجاهات الاخيرة قد يجعل من الممكن القيام بتخفيض لا باس به) في مستوى القوات الأمريكية في ربيع وصيف ٢٠٠٦. وقال الجنرال جورج كيسبي: إن هذه التخفيضات سوف تحدث (إذا استمرت العملية السياسية بشكل إيجابي وإذا استمر تطوير قوات الأمن كما هو الحال الآن).

كان تصريح الجنرال كيسبي الذي تصدر وسائل الإعلام بداية لحملة إعلامية من المؤمل أن تستمر لمدة ١٥ شهرا قادمة حتى انتخابات الكونغرس. ويمكن أن نسميها (عملية الانسحاب الخادع).

وبشكل عام فإن هذه العملية مثل بندقية ذات فوهتين: استمر في قتل العراقيين وأطلق سيناريوهات انسحاب القوات الأمريكية.

كان الرئيس بوش يتظاهر دائما بأنه يرفض نداءات وضع جدولة للانسحاب. ومع ذلك فإن وسائل الإعلام حاليا تضج حول إمكانية الانسحاب من العراق وهذا ليس بدون سابقة. فقد سمعنا مثل هذه الدعاية في الخريف الماضي من مصدر صحفي كان ينفذ دوما وبحماسة أقدر أعمال كارل روف (المستشار السياسي لبوش).

كتب روبرت نوفاك في عمود نشر في ٢٠ أيلول ٢٠٠٤: "داخل جهاز صنع القرار في إدارة بوش هناك اتجاه قوي بأن القوات الأمريكية يجب أن تغادر العراق في السنة القادمة. إن هذا التصميم لم يأت من النجاح في تنفيذ الديمقراطية والاستقرار في العراق. وإنما يقول المسئولون إنه علينا الانسحاب سواء كان العراق مستعدا أم لا.

ولم يتوقف عمود نوفاك عند هذا. وإنما قال بلهجة العارف بالأمر: "سوف يقول الجيش للفائز بالانتخابات الرئاسية (المقالة المشار إليها كانت قبل فوز بوش لفترة ثانية) أن القوات الأمريكية في العراق ليست كافية لشن حرب مؤثرة. وهذا يعني أن هناك ثلاثة اختيارات واقعية: زيادة القوات في العراق أو ابقاء القوات كما هي والاستمرار في الحرب، أو الخروج. وتقول مصادر مطلعة في الإدارة أنها على ثقة من أن قرار بوش سيكون الخروج.

ويعتقدون أن هذه هي توصية فريق الأمن القومي وسوف تكون توصية المسؤولين الذين يمضون فترة ثانية في الإدارة.

وكان هذا التقييم من (مصادر مطلعة في الإدارة) قد لفت انتباه وسائل الإعلام في بداية حملة الخريف الانتخابية ونوفاك لم يتركها وإنما تبعها بمقالة في ٧ تشرين ثاني، أكد فيه أنه (لم يرفض عمودي أي مسؤول في الإدارة بشكل رسمي) وبتعابير معينة أصر الصحفي المقرب من روف بادعائه أن صانعي القرار في إدارة بوش يؤمنون بأن (القوات الأمريكية يجب أن تترك العراق) في ٢٠٠٥.

وفي حين أن حملة بوش نفت ادعاء نوفاك ولكنه كان مفيدا للرئيس. فقد استمر في صورته أمام الجماهير باعتباره محاربا في الوقت الذي كان (التسريب) الذي ينفي يوحى بشكل خادع أن هناك مرونة وإعادة التفكير مما يمكن أن تؤدي بالولايات المتحدة إلى استراتيجية خروج من العراق.

وفي الوقت الذي يستمر البيت الأبيض في التعهد بعدم (ترك المهمة والهروب) يمكن للإدارة الأمريكية أن تستفيد من حكاية توحى بأن الانسحاب أكثر احتمالا وأكثر اقترابا مما كان يعتقد سابقا. أن هذا هو إطلاق النار من فوهتين: استمرار مجهود الحرب في حين الإيحاء بأن الانسحاب في الأفق. وهي مقاصد من أجل تقديم آمنيات كاذبة للمعلقين والناخبين.

خلال الأشهر الخمسة عشر القادمة سوف تشير المنافع السياسية على إدارة بوش الاستمرار في القول بأشياء توحى بتخفيض كبير في الوجود العسكري الأمريكي في العراق. وستكون سيناريوهات الانسحاب الطافية جزءاً من الخدعة الكبرى.

وبينما تستمر الحرب وتبين استفتاءات الرأي أن الشعب الأمريكي ليس سعيداً بها سوف يكون الجمهوريون في الكونغرس متحمسين لتغطية إعلامية ملائمة قبل انتخابات تشرين ثاني في السنة القادمة. ومن هنا فائدة (عملية خدعة الانسحاب).

لقد عملت إدارة بوش فعلاً على زيادة أو خفض قوة الجيش الأمريكي في العراق لأسباب عسكرية وسياسية. وقد أقرت خططا للقيام بهذه التعديلات مرة أخرى في أواخر هذه السنة، وقد كتبت وول ستريت جورنال في ٢٨ تموز (ليس من المؤمل البدء بأي تخفيض في القوات في القريب العاجل وفي الواقع أن الرقم الكلي للقوات من المحتمل أن يزيد قبل أن يبدأ بالانخفاض بسبب الاستفتاء على الدستور العراقي المؤمل له تشرين أول ثم الانتخابات الوطنية في كانون أول".

لا بد أن مؤلفي الأكاذيب الإعلامية في البيت الأبيض شعروا بالرضا عن العنوان الرئيسي في الجورنال الذي يقول: "الولايات المتحدة تفتح الباب لانسحاب كبير من العراق العام القادم).

إن ذلك (الانسحاب الكبير) كذبة كبيرة ولكن حتى لو حدث مثل هذا الشيء غير المحتمل فإنه لا يعني بالضرورة أن تورط الأمريكان في قتل الشعب العراقي سوف ينتهي. إذا قلت أعداد القوات الأمريكية في العراق في الصيف القادم فسيظل الدور العسكري الأمريكي هناك مدمر كما كان أو أسوأ.

يقول مسئولو إدارة بوش وأبواقهم في وسائل الإعلام أن العراقيين سوف يتحملون عبء الأمن الذي يتحمله الآن المحتلون. أن من شأن هذه (العرقنة) أن تغير فقط أسلوب المذابح - مثل الفتنة التي حدثت في السنوات الأخيرة من حرب فيتنام.

في خلال زيارة إلى غوام في تموز ١٩٦٩ أعلن الرئيس نكسون أن الحكومة الأمريكية سوف (تقدم العون العسكري والاقتصادي حينما يطلب منها ذلك حسب التزامات الاتفاقية ولكننا سوف نرعى البلاد المهتدة بشكل مباشر من أجل استئناف مسؤوليتنا الأساسية في الدفاع عنها).

إن مثل هذه المبادئ المعلنة لاستبدال الجنود الأمريكان باهل البلاد هي مما تسر الجماهير في الولايات المتحدة، ولكنها لا تقلل من الدماء التي تلتخ أيدي العم سام. فبعد ثلاث سنوات من تصريحات نكسون في ١٩٦٩، انخفض مستوى عدد القوات الأمريكية في فيتنام إلى ٦٩ ألف

جندي، ومع ذلك فخلال ثلاث سنوات انسحب فيها نصف مليون جندي كانت أطنان القنابل التي أسقطت على فيتنام أكثر من اي وقت آخر.

لايهم كم سيكون لدى أمريكا من قوات على الأرض في العراق فإن البنتاغون سيظل يلعب دورا كبيرا هناك. وقد نشرت نيويورك تايمز رسالة القت المزيد من الضوء على نوايا إدارة بوش. في الرسالة كتب رونالد آشر الثاني: " لقد عاد صهري لتوه من العراق حيث خدم مع حرس مينيسوتا الوطني الجوي. ورغم أنه لم يخبرني في أي مكان في العراق كان مقره ولكنه قال إن مستوى ونوع البناء الذي يتم في القاعدة الجوية هناك جيد، وأقنعه بأن الجيش الأمريكي يخطط ليبقى هناك فترة طويلة جدا".

لقد بدأت عملية الانسحاب الخادع وسوف تكون مناورة طويلة .

ترجمت المقالة في ٣/٨/٢٠٠٥ عن المصدر

<http://www.antiwar.com/solomon/?articleid=6835>

- نورمان سولومون: كاتب أمريكي معروف كتب في كبريات الصحف الأمريكية، وألف عدة كتب حول التضليل الإعلامي ويشغل منصب مدير (معهد الدقة الجماهيرية)، وهو مضمن مجموعة خبراء في الإعلام مهمتهم فحص الحقيقة والأكاذيب والانحياز في تصريحات المسؤولين الأمريكيين.

أهداف متحركة

خطة البنتاغون السرية لتفكيك وتصفية المقاومة العراقية
الاستراتيجية والتكتيك
سيمور هيرش

اصطياد البشر

صادقت إدارة بوش على تصعيد هام في حرب القوات الخاصة السرية في العراق. ومن خلال مقابلات أجريتها في الشهر الماضي مع مسؤولين أمريكيين ومسؤولين سابقين اتضح أن الهدف الرئيسي هو تصفية مجموعات البعثيين الذين يقفون وراء الكثير من أعمال المقاومة السرية ضد جنود الولايات المتحدة وحلفائها.

وقد تكونت مجموعة قوة خاصة سميت قوة المهام ١٢١
TaskForce جمع أفرادها من قوات دلتا والقوات الخاصة البحرية ووكالة

المخابرات المركزية وقوات أخرى من القطاع الأمني الخاص، على أن يقدموا تقريرا بالنتائج في كانون الثاني/ يناير. على رأس أولويات هذه القوة: تحييد المتمردين البعثيين بالاعتقال أو الاغتيال.

إن إعادة احياء عمليات القوة الخاصة هو انتصار لسياسة وزير الدفاع دونالد رامسفيلد الذي جاهد سنتين من أجل أن توافق القيادة العسكرية على خطته التي يسميها (اصطياد البشر **manhunt**) وهو تعبير يستخدمه علنا في أحاديثه وسرا في مخاطباته الرسمية الداخلية .

ومن أجل قبول خطته، كان عليه أن يستبدل الكثير من قادة البنتاغون، وقد أخبرني مستشار في وزارة الدفاع الأمريكية (أن الإطاحة بنظامين تبيح لنا أن نفعل أمورا غير اعتيادية)، مشيرا إلى أفغانستان والعراق.

الدور الصهيوني

كانت إحدى الخطوات التي اتخذها البنتاغون في حربه ضد المقاومين العراقيين هو السعي إلى الاستعانة بالمساعدة الفعالة والسرية (لإسرائيل) الحليف الأقرب إلى أمريكا في الشرق الأوسط. وطبقا لمسؤولين في الجيش والمخابرات الأمريكية والإسرائيلية، فقد تعاونت وحدات الكوماندوز والمخابرات الإسرائيلية بشكل مكثف مع نظرائهم في معسكر تدريب القوات الخاصة في فورت براج بشمال كارولينا وأيضا في إسرائيل للإعداد لتنفيذ العمليات في العراق.

ويتوقع أن يقوم الكوماندوز الإسرائيليين بادوار استشارية سرية عندما تبدأ العمليات على نطاق واسع "يرفض الدبلوماسيون في البنتاغون وإسرائيل التعليق، وقد قال لي مسؤول إسرائيلي: لا أحد يريد التحدث في هذا الموضوع. أنه موضوع ملتهب. وقد اتفقت الحكومتان على أعلى المستويات أنه من مصلحتهما معا أن يظل التعاون الأمريكي - الإسرائيلي في العراق سرا".

اختراق المقاومة

ومازال هناك جدل كبير حول ما إذا كان استهداف عدد كبير من الأفراد هو أسلوب عملي أو سياسي فعال لإحداث الاستقرار في العراق في ظل فشل القوات الأمريكية المتكرر في الحصول على مصادر معلومات ثابتة وموثوق بها هناك.

ويحاول الأمريكان في الميدان حل المشكلة بإيجاد مصدر معلومات جديد: أنهم يخططون لتجميع فريق من كبار مسؤولي المخابرات العراقية السابقة وتدريبهم على اختراق المقاومة بهدف الحصول على معلومات عن المقاومة ليتصرف على ضوءها الأمريكان.

وقد وصف مسؤول في وكالة المخابرات المركزية هذه الاستراتيجية بتعبير بسيط (قناصون أمريكيان ومخابرات عراقية). هناك عراقيون في

المخابرات لديهم فكرة أفضل ونحن نتصل بهم. علينا أن نحیی المخابرات العراقية، نسد أنوفنا، ونترك قوات دلتا وقناصي الوكالة يحطمون الأبواب ويقبضون على المقاومين".

ويقول مسؤول مخابرات سابقانه يمكن مقارنة اختراق القيادة البعثية باختراق بعملية كسر ثمرة جوز الهند. تظل تضرب وتضرب حتى تجد نقطة ضعيفة وعند ذاك تفتحها وتنظفها.

ويقول أمريكي عمل مستشارا لسلطة التحالف المؤقتة في بغداد "إن الطريقة الوحيدة للانتصار هي أن نتبع وسائل غير تقليدية. يجب أن نلعب لعبتهم: رجال عصابات ضد رجال عصابات. يجب أن نرهب العراقيين حتى نستطيع إخضاعهم".

تطوير أساليب جديدة

في واشنطن هناك اتفاق واسع على نقطة واسعة: الحاجة إلى أسلوب أمريكي جديد في العراق. كما أن هناك اتفاقا عاما على انتقاد ردود أفعال القوات الأمريكية على قوائم الإصابات الأمريكية المتزايدة. يقول أحد مسؤولي البنتاغون السابقين الذي عمل لوقت طويل مع قيادة القوات الخاصة الذي يؤيد ضرورة إيجاد أسلوب أمريكي جديد: (لدينا هذه القوات التقليدية الكبيرة الموجودة هناك وهي أهداف سهلة، وما نفعله بدون جدوى.

أننا نبعث إشارات مختلطة) ويقولان مشكلة الأسلوب الذي تحارب به الولايات المتحدة القيادة البعثية هي: (أ) ليس لدينا استخبارات (ب) لدينا حساسية في التعامل مع هذه المنطقة من العالم)، ويأتي بمثال (الرد الأمريكي على موقع يحتمل وجود مدفع هاون فيه، بدلا من تدمير ملعب كرة قدم فارغ، لماذا لا تبعث فريق قناصين لقتلهم وهم ينصبون المدفع)؟

ويزداد اليقين داخل البنتاغون أن مجرد اعتقال أو اغتيال صدام حسين مع الحلقة المحيطة به لن يوقف أعمال المقاومة.

أما عمليات القوات الخاصة الجديدة فهي تستهدف الوسط العربي للبعثيين الذين يعملون في الخفاء، ولكن الكثير من المسؤولين الذين تحدثت معهم عبروا عن خشيتهم من أن تتحول الخطة المقترحة المسماة (اصطياد البشر الوقائي) إلى برنامج فينكس آخر كما قال مستشار في البنتاغون.

برنامج فينكس phoenix:

فينكس هو الاسم الحركي لبرنامج مضاد للمقاومة الفيتنامية نفذته الولايات المتحدة أثناء حرب فيتنام، حيث كانت فرق القوات الخاصة تقوم باعتقال أو اغتيال الفيتناميين الذين يعتقد أنهم يعملون مع الفيتكونج أو يتعاطفون معهم. وكان اختيار الأهداف يعتمد بشكل كبير على ضباط جيش

فيتنام الجنوبية ورؤساء القرى. وقد خرجت العملية عن نطاق السيطرة فطبقا لاحصائيات فيتنامية جنوبية رسمية قام برنامج فينكس بقتل حوالي ٤١ ألف ضحية ما بين الأعوام ١٩٦٨ و ١٩٧٢ معظمهم لاعلاقة له بالحرب ضد أمريكا ولكنهم استهدفوا من أجل الثأر لضغائن وعداوات سابقة. وقد أقر وليام كولبي ضابط وكالة المخابرات المركزية الذي كان مسؤولا عن هذا البرنامج عام ١٩٦٨ (وأصبح فيما بعد مديرا للوكالة) أمام الكونغرس بأن (كان يجب إلا يحدث الكثير مما حدث).

وقد حذر مسؤول القوات الخاصة السابق من أن مشكلة اصطيد الرؤوس هي أنك يجب أن تكون على يقين من أن (الرؤوس التي تصطادها، هي الرؤوس الصحيحة) وأشار إلى مسؤولي المخابرات العراقية السابقين بقوله (هؤلاء لديهم أجندهم الخاصة. هل نضرب لنثأر لهم؟ عندما تجند عناصر من الدولة (المضيقة) بدلا من الأمريكان من الصعب أن تمنعهم من القيام بما يودون عمله. يجب أن تظل السلسلة الذي تربطهم بها قصيرة).

الثعلب الرمادي: Grey Fox

ويقول المسؤول السابقان القيادة البحثية تعتمد كما يبدو واضحا في تخطيطها للهجمات (الإرهابية) على (الاتصال الشخصي المباشر) وهذا يجعلهم أكثر منعة امام إحدى أكثر وحدات القوات الخاصة السرية التي تعرف باسم (الثعلب الرمادي) وهي خبيرة في تقاطع واختراق المكالمات

الهاتفية ووسائل الاستخبارات التقنية الأخرى. هؤلاء الأشخاص (المقاومون) أذكى من أن يقتربوا من هواتف نقالة أو أجهزة راديو. بل إنهم يتعاملون مع الاستخبارات البشرية.

وقد ذكر مسؤول سابق في وكالة المخابرات المركزية وله خبرة واسعة في الشرق الأوسط أن أحد أهم اللاعبين في فريق المخابرات الأمريكي العراقي الجديد هو فاروق حجازي أحد الموالين لصدام الذي عمل لسنوات طويلة مديرا للعمليات الخارجية للمخابرات العراقية. وقد ألقى القبض عليه منذ نيسان/ إبريل. ويقول رجل المخابرات المركزية أنه في الأشهر القليلة الماضية عقد حجازي (صفقة) والمسؤولون الأمريكيان (يستخدمونه لإحياء شبكة المخابرات العراقية القديمة)، ويضيف (كثير من أصدقائنا العراقيين يقولون أنه سينفذ بنود الصفقة ولكن حرفيا وليس روحيا).

الطيب والشيرير

ويقول المتحدث أيضا إنه رغم أن المخابرات العراقية كانت مؤسسة أمنية جيدة واستطاعت على وجه الخصوص حماية صدام حسين من الإطاحة به أو اغتياله ولكن عملها كان رديئا. إنها ليست الطريقة التي نلعب بها الكرة. إذا رأيت مقتل بعض رجالك، تغيير الأمور. لقد قمنا حتى الآن بالعمل على الطريقة الأمريكية. كنا الشخص الطيب. الآن سنكون الشخص الشرير. والأعمال الشريرة هي التي تغير الأمور

عندما نقلت هذه التعليقات إلى مستشار البنتاغون وهو خبير في الحرب غير التقليدية قال ممتعضا (هناك البعض الذي يقول أشياء خيالية عن عملية (اصطياد البشر) ولكنهم ليسوا في مستوى صانعي السياسة. يمكن أن فظا مثل أي شخص آخر ولكننا مجتمع ديمقراطي ولا نحارب الإرهاب بالإرهاب. سيكون هناك الكثير من التحكم في الأمور وقواعد افعال هذا ولا تفعل ذلك. المشكلة اننا لم نخترق الأشرار بعد. وحزب البعث يدار مثل نظام خلية. المسألة مثل اختراق الفيتكونج الذي لم نقدر عليه أبدا.

اعرف عدوك: كامبوني وبويكن

النجم الصاعد في إدارة البنتاغون هذه الأيام هو ستيفن كامبوني (Stephen Cambone) نائب وزير الدفاع لشؤون الاستخبارات الذي كان من مؤسسي فكرة القوات الخاصة الجديدة. وهو حاصل على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة Claremont Graduate University عام ١٩٨٢، وعمل مديرا للجنة ١٩٩٨ التي رأسها رامسفيلد التي حذرت في تقريرها من ظهور تهديد صاروخي بالستي للولايات المتحدة، واقترحت بأن تذهب وكالات الاستخبارات في تحليلاتها إلى ما هو أبعد من البيانات المتوفرة تحت اليد. وقال كامبوني أمام الكونغرس في شباط/ فبراير أن مستهلكي التقديرات الاستخباراتية يجب (أن يسألوا المحللين: كيف توصلتم إلى هذه النتائج وما مصادر المعلومات؟).

وقد حظي هذا النهج بتأييد رامسفيلد، ولكنه تعرض للهجوم عندما لم تتحقق تنبؤات الإدارة حول أسلحة الدمار الشامل العراقية وإمكانية قيام مقاومة عراقية، وقد اتهم المدنيون في البنتاغون بتسييس الاستخبارات. (بعد شهر من سقوط بغداد، كان كامبوني أول مسؤول بنتاغون يعلن علناً بالمشكلة كما توضح فيما بعد، بأن سيارة نقل عسكرية عراقية تم التخلي عنها يمكن أن تكون معمل إنتاج أسلحة بيولوجية متنقل).

ويتفق كامبوني أيضاً مع آراء رامسفيلد في كيفية محاربة الإرهاب. كلاهما يؤمن بأن الولايات المتحدة تحتاج إلى أن تكون أكثر فعالية في محاربة الإرهاب، بالبحث عن قادة الإرهابيين حول العالم وتصفياتهم. وقد شعر كامبوني - مثل رامسفيلد - بالإحباط بسبب تردد القيادة العسكرية في تبني مهمة (اصطياد البشر). ويسعى كامبوني الآن لأن تكون له سلطة إدارة القوات الخاصة. وقد أخبرني مسؤول بنتاغون رفيع المستوى سابق (كان رامسفيلد يبحث عن شخص لديه كل الإجابات وستيف هو ذلك الشخص. وهو على اتصال مباشر مع رامي (اسم الدلع لرامسفيلد) أكثر من أي شخص آخر).

ومع تصاعد تأثير كامبوني، يقل تأثير دوجلاس فيث نائب وزير الدفاع للشؤون السياسية. في أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، أنشأ فيث وحدة خاصة أطلق عليها اسم (مكتب الخطط الخاصة)، وقد لعب هذا المكتب الذي يديره

مديون من المحافظين الجدد مثل فيث، دورا كبيرا في الاستخبارات والتخطيط الذي أدى إلى غزو العراق في مارس.. ويقول أحد كبار الجمهوريين (إن المحافظين الجدد يتراجعون).

ولاعب كبير آخر في عمليات القوات الخاصة هو الفريق وليام (جيري) بويكن Boykin مساعد كامبوني العسكري، والذي أصبح مقربا جدا من رامسفيلد بعد أن التقى به في أوائل الصيف الماضي حتى أصبح مثل (اثنين من المحاربين القدماء) كما يصفهما مستشار البنتاغون. وقد أجل بويكن موعد تقاعده الذي كان من المقرر أن يكون في حزيران/يونيو وتسلم وظيفة البنتاغون التي أضافت إلى رتبته نجمة ثالثة. وبذلك المنصب كما يقول مستشار البنتاغون أصبح بويكن (قطعة مهمة) من خطة التصعيد. في تشرين أول/أكتوبر، نشرت صحيفة لوس أنجلوس تايمز أن بويكن أثناء حديث الأحد الصباحي أمام رواد إحدى الكنائس قرن الإسلام أكثر من مرة بالشیطان. ففي حزيران/يونيو الماضي وطبقا للصحيفة قال بويكن أمام جمع كنسي في ولاية اوريجون (الشیطان يريد أن يدمر هذه الأمة. يريد أن يدمرنا كأمة، ويريد أن يدمرنا كجيش مسيحي) وقد أثنى على الرئيس بوش باعتباره (الرجل الذي يصلي في المكتب البيضاوي)، وأعلن أن بوش لم يكن رئيسا (منتخبا) وإنما (مفوضا من قبل الرب) وقال أيضا إن العالم الإسلامي يكره أمريكا (لأننا شعب من المؤمنين)

إثر ذلك ظهرت نداءات في الصحف والكونغرس تطالب بإقالة بويكن ولكن رامسفيلد أكد أنه يريد الاحتفاظ بالرجل في منصبه. وقد رد على تقرير الجريدة بامتداح (السجل المشرف) للرجل وقال للصحفيين بأنه لم يقرأ نص تصريحات بويكن كما لم يشاهد شريط الفيديو لخطابه. وقال (نحن أناس أحرار وهذا ماهو رائع في بلدنا). وبالنسبة للشريط فقد قال (لا أستطيع التعليق لأنني ببساطة لم أشاهده) وبعد أربعة أيام قال في مؤتمر صحفيا نه شاهد الشريط (فيه كلمات كثيرة يصعب فهمها وعناوين فرعية كثيرة لم أستطع التأكد منها)، وأضاف وهو يضحك (ولهذا أظل معدوم الخبرة بما قاله بالضبط).

وقبل ذلك كان بويكن مثال جدل أيضا حين كان قائد المعارك العسكرية في مقاديشو عام ١٩٩٣ عندما ذبح ١٨ جندياأمريكا خلال مهمتهم الفاشلة التي كتب تفاصيلها مارك باودين في كتابه (إسقاط البلاك هوك) الذي نشر في أوائل ذلك العام .

وأيضا حين كان بويكن برتبة كولونيل، قاد فريقا مكونا من ٨ رجال من قوات دلنا مهتهم مساعدة الشرطة الكولومبية في تعقب بابلو اسكوبار تاجر المخدرات الشهير. وحسب القانون كان محظورا على فريق بويكن التورط في القتل بدون موافقة رئاسية، ولكن كان هناك شكوك في البتاعون أن الفرقة تخطط للمشاركة في اغتيال اسكوبار بمساعدة موظفي السفارة

الأمريكية في كولومبيا. ويصف مارك باودين أيضا في كتابه (قتل بابلو) تفاصيل مطاردة اسكوبار، وكيف تيقن مسؤولون في قيادة البنتاغون بأن بويكن، قد تجاوز صلاحيات،ه وينوي انتهاك القانون ويعلم رؤسائه في القوات الخاصة الذين ارادوا سحبه، ولكن ذلك لم يحدث. وقد قتل اسكوبار على سطح بناية في ميدلين، بفضل الشرطة الكولومبية ولكن كما كتب باودن (في داخل مجتمع العمليات الخاصة، اعتبر موت بابلو مهمة ناجحة لفريق دلنا، باعتبار أنهم من قام بالمهمة). ويقول جنرال متقاعد كان يشرف على عمليات بويكن في كولومبيا (هذا ما فعله أولئك الرجال. لقد رأيت صورا لجثة اسكوبار لم تلتقط بعدسات كاميرا بعيدة المدى ولكن التقطت بواسطة كاميرات أعضاء الفريق).

تفكيك المقاومة:

يجري الآن التعاون بين أمريكا وإسرائيل في مجال التدريب على كيفية تفكيك المقاومة. وقد لخص ضابط مخبرات عسكرية إسرائيلية سابق أن التدريب يركز على (كيف تقوم بقتل مستهدف وهو أمر ضروري للنصر في الحرب، ومايجب على الولايات المتحدة أن تفعله). وقال لبيان الإسرائيليين حثوا الأمريكان على محاكاة وحدات الكوماندوز الصغيرة التابعة للجيش الإسرائيلي والمسماة (مستعرايم) التي تعمل في الخفاء داخل الضفة الغربية وقطاع غزة ويقولونه حسب الرؤية الإسرائيلية يجب أن تتعلم القوات الخاصة

كيف تكون شبكة من المخبرين) فمثل هذه الشبكة مكنت إسرائيل من اختراق منظمات الضفة الغربية وقطاع غزة التي يسيطر عليها جماعات مثل حماس واغتيال أو اعتقال الانتحاريين المحتملين وكثير من الأشخاص الذين يرعونهم ويدربونهم.

ومن جهة أخرى يقول الضابط الإسرائيلي السابق (لقد نجحت إسرائيل نجاحا كبيرا واستطاعت أن تقتل أو تعتقل كثير من الحلقات الوسطى في المستوى العملياتي في الضفة العربية، وحماس الآن عبارة عن خلايا معزولة تقوم بمفردها بالهجمات الإرهابية ضد إسرائيل، فليس هناك مركز سيطرة على كثير من الانتحاريين. إننا نحاول أن نقول للأمريكان إنه ليس هناك حاجة لتصفية المركز. مفتاح القضية هو إلا يكون هناك أفراد مستقلون يعملون لحسابهم الخاص).

ويرى كثير من الخبراء الإقليميين: أمريكيان وغيرهم، بأن البعثيين مازالوا مسؤولين عن أعمال المقاومة رغم أن علاقتهم المباشرة بصدام حسين ضعيفة. وقد أخبرني محلل عسكري يعمل مع سلطة التحالف في بغداد أن استنتاجاته تؤكد أن (البعثيين في الصفوف الوسطى من الحزب والذين لم يجدوا فرصتهم سابقا بسبب طبيعة تسلسل المراتب في نظام صدام، قد نهضوا الآن باختفاء أصحاب الرتب العليا في الحزب، وتصعدوا لقيادة المقاومة).

من هم المقاومون؟

ويقول إنه بعد الهجوم الأمريكي وبعد عدة أسابيع من (العشي البصري مثل غزال تفاجئه أنوار باهرة) أعاد هؤلاء البعثيون تنظيم أنفسهم وهم الذين يوجهون ويقودون العمليات ضد الأمريكان. وفي واشنطن وخلال مقابلة مع دبلوماسي عربي بارز قال (لأنعتقد أن المقاومة موالية لصدام. نعم أعاد البعثيون تنظيم أنفسهم ليس لأسباب سياسية ولكن بسبب القرارات الفظيعة التي أصدرها جيري بريمر. أن العراقيين يريدونكم فعلا أن تدفعوا الثمن، وقتل صدام لن ينهي ذلك).

وينفس المعنى، قال لي رجل أعمال شرق أوسطي كان يقدم النصح لمسؤولين كبار في إدارة بوش، بأن حزب البعث المعاد تنظيمه (نشط جدا ويعمل تحت الأرض باتصالات داخلية دائمية وبدون صدام حسين) ويقول إن قادة حزب البعث يتوقعون من صدام أن يصدر بيانا رسميا يتضمن انتقادا ذاتيا حول أخطائه وتجاوزاته وبضمنها اعتماده على ولديه.

وفي نفس الوقت هناك اختلاف في الآراء حول مدى سيطرة حزب البعث على أعمال المقاومة. يقول ضابط المخابرات العسكرية الإسرائيلية السابق (معظم الهجمات تأتي من البعثيين وهم عدلعلم بأماكن تخزين الأسلحة ولكن كثير من المهاجمين أيضا هم من أصول عرقية وعشائرية. العراق منقسم الآن إلى طوائف كثيرة وداخل المجتمع السني تطرف عميق

ومالم تتم تسوية هذه الأوضاع فأى جهود لإعادة إعمار المركز ستذهب هباءً).

ويتفق مع هذا الرأي محلل عسكري أمريكي يقول إن التركيز الراهن على البعثيين تغفل الجانب القومي والعشائري. ويأتي بمشال القوات المناهضة للاحتلال في الفلوجة وهي إحدى مراكز المقاومة الرئيسية (يقودها بشكل أساسي رجال الدين والجوامع. الإسلام ورجال الدين والإحساس القومي) ويقول إن هذه المنطقة تحوي "عشرات الألوف من ضباط وجنود الجيش العراقي السابق العاطلين الذين يتسكعون حول مقاهي ومطاعم أقاربهم نهاراً.. يخططون ويعطون ويتسلمون التعليمات وفي الليل ينفذون المهمات".

تكتيكات المقاومة:

وينتقد هذا المحلل العسكري - مثل كثير من المسؤولين الذين تحدثت معهم - التكتيكات التقليدية التي يقوم بها الجيش الأمريكي الآن متمثلة بالبرنامج المضاد المكثف المسمى "المطرقة الحديدية": القصف والمداهمات الليلية والاعتقالات الجماعية في مناطق وسط العراق السنية. قال لي أن المقاومين قد لجأوا إلى تكتيك مضاد "أنهم ينفذون الآن هجماتهم في أماكن بعيدة أو حتى مدن أخرى لئلا ينصب الانتقام الأمريكي على مناطقهم الأصلية وبالمقابل يقوم الأمريكيان بالانتقام من المدن التي تقع فيها الاحداث الجديدة، وبهذا يخلقون أعداء جدد".

إن الهجومين العراقيين والجريئين والمنفصلين على قوافل أمريكية في سامراء يوم ٣٠/١١/٢٠٠٣ هما شاهدان على تنوع المعارضة للاحتلال. لقد كانت سامراء دائما مركز المشاعر المناهضة لصدام حسبما يرى أحمد هاشم وهو خبير في الإرهاب واستاذ الدراسات الاستراتيجية في كلية الحرب البحرية الأمريكية. في مقالة له نشرها في آب/أغسطس معهد الشرق الأوسط، يقول هاشم (كثير من سكان سامراء الذين خدموا بامتياز في حزب البعث أو القوات المسلحة تمت تصفيتهم وإعدامهم خلال حكم صدام) ويقول أيضا (إن نوع بناء القوات العسكرية في العراق - التسليح الثقيل وميكنة الوحدات والحالة النفسية للجنود الموجودين في العراق منذ شهور، كل ذلك لا يهيئ لشن حرب ناجحة ضد المقاومة).

وتظل معظم مهمات (اصطياد البشر) التي تقوم بها إدارة بوش سرية ولكن إحدى مهماتها المبكرة في أفغانستان كان لها آثار مختلطة. في تشرين الثاني/نوفمبر الماضي، قتل في اليمن أحد قادة القاعدة وهو قائد سالم سنان الحارثي عندما اطلق على السيارة التي تقله، صاروخ من نوع (هيلفاير) من طائرة موجهة بدون طيار. وقد قتل معه أيضا خمسة من ركاب السيارة، وأذيع فيما بعد أن مهمتين مماثلتين قد الغيتا في اللحظة الأخيرة بعد العلم أن ركاب السيارات المستهدفة كانوا من البدو وليسوا أعضاء في القاعدة.

ومنذ ذلك الحين، كما أخبرني مستشار لقيادة القوات الخاصة فإن المعارك الداخلية بين كبار قادة الجيش جعلت من الصعب على فرق القوات الخاصة العاملة في الميدان أن تستفيد من استخبارات اللحظة الآنية.

وقد انتقد رامسفيلد تكرارا جنرال القوات الجوية تشارلز هولاند وهو قائد للقوات الخاصة، ويحمل أربع نجوم وقد تقاعد مؤخرا، على ترده في منح صلاحيات هجمات كوماندوز بدون معلومات استخباراتية محددة أو (قابلة للتحرك) كما قام رامسفيلد بجهد منظم ليشغل المناصب العسكرية العليا بمسؤولين من القوات الخاصة. مثلا استدعى قائد قوات خاصة سابق هو الجنرال بيتر سكوميكر من منزله بعد تقاعده في تموز/ يوليو، ومنح منصب رئيس أركان حرب. كما أن المساعد المدني الجديد لوزير الدفاع لشؤون العمليات الخاصة توماس اوكونيل كان ضابطا في الجيش وقد خدم في برنامج فينكس في فيتنام وفي أوائل الثمانينات أدار وحدة الكوماندوس العسكرية السرية المسماة (الثعلب الرمادي).

في أوائل تشرين الثاني/ نوفمبر، نشرت صحيفة (التايمز) خبر تشكيل (قوة المهمة ١٢١) وقالت الصحيفة إن هذه القوة مفوضة لتنفيذ مهامها في كل المنطقة إذا لزم الأمر من أجل مطاردة صدام حسين وبن لادن وارهابين آخرين. "يقود هذه القوة طيار مروحية للقوات الخاصة سابقة هو العميد لايل

كوبنيج Lyle Koenig ومهمة هذه القوة العنور على صدام حسين وبقية الشخصيات المطلوبة ومهمتهم في أفغانستان هي استهداف قائمة كبار قياديي القاعدة".

كانت مهمة البحث عن صدام حسين مشبّطة للعزائم منذ البداية، وكما يقول سكوت ريتير مفتش الأسلحة السابق أنه قام منذ ١٩٩٤ إلى ١٩٩٨ بإدارة وحدة خاصة بالأمم المتحدة للتصنت على الاتصالات الهاتفية الشخصية لصدام حسين (اتهمه العراقيون بذلك وطردوه في حينها ولكن الإدارة الأمريكية كذبت الحكومة العراقية في وقتها - المترجمة) ويقول ريتير (كبار الرجال المحيطين بصدام هم من يطلق عليهم لقب (مرافقين) وهم من أشد الموالين له والذين يسمح لهم بالوقوف إلى جانبه حاملين مسدساتهم. ولكنه الآن ذهب إلى طبقة مختلفة - العشائر. لقد سمح لأعضاء أكثر وحداته حساسية ليعودوا العشائرتهم، ولانعرف أين هم الآن. وقد اختفت بيانات هذه الوحدات، دمرت كلها.

وأشخاص مثل فاروق حجازي يمكن أن يسلمنا بعض خلايا حزب البعث كما أنه يعرف أين يجد بعض رجال المخابرات، ولكنه لا يستطيع أن يوصلنا إلى التسلسل الهرمي للقبيلة، إضافة إلى تشكيل القوات الخاصة الجديدة، يبحث البنتاغون إمكانية انتهاج سبل أخرى للقضاء على المقاومة.

نشرت صحيفة الواشنطن بوست الأسبوع الماضي (نشرت المقالة في ١٥ / ١٢ / ٢٠٠٣) أن السلطات الأمريكية في بغداد وافقت بشيء من التردد على تشكيل ميليشيا عراقية مضادة للإرهاب تتكون من قوات خمسة أحزاب رئيسية في البلاد.

وهذه الوحدة التي ستضم حوالي ٨٠٠ رجل (ستتعرف وتتعبق المتمردين) الذين لم يلق عليهم القبض حتى الآن. وسوف تكون هذه المجموعة تحت إشراف القيادة الأمريكية.

إيران والمقاومة (السنية)

المشكلة الثانية الرئيسية لقوة المهمة ١٢١ هي إيران.

هناك جدل كبير داخل الإدارة الأمريكية حول اقتراحات المخابرات الأمريكية والإسرائيلية بأن الحكومة الإيرانية الشيعية قد تكون هي التي تساعد وتدعم المقاومة السنية في العراق.

ويقول مسؤول مخابرات سابق أن أحد الردود المضادة الممكنة التي تبحثها الإدارة هو تدريب وتجهيز قوة عراقية قادرة على القيام بمهمات عبر الحدود. وهدف الأمريكان كما قال (أن يكون ثمن دعم البعثيين غاليا فتراجع إيران. أما إذا بدا الأمر وكأنه حرب إيرانية-عراقية جديدة، فهذه قصة أخرى).

ميزة القوات الخاصة:

يقول أحد كبار المستشارين السابقين للسلطة المدنية في العراق أن السرية التي تحكم عمل وحدات القوات الخاصة قد قدمت دافعا إضافيا لزيادة وجودهم في العراق. فهي لا تذكر عادة عند إحصاء إجمالي القوات النظامية. وقد أعلن جورج ورامسفيلد مرارا بأنه ليس هناك حاجة لزيادة القوات الأمريكية. ولكن العديد من الضباط الكبار الذين تحدثت معهم كذبوا هذا الادعاء (أنك تحتاج المزيد من القوات ولكنك لا تستطيع إضافتهم لأن (رامي) أخذ موقفا لا يتراجع عنه، فعليك إذن أن تخترع قوة لا تحسب ضمن الجيش النظامي!).

وفي الوقت الراهن، ليس هناك تشريع يلزم الرئيس الأمريكي بإحاطة الكونغرس قبل الموافقة على مهمات القوات الخاصة خارج البلاد. وقد توسعت القوات الخاصة كثيرا خلال إدارة بوش. حتى أن ميزانية البنتاغون لعام ٢٠٠٤ خصصت ما يزيد على ٦,٥ بليون دولار لتغطية مهماتها، وهذه زيادة بنسبة ٣٤% عن ميزانية ٢٠٠٣. وفي دراسة حديثة للكونغرس تبين أن أعداد القوات الخاصة العاملة والاحتياط هي ٤٧ ألفا.

وحسب رأس مسؤول مخبرات سابق فإن مثل هذه الوحدات الصغيرة للقوات الخاصة تقوم بالعمل أفضل مما تفعله الوحدات الكبيرة للجيش النظامي، وهو يتوقع تصاعد عملياتها وتوسعها عندما تبدأ باستهداف البعثيين

ويقول: (من الناحية التقنية لايعتبر هذا اغتيالاً، ولكنه عمليات حربية اعتيادية).

نيويورك تايمز ٢٠٠٣/١٢/١٥

المقاومة العراقية

مايك وتني

ربما ليس في هذه المقالة ما لا نعرفه، ولكن أهميتها أن كاتبها أمريكي وأنه يناقش مسألة اغفال الإعلام الأمريكي حتى المناهض للحرب، للإشارة لدور المقاومة العراقية. وتحمل المقالة لراصد الأحداث مؤشرات خطيرة، خاصة أنه يدعو إلى التفاوض مع المقاومة مباشرة.

في حين أن نقاد حرب العراق يسرعون إلى الإشارة إلى فشل الاحتلال، ولكنهم يترددون في الاعتراف بالنتيجة الحتمية وهي أن المقاومة العراقية قد انتصرت، لأن قولاً مثل هذا يماثل الخيانة العظمى ولهذا يمنع وروده في وسائل الإعلام الرسمية. أن فكرة مُنعة الأمريكان أسطورة يجب رعايتها والدفاع عنها في كل مكان وزمان. حتى لو وُجد الجنود الأمريكان متلبسين في دفع مروحياتها في نهر الفرات وهم يولون هاربين من بغداد فإن

الإعلام الموالي سوف يلوي الواقعة ليجعلها تبدو وكأن الأمر "إعادة انتشار استراتيجي".

لأشياء جديد في مسألة انحياز وسائل الإعلام ولكن تأثيرها على الحرب الدائرة كان سطحيا. لأن "أضاليل" الإعلام لا يمكن أن تغير الواقع على الأرض وحقيقة أن الولايات المتحدة قد انهزمت. لقد اشتبكت مع عدو ماكر استطاع تحييد مميزاتها وهي التفوق بالسلح والتكنولوجيا كما استطاع تقييد مدى حركتها. مما يثير الصدمة، التفكير بأنه بعد ٤ سنوات من الصراع الدامي مازالت قوات الاحتلال لا تستطيع السيطرة على أية أرض خارج حدود المنطقة الخضراء. إن هذا اعتراف فظيع بالهزيمة.

الولايات المتحدة تخسر الحرب في العراق بكل المقاييس. ومع هذا فإن مصائب أمريكا هي ليست نتيجة أخطاء الإدارة أو استراتيجية فاشلة فحسب وإنما هي النتيجة الحتمية لعدو ذكي وشجاع يضرب بدون توقع ثم يختبئ بين السكان. وكما قال ماو تسي تونج: "يجب على المقاومة أن تتحرك وسط الناس كما تسبح السمكة في البحر"، وقد أجادت المقاومة العراقية هذه المهارة بحذق لم يتوقعه أحد.

إن علامات الانتصار في حرب العصابات معروفة للجميع. يجب على الجيش المحتل أن يضمن الأمن بسرعة من أجل مساندة عموم السكان. لهذا فإن مهمة "كسب القلوب والعقول" مسألة ضرورية. إذا كان الاحتلال

مكروها على نطاق واسع، فسوف يكون إعادة الإعمار والأمن مستحيلا
وينتفش الصراع المسلح. والآن ٨٠% من الشعب العراقي يريدون انسحابا
سريعا للقوات الأمريكية، وهكذا نكون على يقين من أن النصر، بأية طريقة
تفسره، لم يعد في الإمكان.

لقد بلغت حرب العصابات في العراق مستوى جديدا من التطور. بعد
٤ سنوات، لانعلم عن المقاومة وأساليب عملها أكثر مما علمناه في بداية
الغزو. هل هناك قيادة مركزية أو مجرد خلايا صغيرة مستقلة؟ كيف يتواصلون
فيما بينهم؟ هل لديهم مصدر معتمد لإمدادهم بالأسلحة والمتفجرات؟ ماهي
مصادر تمويلهم؟ كم يبلغ عدد المقاومين؟ كم عدد النساء فيهم؟ هل
يتحركون في أنحاء البلاد ام يبقون في مكان واحد؟ هل هناك متبرعون
أجانب أم أن تمويلهم ذاتي؟ إلى أي مدى يدعم الشعب أنشطة المقاومة؟

بدون أن نعرف الإجابة عن هذه الأسئلة، فإن الولايات المتحدة بكل
معداتها عالية التقنية للمراقبة والرصد، لا تزيد على أن تكون عملاقا أعمى
يتخبط ويتعثر حوله بدون هدف. إن الاعتماد على اعتقال وتعذيب الرجال في
سن التجنيد من أجل جمع المعلومات عن المقاومة وشبكاتهما ارتد بفعل
عكسي، حيث أوغر صدور الناس ضد الاحتلال وقضى على مزاعم أمريكا
بتفوقها الأخلاقي.

إن حرب العصابات هي حرب استنزاف. أي إنهاك منتظم لقوى ومعنويات العدو. والهدف هو ابتكار خطط موازية عديدة من أجل زعزعة توازن العدو ووضعه في موقف الدفاع. يجب على رجال العصابات البحث عن نقاط الضعف والهشاشة وهم ينفذون مخططا للتخريب والخداع. وكما نصح ماو "انسحبوا حين يتقدم العدو وشاغلوه حين يتوقف وأضربوا حين يضعف وطاردوه حين ينسحب".

إن التأثير الإجمالي لهذه الاستراتيجية واضح أمامنا. لقد أصبحت أهداف الحملة غامضة وموحلة، ومعنويات الجنود تتدهور باستمرار إلى الحضيض، وليس هناك علامات واضحة على النجاح. وفي ظل هذه الظروف، فإن زيادة قوة الجنود دلالة على اليأس. "النصر" يكون مستحيلا حين لا يملك أحد ما فكرة واضحة عما يعنيه النصر. هذه هي مشكلة شن حرب من أجل الاستيلاء على ثروات وموارد دولة أخرى. في النهاية يسقط قناع الايديولوجية وينكشف للجميع وجه الخداع الحقيقي.

هناك ميل لدى الغرب لتهميش إنجازات المقاومة العراقية ولكن لا أحد يستطيع أن يجادل في النتائج. بأسلحة وموارد بسيطة، استطاعوا مناورة ومداورة وقهر أكبر قوة حربية وأفضلها تقنية في العالم والتاريخ. وهذا ليس بانجاز قليل. وأتوقع أن الكثير من الضباط الأمريكيين الكبار يشعرون بالاعجاب سرا بعمليات العدو. لقد شنوا معركة عظيمة في ظروف صعبة وقد

نجحوا رغم ضآلة حظوظهم في الاتصالات والجوانب اللوجستية والأسلحة والدعاية والتحرك والتموين. وبأبسط الأسلحة ومعدات صناعة القنابل، وضعوا رأسهم برأس أعظم قوة في العالم وأجبروها على التوقف.

في الواقع أن المقاومة العراقية نجحت حيث فشل الكونغرس والأمم المتحدة وملايين المواطنين المناهضين للحرب في أنحاء العالم: لقد أصابت عناد بوش بالضربة القاضية.

في الأسبوع الماضي أقر الجنرال مايكل مابلس بأن هجمات المقاومة ازدادت "في الحجم والفتك والحدة". والهجمات على القوات الأمريكية تصل الآن إلى ١٨٠ كل يوم، ضعف العدد في السنة الماضية. والنزاع المسلح يصبح أكثر قوة بمرور الأيام.

وفي نفس الوقت، مشاكل بوش تستمر في التراكم. جيشه موزع إلى حد الانهيار، الاقتتال الطائفي في تصاعد، وحكومة المالكي فشلت في حل الميليشيات أو اقتراح استراتيجية لتوفير الأمان خارج المنطقة الخضراء.

لم ينجح أي جانب من جوانب الاحتلال.

وخطط بوش للعراق مصيرها الفشل لأنها قائمة على منطق خاطئ. أن القوة الكاسحة والعنف الهائل لا يأتي بحلول سياسية، بل بالمزيد من سفك الدماء .

الطريق الوحيد أمام الولايات المتحدة للخروج من ورطتها هو إعلان وقف إطلاق النار فوراً والتفاوض مع قادة المقاومة الوطنية العراقية، وعقد اجتماع بين الطوائف العراقية (السنة والشعية والكردي) والموافقة مبدئياً على إنهاء انسحاب كل القوات الأمريكية.

حتى في هذا الوقت المتأخر، هناك تردد بين الجماعات المحافظة والليبرالية على السواء للاعتراف بأن المقاومة التي يقودها البعثيون ويدعمها السنة يجب التعامل معها وأجلاسها على طاولة المفاوضات. (أتحفظ على كلمة السنة فالمقاومة يدعمها كل أطراف الشعب - المترجمة) المفاوضات مع المقاومة العراقي هي "الخطوة الأولى" على طريق حل سياسي.

أما "الاستمرار في المسيرة" أو "انسحاب تدريجي" أو حتى الاجتماع مع القوى الإقليمية (مثل سوريا وإيران) فهي علاجات سطحية لا تعالج القضية المركزية. تحتاج الولايات المتحدة إلى عقد صفقة مع الرجال الذين (يحملون البنادق ويحشون المتفجرات) أنهم هم الذين يقاتلون في هذه الحرب وهم الذين سوف يقررون شروط التسوية السياسية.

مسألة أن تجري المفاوضات الآن أو بعد ٥ سنوات من الآن، تعتمد كلياً على جورج بوش ولكن نتيجة الحرب واضحة أمامنا. لقد هُشمت أحلام

بوش الإمبريالية على أيدي مجموعة من الوطنيين العراقيين الملتزمين بالدفاع
عن وطنهم. لقد سدوا طريق طهران ودمشق ومهدوا الطريق لتحرير
بلادهم .

ترجمت ٢٤/١١/٢٠٠٦ مصدر المقالة:

<http://www.informationclearinghouse.info>

- مايك وتي - أسترالي مقدم برامج تليفزيونية ولاعب كريكت سابق، ولديه فرقة موسيقية يحول بها
الأقاليم لجمع تبرعات للأعمال الخيرية.

في الإدارة الأمريكية الحالية الرئيس ظل الله في أرضه

كاثرين يوريكا

كيف يمكن أن تتفق أفعال الشر مع المعتقدات المسيحية؟

من المهم أن نفهم أن مؤسس مذهب السلطانية
dominionism يجلسون على قرون معضلة أخلاقية.

كيف يمكن للقائد أن يكون شريرا وطيبا في نفس الوقت؟ وإذا طبقنا
التعاليم الأخلاقية الإنجيلية عليه، فلا بد أنه سيخضع إلى نوع من التحريم.
وإذا طبقنا تلك التعاليم فإن القائد لا يمكنه أن يكذب على المواطنين مع
وجود حصانة ضد العقاب أو أن يفعل الشر لتحقيق (الخير). إن جواب
معضلة كيف يكن الزعيم السلطاني شرا ويحتفظ بنفس الوقت بمكانة الشرف
في المجتمع المسيحي، يكمن في قبول وتبني المبدأ الكالفيني الذي كتب
جيمس هوج عنه في (المذكرات والاعترافات الخاصة لخاطي مبرر).

وهذه الرواية التي نشرت في ١٨٢٤ تدور حول الانحراف النفسي وبهذا الشكل تمهد لأدب القرن العشرين. والعمل يدور حول شاب اسمه روبرت متعصب تعصبا دينيا أعمى للكالفينية ويستنتج أنه كان مكتوبا له قبل بداية العالم لدخول الجنة وهكذا فليس هناك أي خطيئة يرتكبها تحول دون دخوله الجنة وهذا الاعتقاد حرر روبرت ليصبح قاتلا في سبيل المسيح وكنيستته.

وقبل خمسين سنة انتشر مفهوم مماثل (من تغفر مرة ذنوبه - يغفر له إلى الابد) وبهذه النظرة فإن الغفران لاعلاقة له بالقيام بأعمال جيدة أو العيش بالتقوى. فالمخمر المولود ثانية سيكون من الذين اختارهم الرب سواء توقف عن الإدمان أو استمر. والامتداد المنطقي لهذا المفهوم هو فكرة أن يكون ضمن المسيحية ليس خاطئين سابقين وإنما خاطئين عاملين مثل القتلة المسيحيين والمغتصبين المسيحيين واللصوص المسيحيين وكل سلوك إجرامي ومنحرف ممكن. وكما نشهد الآن فإن هذا الفهوم انتشر بشكل واسع داخل الكنائس الأمريكية.

ولكن السلطانيون كانوا في حاجة لاعتناق هذا الامتداد للكالفينية، فهم يؤمنون بأن كل البشر قبل خلق الكون كان قد تقرر مصيرهم سلفا فهم أما من الصفوة المختارة من قبل الرب وأما مطرودين من رحمته.

وقد أدخل السلطانيون تعديلا جديدا على الكالفينية اسمها التقني (supralapsarianism) وتعني أن الإنسان الذي اختاره الرب ليكون ضمن الصفوة معصوم من الخطأ. ولاعجب أن المراقبين لاحظوا تحولا دينيا في جورج بوش من المذهب الويزلي إلى الكالفينية بعد قليل من تولي منصبه.

كم هي مريحة هذه الفكرة الكالفينية حول (الخاطئ المبرر) عندما يريد قائد ما أن يمارس اساليب ميكيافيلي للاستيلاء على السلطة في دولة ما. أنها أكثر من مريحة. أنها مبدأ مطلوب للمسيحيين الذين يؤمنون بأن عليهم استخدام الشر لتحقيق الخير. أنه يبرر الكذب والقتل والنصب وكل الأفعال الإجرامية بدون الحاجة إلى معاناة مشاعر الإحساس بالذنب بسبب الأفعال العسكرية والاعتقالات والقتل.

إذا كان هذا المبدأ يبدو بعيدا عن التصديق ولا بد أنه كذلك لأنني لم أقرأ أو أسمع مؤخرا أي نقد أو تعليق أو حوار مع رجل دين، فاطمئنوا لأن هذه العقيدة حية وتزدهر في أمريكا اليوم.

صلة المحافظين الجدد بالميكيافيلية والسلطانية

أشك في أن أغلب الأمريكيين لم يسمعوها باسم ميكيافيلي، ولكن يجب إلا يفاجئنا أن ميكيافيلي كان مقروءا ومحبويا من المحافظين الجدد في البيت الأبيض وتعاليمه متبناة بشكل أعمى من قبل الدومنيونيين

المسيحيين. ويخبرنا كيفن فيليبس في كتابه العظيم (السلالة الأمريكية) بأن كارل روف الاستراتيجي السياسي للرئيس جورج بوش هو أحد المعجبين لميكيا فيلي كما كان سابقه (لي اتواتير) الذي خدم الرئيس بوش الأب. وفي الواقع كانت هناك جهودا لاتصدق لمحو الإيحاءات اللاأخلاقية من تعاليم ميكيا فيلي. واليوم أفضل مدافع عن ميكيا فيلي هو أحد الأصوات المؤثرة في واشنطن والذي له علاقات مباشرة مع المكتب البيضاوي (مكتب رئيس الولايات المتحدة).

مايكل لدين Ledeen كان زميلا أقدم لمركز الدراسات الاستراتيجية والدولية ومستشار مجلس الأمن القومي ومستشار خاص لوزير الخارجية الأسبق اليكساندر هيج في ١٩٨٥. وتعود علاقته مع بات روبرتسون إلى بداية الثمانينات. ومثل روبرتسون كان لدين مدافعا عن التدخل العسكري في نيكاراغوا ومساعدة الكونترا. (كان لدين متورطا أيضا في فضيحة إيران كونترا).

اليوم في ٢٠٠٤ يشغل مايكل لدين منصب زميل فيدبابة الفكر (think tank) معهد انتربرايز الأمريكي وطبقا لوليام بيمان من خدمة أخبار الباسيفيك (أصبح لدين القوة الفلسفية الدافعة خلف حركة المحافظين الجدد والأعمال العسكرية التي تقوم بها). وقد ظهر لدين عدة مرات خلال الثمانينات في برنامج (نادي ٧٠٠) الذي يقدمه بات روبرتسون وكان دائما

يقدم كضيف بارز وقد سأله روبرتسون في ٣٠ نيسان/إبريل ١٩٨٥ (ماذا يمكنك أن تنصح به الرئيس ريجان في مجال السياسة الخارجية؟)

أجاب لدينيجب أن توضح الولايات المتحدة للعالم وقبل كل شيء لمواطنيها ماهي مصالحنا الحيوية، ثم يجب أن نوضح للجميع أننا مستعدون للقتال والقتال بضراوة للدفاع عن تلك المصالح حتى لا يعبر الناس الخطوط التي يمكن أن تمس وترا حساسا.

إذا كانت نصيحة لدين أعلاه تبدو قاسية وميكيفيلية فذلك لأنها ميكيفيلية (وبتفسير كلامه، أنه يفترض وجود عدة أشياء (مهتدة) لحياة الأمة وذلك باستخدام كلمة (حيوية). ولكن لدين يؤكد أن كل ما يهدد الحياة يجب أن يعرف أو يعلن بشكل واضح. وإذا كان يجب توضيح أو تعريف المصالح فإذن هي غير ظاهرة. ومع ذلك فالأمة سوف تدعو أبناءها وبناتها للقتال والموت من أجل شيء غير واضح. لذلك أيا كانت (المصالح) التي يريد لدين توضيحها، لا يمكن أن تكون مصالح (حيوية) ظاهرة - إذن في الحقيقة هو ينصح الرئيس أن يسمى المصالح (الخفية) مصالح حيوية - وهذه كذبة).

وأرجو الانتباه إلى أن لدين متوافق تماما مع التفكير الميكيفيلي. وكذلك بات روبرتسون الذي كان يوافق لدين على كل كلمة يقولها. وفي الواقع ليس واضحا من مهما كان أول من اقترح غزو سوريا وإيران والعراق

في الثمانينات. وهو اقتراح تردد صداه في مشروع القرن الأمريكي الجديد أحد المؤسسات المهمة للمحافظين الجدد في عام ٢٠٠٠. لقد استهدف كلا من لدين وروبرتسون نفس الشعوب التي وصفها المشروع بأنها أكبر أعداء أمريكا في ورقته البحثية (إعادة بناء دفاعات أمريكا) الذي نشرت في أيلول / سبتمبر ٢٠٠٠.

في عام ١٩٩٩ نشر لدين كتابه (ميكيا فيلي حول القيادة الحديثة: لماذا قواعد ميكيا فيلي الحديدية مهمة ومواكبة لعصرنا هذا كما كانت قبل خمسة قرون). وأدناه نموذج لكيفية تلطيف لدين للمبادئ الخشنة وكيف يقدم ميكيا فيلي معاصر:

من أجل تحقيق أنبل الإنجازات قد يكون على القائد أن (يدخل في دائرة الشر). هذه هي الرؤية المرعبة التي جعلت ميكيا فيلي مرهوبا وموضع إعجاب ومحتديا. إنها السبب في أننا مازلنا ننجذب إليه).

ويقول أيضا:

(كما أن السعي من أجل السلام بأي ثمن قد يدعو لشن حرب أو أسوأ من حرب، الهزيمة والهيمنة، فكذلك الأفعال الخيرة أحيانا تدعو لانتصار الشر كما أن هناك ظروفًا لا تستطيع تحقيق الخير فيها سوى بارتكاب الشر).

من الواضح أن لدين يؤمن بأن (الغاية تبرر الوسيلة) ولكن ليس في كل الأوقات. كتب يقول (إن الكذب شر) ثم يناقض نفسه فيقول إن الكذب:

(نتيجة رائعة وضرورية لمصائر الأمم ولنجاح المشاريع الكبيرة).

ويضيف كل شيء جائر في الحرب والحب. إن ممارسة الخداع لتنال رغبات قلبك قد لا تكون مشروعة فحسب وإنما لذيذة!

ويخبرنا وليام بيتمان عن تأثير مايكل لدين إذ يقول في مقالة لأخبار

الباسيفيك:

"تكرر أفكار لدين يومياً من قبل شخصيات مثل ديك تشيني ودونالد رامسفيلد وبول ولوفتزر. أنه يعتقد أساساً أن العنف هو قدر أمريكا لنشر الديمقراطية. وبالتالي فقد أصبح المشرع الفلسفي للغزو الأمريكي للعراق".

وفي الواقع فإن تأثير لدين يتجاوز ذلك بكثير، فهناك تقارير في البي بي سي والواشنطن بوست وآسيا تايمز تقول إن مايكل لدين هو المحلل الوحيد للقضايا الدولية الذي يستشير كارل روف وأنه يتحدث معه بشكل منتظم. وتقول واشنطن بوست (أكثر من مرة شهد لدين بأن أفكاره التي كان يرسلها بالفاكس إلى روف قد أصبحت سياسة رسمية أو موضوعة في الخطاب الرسمي).

ليو شتراوس الأب الروحي للمحافظين الجدد

ولد ليو شتراوس عام ١٨٩٩ ومات عام ١٩٧٣. كان باحثاً يهودياً هرب من ألمانيا عندما استولى هتلر على السلطة. وقد لجأ إلى الولايات المتحدة، حيث بدأ يلقي دروساً في العلم السياسي في جامعة شيكاغو. وأشهر ما عرف به هو أحيائه لميكيا فيلي وتقديم مبادئه باعتبارها الفلسفة الدافعة لحركة المحافظين الجدد. وقد سمي شتراوس عراب "عقد نيوت جينجربش مع أمريكا". وأكثر من أي إنسان آخر نفخ شتراوس في روح المحافظين لتنهض من حالتها المتجمدة ومقتها الطبيعي للتغيير ولاحتضان النظرية السياسية الجديدة التي تمتطي ظهر فرس ثوري داعياً لتغيير راديكالي ومن هنا جاء الاسم (المحافظين الجدد).

والأب الروحي لحركة المحافظين الجدد له عدة أبناء (روحيين) في جامعة شيكاغو منهم: بول ولفوفتزر وإبرام شولسكي اللذين حصلا على شهادتي الدكتوراه بإشراف شتراوس في عام ١٩٧٢. وكان هاري يافا طالبا لدى شتراوس وله صلات مهمة مع السلطانيين أمثال بات روبرتسون كما سنرى لاحقاً. وعلى أية حال، توسعت عائلة شتراوس المؤثرة خارج نطاق طلبته لتشمل أساتذة في الجامعات وتلامذة طلابه. ومن الأسماء المعروفة الذين انضموا إلى حركة المحافظين الجدد كان: القاضي كلارينس توماس وروبرت بورك وارفينج كريستول وابنه وليام كريستول والان كيس ووليام بينيت

ودانفورث كويل، والان بلوم وجون بودهوريتز وجون اجريستو وجون اشكروفت ونيوت جنجرش وكاري بور ومايكل لدين، وعشرات غيرهم من الذين يتولون مناصب مهمة في إدارة جورج بوش في البيت الأبيض والبتاغون. (الأسماء كلها يهودية).

من أجل فهم الروح الشتراوسية التي بثت في عالم المحافظين المتجمدين، تخيلوا شرا خالصا. أن شتراوس يقر بأن ميكيافيلي رجل شرير ولكن طبقا لشتراوس فإن إقراره هذا شرط ضروري قبل دراسة وفهم ميكيافيلي: أن الإقرار هو شبكة الأمان التي تحفظ القارئ من أن يناله الفساد. وهذا القول يغري المرء أن يرد على شتراوس ليشير إلى بديل: أن الإقرار هو الامان الذي يحفظ الإنسان من أن يجابه بالسخرية والرفض لاعتناقه أساليب ميكيافيلية.

وفي أحد اهم الكتب في عصرنا هذا، توضح شاديا دروري في كتابها (ليو شتراوس واليمين الأمريكي) أن الأفكار الكامنة وراء التأثير الكبير لشتراوس ولشهرته ترجع إلى وجهة نظره بأن (على الفيلسوف الحقيقي أن يتواصل بهدوء وبخبت وفي الخفاء مع القلة الجديرة باستقبال رسالته)، ويدعي شتراوس أن السرية ضرورية لتجنب (الملاحقة).

من وجهة نظر شتراوس، يرى ميكيافيلي أن المسيحية (قادت العالم إلى حالة الضعف التي يمكن أن تصحح بإرجاع العالم إلى الممارسات

القديمة للماضي) (والمقصود ليس إرجاع العالم إلى ماضيه الوثني وإنما العودة إلى عالم التوراة)، ويقول شتراوس (كان ميكيافيلي يحتاج إلى نقاش موسع يكشف التناقض بين تعاليمه السياسية وتعاليم التوراة)، وهذه الجملة هي التي دفعت المسيحيين من المحافظين الجدد إلى البحث عن العلاقات المتبادلة بين الميكيافيلية والمحافظية الأصولية والكتاب المقدس.

وقد تضمنت تعاليم شتراوس الكثير من تعاليم ميكيافيلي. وبشكل مثير للاهتمام كانت فلسفته معادية للديمقراطية. وفي نفس الوقت كان شتراوس يؤمن بضرورة وجود دين قومي، ليس لأنه يجذب الممارسات الدينية ولكن لأن الدين في نظره ضروري من أجل الهيمنة على المواطنين. وطالما أن تلاميذ شتراوس هم الموجودون الآن في الإدارة الأمريكية فقد أعدت قائمة قصيرة تبين الأسس اللامسيحية للمحافظين الجدد:

أولاً: يؤمن شتراوس بأن على القائد أن يخدع باستمرار المواطنين الذين يحكمهم.

ثانياً: يجب على القادة أن يفهموا أنه ليس هناك أخلاقيات، هناك فقط حق الأعلى للهيمنة على الأدنى.

ثالثاً: كما جاء في كتاب دروري: "الدين هو الصمغ الذي يلصق المجتمع معاً. إنه الأداة التي يستطيع الحاكم بواسطتها أن يستغل الجماهير. واي دين ينفع. شتراوس لايهتم بأي دين بشكل خاص".

رابعاً: "المجتمع العلماني هو الأسوأ على الإطلاق"، لأنه يقود إلى الفردية والتحرر وكل هذه تؤدي إلى العصيان والتمرد".

خامساً: "يعتقد شتراوس أن النظام السياسي يمكن أن يكون مستقراً في حالة واحدة هي أن يوحد بتهديد خارجي وطبقاً لميكيا فيلي كان شتراوس يقول إنه إذا لم يكن هناك خطر خارجي موجود فعلاً، اختلقه".

سادساً: "في نظر شتراوس مشكلة المجتمع الليبرالي أنه يستغني عن الأكاذيب النبيلة والحيل التقيّة. أنه يحاول أن يؤسس مجتمعاً على أسس عقلانية علمانية".

تلميذ شتراوس: هاري يافا في برنامج تلفزيوني

لمدة أربعة أيام في تموز/يوليو ١٩٨٦ حاور بات روبرتسون المحافظ الجديد الدكتور هاري يافا التلميذ السابق لليو شتراوس في برنامجه التلفزيوني نادي ٧٠٠. كان الموضوع أهمية (إعلان الاستقلال). وكان الضيف الآخر هو هيرب تيتوس عميد كلية السياسة العامة. وكانت سلسلة الحوارات هذه من أهم اللحظات الفكرية في تطور الأجندة السياسية والفلسفة السياسية للدومنيونية.

لقد كانت أفكار يافا مؤثرة فيما بعد في التفسير الجديد للدستور كما قدمه المحافظون وفي تقديمهم وجهة نظر (مسيحية) في تأسيس الولايات

المتحدة تلغي فكرة العقد الاجتماعي العلماني. وسوف يؤثر هاري يافا في كلارينس توماس (الذي سيصبح فيما بعد قاضيا في المحكمة العليا بأمر من جورج بوش الأب في عام ١٩٩١) وانتونين سكاليا (الذي سيعينه الرئيس رونالد ريغان قاضيا في المحكمة العليا في أيلول/سبتمبر ١٩٨٦).

خلال الحوارات في الأيام الأربعة اتفق يافا وتيتوس على أن وثيقة إعلان الاستقلال هي الوثيقة الرئيسية وأنها تسبق في الأهمية الدستور. قال تيتوس: "الإعلان.. هو وثيقة الأمة. هي مايمكن أن تسميه مواد التأسيس في حين أن الدستور هو القوانين الجنائية. الدستور هو وسيلة لتنفيذ الأهداف العظيمة التي تضمنها الإعلان".

وسأل روبرتسون: "دعونا نفترض أن ثمانين بالمائة من الناس بدون اخلاق تماما، يريدون أن يعيشوا حياة فاسقة ويريدون أن يفترس أحدهم الآخر هذا مايريدونه ويريدون حكومة تسمح لهم بذلك. كيف يتوافق ذلك مع إعلان الاستقلال وموافقة المحكومين؟".

قال تيتوس: "حتى الشعب لا يستطيع أن يوافق على توزيع الأملاك التي يعتبرها الرب غير قابلة للتحويل".

وسأل روبرتسون: "المبادئ التي احتواها إعلان الاستقلال، إلى أي مدى ابتعدنا عنها وماذا نستطيع أن نفعل لعلاج بعض هذه المشاكل؟"

قال يافا: "يمكن أن أقول اليوم بأنه اليوم مثلا في صراع المدعي العام (ادوين ميس) مع الليبراليين حول المكمة العليا وفي دعواه للقصد الأصلي يرجع إلى نص الدستور. لقد قال جيفرسون وماديسون معا في ١٨٢٥: "إذا أردت أن تجد مبادئ دستور الولايات المتحدة فعليك أن تذهب أولا إلى إعلان الاستقلال".

أولا: أن يافا يعني باستخدام مصطلح (القصد الأصلي) أن الدستور يجب أن يفسر طبقا لما كان يعنيه عندما كتب لأول مرة. وهي فكرة ثورية وبارعة سوف تسمح للسلطانيين إلغاء أكثر القرارات القضائية التي صدرت في القرن الماضي.

ثانيا: إن إذا صدقنا يافا والسلطانيين ورجعنا إلى وثيقة عن الاستقلال سوف نرى كيف كانت ثورة المحافظين والسلطانية أصولية. والجزء الوحيد الذي اقتبس علينا كان هذه الكلمات:

"نحن نقر بأن هذه الحقائق توضح نفسها، أن كل الناس خلقوا متساوين وأن خالقهم أنعم عليهم بحقوق معينة لا يمكن انتزاعها، ومنها الحياة والحرية والسعي وراء السعادة. وأنه من أجل ضمان هذه الحقوق، تقام الحكومات بين الناس، وتستمد سلطاتها العادلة من موافقة المحكومين".

إن الاقتباس يتوقع في منتصف الجملة - والجزء الذي لم يقتبس أبدا

هو:

"وإنه أينما أصبحت أي شكل من الحكومات مخربة لهذه الأهداف، فمن حق الشعب أن يغيرها أو يلغيها وينصب حكومة جديدة، واضعاً أساسها على مبادئ ومنظماً سلطاتها على شكل بما يتناسب مع ما يروونه يضمن سلامتهم وسعادتهم".

إن (السلطانيين) إذن يستمدون سلطاتهم من إعلان الاستقلال للإطاحة بحكومة الولايات المتحدة، وفي الوقت الذي يفوق فيها الأمريكان على مقاصد السلطانيين يكون الوقت قد فات.

خطة الديانة الجديدة: اليوم الولايات المتحدة وغدا العالم

(السلطانية) هي شكل من أشكال الداروينية الاجتماعية. وهي تتضمن المعتقد الديني بأن الثروة هي علامة على اختيار الرب. أي أنه من كل شعوب العالم فإن الثروة بحد ذاتها تشير إلى رضا الرب عن رجال وشعوب في حين أن الفقر والمرض يعكسان غضب الرب. وأصل هذه الفكرة هي تفسير ملتوي لفقرة في العهد القديم. وأساساً هناك عصراً ضرورياً لترسيخ السلطانية بين المسيحيين الذين يؤمنون أن مساعدة الفقراء وأعمال الخير هي من أركان المسيحية.

أولاً: يجب تقبل شريعة التوراة كجزء ضروري من العقيدة المسيحية.

ثانياً: يجب أن يمر المسيحيون بتجربة مثل اعتناق ثانٍ للديانة تتجاوز مسألة مولود مرة أخرى (born again) وتطالب ليس فقط بالتزام لإعادة تأسيس الهيكل القانوني للتوراة وإنما تنفيذ ذلك القانون في شعوب العالم (بضمنها الولايات المتحدة)، استناداً إلى فهم مختلف للمهمة العظيمة (إنجيل متى ٢٨: ١٨-٢٠) تحت هذا المفهوم على (الدومينيون - السلطانيين) أن يغزوا كل العالم للاستيلاء على السلطان (dominion) و(اتخاذ اتباع) وتعليمهم (لتنفيذ) كل ما أمر به يسوع. وكل الشعوب التي تقع تحت تعاليم السلطانيين يجب أن تتحول إلى القوانين الإنجيلية التي هي أعلى مرتبة من القوانين العلمانية التي لم يضعها الرب أو يأمر بها. ويجب أن يكون المسيحيون أنفسهم راغبين في إطاحة كل القوانين العلمانية.

بتعبير آخر، أن مقياس روحانية أي شخص يكمن في رغبة أو إرادة الفرد في قبول مفهوم الهيمنة ليس فقط على شعب أمريكا ولكن على العالم كله. وفي كتابه (المملكة السرية) يفسر روبرتسون نص الكتاب المقدس أن مملكة السماء (تعاني من العنف والرجال العنيفون يأخذونها بالقوة) أن (أن الرجال المتحمسين يشقون طريقهم إليها بالقوة) هذا ماتعنيه".

ماذا تعني كلمة (سلطان) dominion

يقدر عدد الكنائس الأصولية في أمريكا في الثمانينات بحوالي ١١٠٠٠٠. كان روبرتسون يعلمهم من خلال شبكة التليفزيون الواسعة ومن خلال كتبه - بأن دور المسيحي هو السيطرة على الأشرار. وهدف السلطانيين هو خلق طبقة حاكمة مسيحية. ولكن من أجل تنصيب مسيحيين معينين فقط في مراكز السلطة يقسم السلطانيون المسيحيين إلى طبقات اعتمادا على الأيديولوجية السياسية وبعض القضايا الساخنة مثل خصخصة الرعاية الاجتماعية والطبية في الدولة، وحرية النشر وحرية الكلام وحرية الفنون وبعض الحقوق المعينة مثل الحق في الحصول على محاكمة عادلة والحماية من تدخل الحكومة في خصوصية الزواج وارتباطات البالغين.

والمؤمنون المناسبون للحكم يسمون (الصفوة) وهم منفصلون عن الآخرين الذين لا يؤمنون بوجود صفوة حاكمة. المسيحي الذي يرفع صوته ضد (الصفوة) يمكن أن يسمى (نبي كذاب أو حالم)، ولهذا وطبقا لقانون يجب أن يقتل.

كتب روبرتسون عن لسان الرب في كتابه (المملكة السرية)

(من الواضح أن الرب يقول: "أعطيت الإنسان سلطانا على الأرض ولكنه فقده. والآن أرغب بأبناء وبنات ينشرون باسمي سلطانا على الأرض

ويخضعون الشيطان، العاصي والمتمرد. أعيدوا عالمي من أولئك الذين سرقوه وأفسدوه. احكموا كما كنت سأحكم".

وفي برنامجه نادي ٧٠٠ ليوم ١٩٨٦/١/٥ قال روبرتسون:

(خطة الرب هي أن يكون لشعبه أيها السيدات والسادة سلطان. ماهو السلطان؟ أن السلطان هو الجلالة. إنه يريد شعبه أن يحكموا معه، ولكنه ينتظر منا أن نوسع سلطانه والرب يقول: "سوف أمهد لكم أن تخلصوا المجتمع". سوف يكون هناك إصلاح. لن نسمح بعد الآن لأولئك الخياليين في المحكمة العليا وفي واشنطن أن يحكمونا. لن نحتمل ذلك بعد الآن. سوف نقول لهم (نريد حرية في هذه البلاد، ونريد سلطة).

وقال في برنامجه ليوم ١٩٨٦/٥/١٣ :

(لقد تهاونا كثيرا وقلنا "الدين والسياسة لا يختلطان" لاتصدقوا ذلك. إذا لم يكن رجال الحكومة من الاتقياء إذن سنجدهم من الفساق. وليس هناك طريق آخر: إما أن يكون لديك أشخاص أخلاقيون أو أشخاص فاسدون).

وقال في برنامج آخر:

(نستطيع أن نغير الحكومة، نستطيع أن نغير نظام القضاء، نستطيع أن نغير مشكلة الفقر، نستطيع أن نغير التعليم، نستطيع أن نحدث فرق).

من الحاكم ومن المحكوم؟

(السلطانيون) يقررون من هم صفوة الرب - ليس فقط بالتجربة الدينية مثل (الولادة مرة أخرى)، ولكن التحديد السياسي: ما إذا كان الشخص جمهوري أو ديمقراطي أو لبرالي أو محافظ أو مجرد شخص ينتقد أفعال السياسيين السلطانيين. إن سياسات الإقصاء بضمها التعصب الأعمى، منتشرة بشكل واسع في أرجاء الولايات المتحدة.

إن الطبيعة الميكيفيلية لمذهب السلطانيين يفسر لماذا هوجم بيل كليتون بشدة مع أنه مسيحي متدين - بسبب تهوره الجنسي ولكن نيوت جينجرش وبيل ليفنجستون وهنري هايد وستروم ثرموند وعشرات من الجمهوريين الآخرين نجوا من العقاب العلني والإهانات اللفظية لنفس الاتهامات الجنسية (يبدو أن الليبراليين الديمقراطيين هم الذين يتعرضون فقط للقصاص الإنجيلي لأنهم لم يغفر لهم منذ بداية الزمان).

الإنجيل والحرب

في أحد برامج استضاف روبرتسون هيرب تيتوس وكان عميد كلية السياسة العامة وكان معروفا عنه أنه (سلطاني - دومنيوني).

سأله روبرتسون: "ما المفهوم الإنجيلي للحرب؟ بعض الناس يعتقدون أنها يجب ألا نشن حروباً؟

أجاب تيتوس: "أعتقد أن الكتاب المقدس واضح تمامًا في أننا إذا هوجمنا من قبل الشر من داخل البلاد أو خارجها، فواجب السلطات المدنية أن تدافع عن الأمة والشعب ضد الشر سواء جاء من معتد من الخارج أو معتد من الداخل. ونستطيع أن نرى ذلك المذكورًا في رسالة بولص الرسول إلى أهل رومية - الإصحاح ١٣".

ودهشت لأنني كنت قد قرأت مرارا هذا المقطع من رسالة بولص الرسول، وقد فهمتها على أنها مفهوم الحكومة العادلة التي تقدم خدمات إلى المحكومين، ولكن إذا قرأناها على ضوء فهم ميكيايلي وليو شتراوس للدين واستخداماته للأغراض السياسية، ندرك الخطر الذي يمثله (السلطانيون) على الشعب الأمريكي وأسلوب حياته. فالنصوص يمكن قراءتها لتعني أن كل حكومة شرعية مفوضة من الرب لتعاقب الذين يتمردون على سياساتها الظالمة. إذا فهمناها بهذه الطريقة تتخذ النصوص معنى جديداً ومخيفاً. أوقد تفسر أن أي حكومة جديدة للولايات المتحدة الأمريكية قائمة على الشريعة الإنجيلية، فلن يكون لأي مواطن الحق في التمرد عليها، وفيما يلي النص الأصلي لرسالة القديس بولص الموجهة إلى أهل رومية:

(لتخضع كل نفس للسلطين الفائقة، لأنه ليس سلطان إلا من الله والسلطين الكائنة هي مرتبة من الله. حتى أن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة. فإن الحكام ليسوا خوفاً للأعمال الصالحة بل للشريرة. أفتريد ألا تخاف السلطان. افعل الصالح فيكون لك

مدح منه، لأنه خادم الله لصالح، ولكن أن فعلت الشر فخفف. لأنه لا يحمل السيف عبثا إذ هو خادم الله منتقم للغضب من الذي يفعل الشر. لذلك يلزم أن يخضع له ليس بسبب الغضب فقط بل أيضا بسبب الضمير. فإنكم لأجل هذا توفون الجزية أيضا. إذ هم خدام الله مواظبون على ذلك بعينه."

وهذا الجزء إذا أخذناه حرفيا كما يميل الأصوليون إلى فعله، سيبدو وكأنه يحظر أي نوع من مقاومة سياسات الحكومة بضمنها الاحتجاجات السلمية والعرائض والكتابات. ويبدو أن قاضي المحكمة العليا انتونين سكاليا يصادق على هذا المفهوم فهو في مقالته (عدالة الرب وعدالتنا) يقتبس النص أعلاه، ليبرهن على أن الدين المسيحي ينص على أن "الحكومة تستمد سلطتها المعنوية من الرب"، فالحكومة بهذا المفهوم ليست فقط "رسول الرب"، ولكنها سلطة تنفيذ انتقام الرب".

-
- ارتأينا ترجمة كلمة **dominion** إلى (السلطان) ومنها (السلطانية، والسلطانيون) لوصف المذهب والمنتسبين إليه.
 - اعتمدنا في ترجمة هذا النص على (الكتاب المقدس) باللغة العربية الصادر عن: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط - طبعة سنة ١٩٩٩.
 - كاثرين يوريكا - ليس هناك الكثير عنها ولكنها تصف نفسها بأنها محللة سياسية ومن مقالاتها يبدو اهتماماتها بالتفسيرات الدينية للأحداث، وكذلك تهتم بالفلسفة والفن التشكيلي والأدب.

استراتيجية تفكيك العراق

إسرائيل شامير

كاتبها (إسرائيلي) من أصل روسي ويكتب بالروسية. يتميز بموقفه المناهض للعنصرية الصهيونية وللشوفينية اليهودية وللدور الذي تلعبه المنظمات اليهودية الداعمة للكيان الصهيوني ووسائل الإعلام التي تملكها أو توجهها لغسل الأدمغة وتزوير الحقائق. ويسبب موقفه تهمه المنظمات الصهيونية بمعاداة الصهيونية، وقد ترجم العديد من كتبه إلى العربية، ولكن بلدا مثل فرنسا منع كتبه وحاكم ناشره .

نشرت المقالة (استراتيجية التفكيك) في موقعه الشخصي
<http://www.israelshamir.net/Contributors/Contributor42.htm>

في هذه المقالة يشرح بوضوح ماذا أرادت أمريكا من العراق وكيف تعمل على تفكيكه، ولماذا، ويتحدث عن دور المقاومة العراقية في مجابهة هذا المشروع. مقالة جديرة بالاطلاع.

ينحدر المجتمع العراقي شيئا فشيئا إلى الفوضى، والكوميديانات وكتاب السخرية والمعلقون من كل الأنواع أثاروا ضجة كبيرة حول عدم كفاءة وغباء قادتنا. ولكن كما قالت صحيفة سبيكتاتور الكندية مؤخرا إذا حدث أن الولايات المتحدة لا يديرها أغبياء "ينبغي على المرء الاستنتاج أن الفوضى والفقر والحرب الأهلية في العالم الإسلامي، ليس نتائج غير مقصودة، بل هي بالضبط أهداف السياسة الأمريكية.

كما في ١١ أيلول التي أطلقت "الحرب على الإرهاب" فإن عدم الكفاءة هو التفسير (المفضل)، لسيناريو الكابوس في العراق اليوم. ولكن خطة تقسيم العراق عرقيا وطائفيا موجودة في سجلات منشورة. وإحياء لخطط صهيونية مبكرة، دعا المجلس الأمريكي للعلاقات الخارجية مؤخرا لإنهاء "دولة العراق غير الطبيعية" بحجة تنوعه الاثني، يقولون إن العراق هو بناء مصطنع ومزيف ونتاج قرارات استعمارية في بداية القرن العشرين. وهذا ينطبق على الكثير من دول لعالم، ولكن مع ذلك تبنى الفكرة مجموعات من (خبراء) لا يحلمون بمناقشة وضع إقليم كيبك، أو الباسك أو إيرلندا الشمالية. وبشكل نمطي، اعتبر المحلل السياسي مايكل كليمر مؤخرا أن العراق هو "دولة مفبركة من أجل تسهيل الاستيلاء على النفط في المنطقة وأن البريطانيين خلقوا "مملكة العراق" الخيالية بلصق ثلاثة أقاليم من الإمبراطورية العثمانية وانزلوا عليها بالباراشوت ملكا مزيفا جاءوا به من البلاد

التي أصبحت السعودية". وبقوله منطلق إدارة بوش الكاذب للاحتلال، عزا كلير المقاومة السنوية بأنها الرغبة في الحصول على حصة في عوائد النفط في التقسيم المستقبلي للبلاد. ومالم يفكر فيه هو أن تكون المقاومة تتجاوز (السنة) أو أنها قائمة بسبب الوطنية العراقية أو الحاجة إلى تقرير المصير.

إن السهولة التي يقرر بها الأكاديميون الغربيون إعادة تشكيل البلدان التي يختارونها يعود إلى تراث الاستشراق المستمر. ففي أسلوب كلاسيكي يرجع إلى القرن التاسع عشر، تقول الطبقة الثرثرة إن العراق، رغم تاريخ خمسة آلاف سنة، لا يمكنه الآن من إدارة نفسه وهكذا فإن مصيره يجب أن تقرره قوى خارجية. أن الدولة التي تماسكت وصمدت في ١٩٩١ خلال ستة أسابيع من أكبر حملة قصف في التاريخ (التي حسب الأمم المتحدة أرجعت العراق إلى عصر ما قبل الصناعة) واستمرت هذه البلاد في العيش والصمود لمدة ١٢ سنة من أقسى وأشمل عقوبات فرضت على شعب من الشعوب، أصبح الآن في خبر كان، كما يزعم الخبراء الغربيون. ومن أجل تعزيز نظريتهم، يعاد بث أسطورة العداوات الطائفية القديمة وحجة "التدخل الإنساني"، وتلقم للصحف ووسائل الإعلام التي تنشرها بدون تحر أو فحص حقيقة الهجمات (الطائفية) أو حتى عرض وجهات نظر العراقيين العاديين، الذين يلومون الاحتلال وصنيعته الحكومة في إحداث الفوضى.

تفكيك العراق

بدأ التحضير للعراق مباشرة بعد العدوان في ١٩٩١ مع فرض مناطق حظر الطيران في الشمال والجنوب، بمعاونة الإعلام الغربي الذي بدأ يتحدث عن البلاد بصفتها ثلاثة أقسام معادية لبعضها البعض. لقد أقيم المسرح. أول خطوات تنفيذ الخطة المدبرة لتدمير المجتمع العراقي كان بالنهب المنظم للمتاحف (فقدت ١٧٠ ألف قطعة) وحرق المكتبات بعد ٢٠٠٣. كان هناك جانبان للنهب، الأول عشوائي وفوري، والثاني هو التهريب المنظم للآثار من اوروك ونمرود ونيوى ومسجد النبي يونس. السرقة كانت تحتاج إلى بنى تحتية لوجستية مهيأة، في حين أن بيع الغنيمة صار سهلا بتدمير منظم لكل أراشيف وسجلات المتاحف، وحين نصح أول رئيس للاحتلال وهو الجنرال جي جارنر بالحفاظ على الجيش العراقي وإقامة حكومة تحالف، أقاله وزير الدفاع رامسفيلد وجاء بخلفه بول بريمر الذي حل الجيش والمؤسسات الوطنية المهمة إضافة إلى "إضاعة" ٩ بلايين دولار من عائدات النفط العراقي.

وقد شكل الجيش الدمية (العميل) من الميليشيات الكردية والشيعية، وهي حركة متعمدة خصيصا لزرع بذور الطائفية. في هذه الأثناء بدأ قتلة مجهولون في اغتيال الأكاديميين العراقيين لإفراغ البلاد من عقولها وبهذا منع العراق من المعافاة.

وحيث نشطت جماعات المعارضة المسلحة في البلاد، حدثت سلسلة من الأحداث التي تحمل طابع عمليات سرية مصممة لإذكاء الصراع الطائفي وتشويه المقاومة العراقية. فيما يلي ملخص لأهم تلك الأحداث المريبة:

بعد ١٢ سنة من وجودها في العراق، تستهدف الأمم المتحدة

حين انفجرت شاحنة محملة بالمتفجرات عند مقر الأمم المتحدة بعد أربع أشهر من الاحتلال، وقتلت فيمن قتلت المبعوث سيرجيو فيرا دي ميلو و ١٩ آخرين، شخص بريمر المجرمين كونهم أحد اثنين:

"أزلام صدام أو مقاتلون أجنب"، ولكن على أية حال كان أحمد الجبلي أحد عناصر مجلس الحكم قد تسلم إنذارا قبل الهجوم بإسبوع، بأن "هدفا سهلا" سوف يهاجم، ولكنه ليس "سلطة الائتلاف أو قوات التحالف" ولكن الأمم المتحدة التي سحبت حمايتها في ذلك اليوم، لم تحذر. (صحيفة آسيا تايمز ٢٠ آب ٢٠٠٣)

كربلاء وبغداد

في تشرين ثان ٢٠٠٣، والمقاومة تنزل الخسائر بقوات الاحتلال، بدأ الإعلام والحكومة المؤقتة بقرع طبول غسيل دماغ طائفي. بعد أسابيع من التخويف بحرب أهلية، حصلت تفجيرات منسقة قتلت ١٤٣ شيعيا في كربلاء وبغداد، ووضع اللوم على "القاعدة"، ولكن الصحفي روبرت فسك

سأل السؤال البديهي "إذا كانت هناك جماعة سنية عنيفة تريد أن تخرج الأميركيان من العراق، لماذا تريد أن تستعدي السكان الشيعة ضدها وهم الاغلبية في العراق؟" لم يجب أحد، واستمرت الهجمات غير المبررة.

الإسكندرية

في بداية شباط ٢٠٠٤ زعمت السلطات الأمريكية أنها حصلت على رسالة من العراق تسأل "القاعدة" للمساعدة في صنع حرب أهلية. وتقريبا على الفور كما لو أنه تأكيد للرسالة، حدث انفجار قتل ٥٠ من الشيعة في مدينة الإسكندرية. أعلنت الإندبيندانت "الإرهابيون يشعلون حربا أهلية"، مما يناقض أقوال سكان المدينة الذين، بدون استثناء، وصفوا الانفجار على أنه قصف جوي "سمعوا صوت مروحية ووشيش صاروخ يهبط قبل الانفجار"، والانفجار نفسه ترك حفرة عمقها ثلاثة أمتار، وهو ما يتركه صاروخ وليس سيارة مفخخة (الإندبيندانت ٢٠٠٤/٢/١١).

القاعدة في العراق

كما هو حال المنظمة الأم، لا شيء يبدو حقيقيا بالنسبة لهذه الجماعة حتى ٢٠٠٤، لم تنسب القاعدة وهي (سنية) بأي كلمة ضد الشيعة، ولكن فيما تتصاعد المقاومة العراقية، طفا إلى السطح فجأة الأردني (الميت) أبو مصعب الزرقاوي وهو يدعو إلى الحرب ضد الشيعة (الكفار)، ومضى لشن حملة موازية للهجوم على المدنيين بدلا من جيش الاحتلال. في السنوات

التالية، أينما أزدت القوات الأمريكية شن عدوان في العراق، كان يقال أن الزرقاوي "مختبئ" في تلك المنطقة، ودائما ينزلق من بين ايديهم ويهرب إلى منطقة أخرى. في تشرين ثان ٢٠٠٤ دمرت الفلوجة وقتل الآلاف من أهلها ومع ذلك كانت المراقبة الأمريكية من الشدة، بحيث أنها شاهدت الزرقاوي بساقه الخشبية يهرب من اليوم الأول! كان الزرقاوي مثل سلاح دمار شامل متحرك يظهر عند اللزوم. وبقيت قصته لا تصدق حتى النهاية، فإن الصورة التي بثت وهو مقتول، تظهر جسدا خاليا من الإصابات إلا من بضعة خدوش بينما الرجل قتل بقنبلة زنة ٥٠٠ رطل .

نك بيرغ ومارجريت حسن وفضيحة أبي غريب

في نيسان ٢٠٠٤، أصبحت الفلوجة المدينة المقاومة الأولى وتحت سيطرة المقاومة، وفي نفس الوقت أثار الاضطهاد الأمريكي جيش المهدي في النجف ووجدت الولايات المتحدة نفسها تشن حربا على جبهتين، وبرزت مظاهر التعاطف بين السنة والشيعة حيث تجمع في ٩ نيسان حوالي ٢٠٠ ألف سني وشيعي للصلاة في جامع سني في بغداد، حيث حذر الخطيب من حرب أهلية يصنعها الاحتلال حتى يطيل أمد بقاءه. وقد خرجت إلى شوارع العالم احتجاجات على قصف الفلوجة، ثم ظهرت صور التعذيب في أبي غريب مما قضى على البقية الباقية من مصداقية أمريكا في العالم، ومن أجل مكافحة هذه الدعاية الضارة بدأت جماعات مقاتلة غير معروفة تختطف الأجانب وتصدر فيديوات بشعة عن ذبح هؤلاء الرهائن. كان أول ضحية هو

رجل الأعمال نك بيرغ وقيل أن الزرقاوي هو الذي ذبحه بيده ثأراً لما حدث في أبي غريب. ولكن وسائل الإعلام الخاصة والمستقلة جادلت في صور الذبح وبعد فحص من قبل جراح طب شرعي مكسيكي اتضح أن الرجل في الصورة كان ميتا بالفعل قبل الذبح .

مارجريت حسن عاشت في العراق ٣٠ عاما ومنتزوجة من عراقي وقد عملت طوال حياتها في خدمة العراقيين ومعارضة العقوبات والغزو الأمريكي البريطاني، وكانت تتحدث العربية جيدا مما يمكنها من الدفاع عن نفسها لو كانت الجماعة التي خطفتها هي جماعة (مقاومة) حقا، ولكن المجموعة التي خطفتها لم تصرح عن نفسها ولم تطلب أية مطالب ولم تظهر معها على الفيديو واضحة اقنعة على الوجوه أو ذكر آيات قرآنية، لاشيء. وفي حين أن كل النساء اللواتي خطفن كان يطلق سراجهن فيما بعد حين يدرك الخطفون أنهم لا علاقة لهم بالاحتلال، ولكن ليس مارجريت حسن. ومع أن محكمة عراقية قد حكمت على عراقي اسمه مصطفى سلمان الجبوري اتهم بتسهيل خطفها بالسجن مدى الحياة، ولكن لا أحد حتى الآن، تبنى اختطافها وقتلها .

خيار السلفادور

بعد وقت طويل من بدء ظهور أكوام الجثث على الأرصفة، ضحايا قتلة مجهولين، نشرت مجلة نيوزويك خبرا عن خطة للبتاغون لاستخدام فرق

الموت المكافحة للتمرد للقضاء على المقاومين العراقيين وأنصارهم. وتؤكد مايسمى "الخيار السلفادوري" الذي اطلق نسبة لحملة مشابهة في أمريكا الوسطى في الثمانينيات، بالتقارير التالية التي أشارت إلى تورط وزارة الداخلية العراقية في فرق الموت. وفيما يتزايد عدد الضحايا، أبرز الإعلام السائد الأخبار من زاوية متطرفي السنة يستهدفون مدنيين شيعة أبرياء، ولكن الحقائق أظهرت قصة مختلفة. طبقا لتقرير من مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، فإن أغلب هجمات المقاومة (٧٥%) منها كانت موجهة إلى القوات الأجنبية، وهي تتجاوز بكثير أي هجمات أخرى في المسح الذي رتبت فيه الهجمات حسب العدد ونوع الهدف وأعداد القتلى والجرحى. وفي تناقض شديد عن الصورة التي يقدمها الإعلام السائد، فإن الأهداف المدنية كانت تشكل ٤,١% من الهجمات فقط. وبعد خروج ٣٠٠ ألف من جماهير الشيعة وهي أكبر مظاهرة في بغداد منذ ١٩٥٨ تساءل السيد جنيد علام "هل كان سيخرج إلى الشارع هذا العدد من الشيعة احتجاجا على الاحتلال لو كانوا يعتقدون أن المقاومة المسلحة التي يكثُر فيها السنة كانت تهدف إلى قتلهم؟" (موقع [left hook](#) بقلم م. جنيد علام في ١٨ نيسان ٢٠٠٥).

السيارات المفخخة

شهد عام ٢٠٠٥ تصاعدا في عمليات السيارات المفخخة ومعظمها موجه إلى أهداف مدنية. ورغم أنه قيل أن شبكة الزرقاوي لا تزيد عن

١٠٠٠ شخص في العراق، ولكن يبدو كأن لديه معين لا ينضب من الرجال المستعدين للتضحية بأنفسهم للجهاد، ولكن كان هناك تفسير آخر.

"يأتي الكاتب بأمثلة عن قصص تفخيخ الأمريكان لشاحنات يفتشونها ويدسون فيها عبوات دون أن يعلم صاحبها ويرشدونه للذهاب إلى مناطق معينة ويفجرون الشاحنة عن البعد. يشير إلى مصادر: مدونة د. عماد خدوري ومدونة ريفريند"

القوات الخاصة البريطانية "ساس" في البصرة

يتحدث الكاتب عن واقعة الرجلين الذين يرتديان ثيابا عربية في مركبة محملة بالمتفجرات واعتقالهما من قبل القوات العراقية ثم اقتحام القوات البريطانية للسجن والإفراج عنهما.

أزمة الرهائن الكاذبة

في السنة الثالثة للاحتلال أصبحت خطط تدبير فوضى طائفية أكثر وضوحا. في إحدى الوقائع أبلغت شرطة بغداد قادة جيش المهدي بأن مسلحين قرب قرية المدائن كانوا يحتجزون ١٥٠ مدنيا شيعيا. وحين أرسل جيش المهدي مقاتلين إلى تلك المنطقة للتفاوض لإطلاق سراحهم، أطلقت عليهم النار وفقدوا ٢٥ رجلا وقال مساعد في جيش المهدي "أعتقد أن هذا كان كميناً وإطلاق النار كان كثيفا جدا"، مضيفا أن المهاجمين استخدموا

قناصة وأسلحة آلية ثقيلة. ولم يكن أهالي المنطقة على علم بأزمة الرهائن المفترضة ولم يكتشف أي رهائن هناك.

سامراء والحرب الأهلية "ألا يمكن أن يكون هذا شيئا جيدا؟" رغم أن غسيل الدماغ الطائفي كان مؤثرا بوضوح، ولكن العراقيين استمروا في طرد فكرة الحرب الأهلية. في أعقاب تفجير القبة الذهبية في سامراء، ارتفع معدل القتل الطائفي في العراق إلى درجة كبيرة وكان المسؤولون عن التفجير كما شهد حراس الجامع يرتدون زي الحرس الوطني حسب. والقوات المشتركة العراقية الأمريكية التي كانت تقوم بدوريات في المنطقة المحيطة، ساعدوا هجمات الميليشيا على مسجد سني في "رد فعل" مدبر مسبقا. كان رد فعل معظم العراقيين العاديين مختلفا تماما. وطبقا لسامي رمضاني "لم تكن أي من مسيرات الاحتجاج الفورية موجّهة ضد الجوامع السنية. وقرب المسجد المفجر نفسه، شارك السكان السنة مع الأقلية الشيعية في المدينة في إدانة الاحتلال واتهموه بمسؤوليته عما حدث. في الكويت قامت مسيرة يقودها جيش المهدي في حرق الإعلام الأمريكية والإسرائيلية. في مدينة الصدر ببغداد خرجت مسيرة هائلة ضد الاحتلال. ولكن الإعلام الغربي استمر في التشبث بكل واقعة منفردة كدليل على تفكك اجتماعي لا يمكن علاجه. وقد كتب دانييل بايبس شاعرا بالارتياح لأن الصراع الطائفي يقلل الهجمات على القوات الأمريكية حيث يقاتل العراقيون بعضهم بعضا. ثم

بثت شبكة فوكس للأنباء تصريحاته بعنوان على الشاشة يقول "اللجوء للحرب الأهلية؟ حرب أهلية شاملة في العراق. هل يمكن أن تكون شيئا جيدا؟

التاريخ باعتباره سرا

مفتاح تبرير الهجمة الاستعمارية على العراق هو إنتاج لا ينقطع من الأكاذيب. والصهيوني توماس فريدمان شبه عراق صدام بما كانت عليه الأباة من تفرقة عنصرية أيام شفق السود على الأشجار، حيث كان يعتبر الشيعة والأكراد في منزلة أقل من البشر. ولم يفكر فريدمان أثناء تحليله في الإشارة إلى حقيقة أن وزير الصحة كان كرديا وأن اثنين من الشيعة شغلا منصب رئيس الوزراء (سعدون حمادي ومحمد الزبيدي)، أو أن نائب الرئيس كان مسيحيا. في واقع الأمر أن العراقيين كانوا نادرا ما يسألون عن ديانة أوعرق القادة والمسؤولين. لم يكن ذلك مما يهمهم.

في أثناء ذلك كانت الشائعات تجد صدى لدى منظمات (حقوق الإنسان) حول قيام النظام العراقي بقتل ٧٠ ألف إنسان كل سنة بدون أن يلاحظ أحد، ولكن رغم كل ما يقال عن النظام، فإن الزائر الذي كان يمر في بغداد في التسعينيات لم يكن يرى دبابات أو مفخخات أو اختطافات أو ضربات جوية أو نقص في الوقود أو الكهرباء أو معسكرات اعتقال كبيرة. وكما قال مايك وتني: "لم يكن لصدام نية تفكيك الدولة والجيش

والمؤسسات المدنية، ولا نهب المتاحف أو قتل المدرسين والمفكرين،
أوالتنظيف العرقي للمسيحيين والسنة، أو إثارة العنف بين المذاهب. لم يكن
لصدام خطط زيادة سوء التغذية ولا تخفيض تدفق الماء النظيف ولا قطع
الكهرباء أو إزالة شبكة الحماية الاجتماعية زيادة الفقر والبطالة، أو وضع
العراقي ضدالعراقي في معركة ضارية للبقاء. لم يتبن صدام نظرية المحافظين
الجدد حول الدمار الخلاق التي دفعت بشعب كامل إلى الفوضى بتخريب
النسيج الاجتماعي العراقي وأدت بالناس إلى اللجوء إلى الميليشيات من
أجل أمانهم".

إن الحقيقة هي أن اقتراب ذروة الإنتاج النفطي العالمي تهدد في
إضعاف القوة الأمريكية، ومن هنا لم يكن يسمح لعراق صدام، وهي دولة
نفطية غنية ومستقلة في أهم بقعة استراتيجية في العالم أن تستمر في البقاء.
ولكن المقاومة الشرسة للاحتلال أجبرت الولايات المتحدة إلى اللجوء إلى
خطتها البديلة (رسميا لم يكن لديها خطة بديلة). في هذه الخطة يحدث
شيء مثل الخطة التي اقترحتها عوديد ينون لبلقنة البلاد. ينبغي تفكيك الدول
المستقلة القائمة، إلى دويلات ضعيفة أقرب إلى المحميات. التفاصيل قد
تختلف ولكن تفكيك يوغسلافيا خدم بدون شك كنموذج. كتبت ديانا
جونستون "في التسعينيات لم يعد المجتمع الدولي الذي تقوده الولايات
المتحدة مهتما ببناء الأمم، بلإن تدمير الدول كان هو الشكل المناسب
للتوافق مع متطلبات العولمة الاقتصادية" كتاب حرب الأغبياء الصليبية:

يوغسلافيا والناتو وأوهام الغرب" للكاتبة ديانا جونستون ٢٠٠٢"، ومن أجل هذه الغاية، في العراق كما في يوغسلافيا، تحالفت الولايات المتحدة مع "مفككي الدول" وزعماء الطائفية، وهي تنادي علنا باحترامها للسيادة الوطنية. ومن إزالة أي سوء فهم، أوضح منظرو المحافظين الجدد بقولهم "التوترات الطائفية" الطبيعية" سوف تتصاعد في غياب دولة قمعية لاختصاصهم. ولهذا السبب، وتحت قيادتهم الحميدة "المحافظين الجدد" سوف يترك العراق ليتحلل إلى مكوناته الإثنية.

العراق يقاوم

بعد قصف العراق في ١٩٩١، كان إعلان جورج بوش الأب عن "نظام عالمي جديد" من الهيمنة الأمريكية، تبنت منابر السياسة الخارجية، فكرة إلغاء الدول. في الواقع، أن فرض نموذج التقدم الغربي على العالم بعد الحرب العالمية الثانية هو الذي أنهى استقلال الدول التقليدي. الأيديولوجية (الجديدة) كانت ببساطة الاعتراف بالحقائق على الأرض. بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، توقع دعاة فكرة اللادولة وهم يحتفلون بذلك الانهيار، اقتراب (نهاية التاريخ) الذي سيرى كل شعوب العالم تندمج في حياة استهلاكية رأسمالية مدينية معولمة. وهكذا فإن "التنوع الفوضوي للثقافات والقيم والمعتقدات التي كانت سببا للصراعات في الماضي" سوف تزول بعملية التوحد السياسي والثقافي. مازال الوقت مبكرا لتخمين نهاية لهذه الرؤية

الهاذية، ولكن في كل أنحاء العالم، يكافح الناس لصنع مستقبلهم، بدون الاستماع إلى نصيحة الصفوة المتفوقة. في العراق، الوعي بالصورة الكبيرة أكبر منه في أي مكان آخر. ولهذا لم يتحقق الانهيار في صراع طائفي شامل. وبينما تتصاعد المقاومة المسلحة في صراعها ضد الولايات المتحدة فهي أيضا تواجه الإرهابيين الجهاديين السلفيين، وهناك حلقة تعلق في الرقبة أصبحت شديدة الرواج بين العراقيين تراها على الأرصفة وفي التلفزيون في أعناق المذيعات وهن يقرأن نشرة الاخبار، الحلبة بشكل خارطة العراق.

و حين بثت محطات التلفزيون صور الشباب الذي يحمل الكلاشينكوف ويقف كتفا لكتف في مواجهة أقوى جيش في العراق في الفلوجة، كانت الصور ترمز لمقاومة أسطورية، ولكن إلى جانب المقاومة المسلحة، فإن الصحفيين والمفكرين والنقابات والعراقيين من كل الطبقات وكل في مجاله، يواجهون الهيمنة العسكرية الشركاتية. وعلى كل إنسان ذي ضمير أن ينضم إليهم.

بثينة الناصري

أدبية عراقية تكتب القصة منذ منتصف الستينات ونشرت أول مجموعة في بغداد عام ١٩٧٤.

في أواخر ١٩٧٩ هاجرت إلى مصر واستقرت فيها منذ ذلك الحين. قاصة ومترجمة وكاتبة وباحثة، وصاحبة دار نشر لفترة وجيزة (خمس سنوات).

من أعمالها القصصية:

- حدوة حصان - نشرت في بغداد ١٩٧٤.
- موت إله البحر - نشرت فيالقاهرة ١٩٧٧.
- فتى السردين المعلب - نشرت في بغداد ١٩٩١.
- وطن آخر - نشرت في القاهرة ١٩٩٥.
- الطريق إلى بغداد - نشرت في القاهرة وبغداد في وقت واحد ١٩٩٨.
- لماذا لا نذهب إلى البحر كثيرا؟ - القاهرة ٢٠٠٨.
- **Final Night** مختارات من قصصها مترجمة إلى الإنجليزية (المترجم دنيس جونسون ديفيز الذي ترجم لنجيب محفوظ)، صدرت عن دار نشر الجامعة الأمريكية في القاهرة ٢٠٠١ وطبعة ثانية في ٢٠٠٨.
- **Notte Finale** مختارات مترجمة إلى الإيطالية صدرت في ميلانو ٢٠٠٣.

- ترجم العديد من قصصها إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية والسويدية والنرويجية والإسبانية.

- في ٢٠١٦ أصدرت مجموع أعمالها الكاملة في مجلدين بعنوان (كتاب المغامرات) عن دار كتبخانة للنشر في القاهرة.

- في ٢٠١٦ صدرت مجموعتها القصصية (يوميات الكوفي شوب وقصص أخرى) إلكترونياً عن دار **e-Kutub**.

الأعمال التي ترجمتها بثينة الناصري عن الإنجليزية:

• رواية (بن يجوب العالم) للروائية دوريس ليسنج ٢٠٠٩ عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

• كتاب (يوميات الجنود الأميركيان في بلاد الرافدين) (جمع وترجمة بثينة الناصري) ٢٠٠٨ عن مركز الحضارة العربية - القاهرة.

• رواية "عذارى من حجر" للروائية ايفون فيرا - من زمبابوي - ٢٠١١ المركز القومي للترجمة - القاهرة.

• كتاب (الإعلام الأمريكي بعد العراق: حرب القوة الناعمة) - للمؤلفين ناثن جيردلز - ومايك ميدافوي - عن المركز القومي للترجمة - ٢٠١٥ القاهرة.

الفهرست

- ٧ مقدمة
- ١٧ بزوغ القوة الكونية الأمريكية - من موقع blackcommentator.com....
- ٢٧ إمبراطورية الدولة المارقة - وليام بلوم.
- ٣١ إنها حروب إسرائيل وليست أمريكا - باتريك بيوكانان.
- ٥٣ لا يمكن تقسيم البلاد بدون حرب طائفية - ميشيل كولون.....
- ٦٣ شهادة المستشار الأقدم للاحتلال: اعرف عدوك - لاري دياموند.....
- ٧٧ "الصدمة والترويع" تتردد على المحافظين الجدد - ريتشارد درايتون.....
- ٨٥ السيناريو الأمريكي القادم - بيبي اسكوبار.....
- ٩٥ إحدروا غلاديو - كريس فلويد.....
- ١٠١ أمريكا سوف تهزم في العراق - فرانك ديليو.....
- ١٠٧ نبوءة: لماذا وكيف ومتى وأين وعلى يد من: تسقط الإمبراطورية الأمريكية؟- يوهان غالتونج.....
- ١٤٩ بسبب المقاومة: أمريكا تغير خططها كل يوم - هجلر وكورنويل.....
- ١٥٩ تحويل المسار - سيمور هيرش.....
- ١٩٥ الحلم الأوروبي مقابل الحلم الأمريكي - توني جوت.....

- ٢٢٧ بغداد: اليوم التالي - نعومي كلاين.
- ٢٧١ تشكيل العراق الجديد - نيل ماضي.
- ٢٨٣ خطط البنتاغون للمدن المقاومة - كورت نمو.
- ٢٨٩ كعب أخيل الجيش الأمريكي في العراق - باتريك لانج.
- ٢٩٥ الأجنحة الحقيقية في غزو العراق - بول كريج روبرتس.
- ٣٠١ خطة الدول الكبرى: استنزاف أمريكا حتى الانهيار - نيكولاس بييري.
- ٣٠٧ الجيش لم يتعلم من دروس فيتنام - توماس ركس.
- ٣٢١ القرن الأمريكي الجديد - أرونداتي روي.
- ٣٣٥ قوة الجماهير في عصر الإمبراطورية - أرونداتي روي.
- ٣٦٩ عملية الانسحاب الخادع - نورمان سولومون.
- ٣٧٥ أهداف متحركة - سيمور هيرش.
- ٣٩٩ المقاومة العراقية - مايك وتني.
- ٤٠٥ في الإدارة الأمريكية الحالية: الرئيس ظل الله في أرضه - كاترين يوريكا..
- ٤٢٥ استراتيجية تفكيك العراق - إسرائيل شامير.